



من الأعمال المختارة

برتولت بريشت - 3

- الأم شجاعة

- السيد بنتيلا وخادمه ماتي

تأليف: برتولت بريشت

ترجمة: د. عبدالرحمن بدوي

تقديم ودراسة نقدية: أ.د. عطية العقاد

(الطبعة الثانية)

العدد 384

سبتمبر 2016

تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت



من الأعمال المختارة

برتولت بريشت-٣

- الأم شجاعة

- السيد بنتيلا وخادمه ماتي

ترجمة: **د. عبدالرحمن بدوي**

تقديم ودراسة نقدية: **أ.د. عطية العقاد**

(الطبعة الثانية)

من المسرح العالمي

تصدر كل شهرين عن
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
دولة الكويت

almasrahalaalami@yahoo.com
almasrahalaalami@gmail.com

www.kuwaitculture.org

من الأعمال المختارة
برتولت بريشت-٣

ISBN ٩٧٨- ٩٩٩٠٦-٠-٥٠٨-٢
رقم الإيداع: (٢٠١٦/٠٨٥٣)

من الأعمال المختارة

برتولت بريشت-٣

- الأم شجاعة

- السيد بنتيلا وخادمه ماتي

ترجمة: **د. عبدالرحمن بدوي**

تقديم ودراسة نقدية: **أ.د. عطية العقاد**

(الطبعة الثانية)

صدرت الطبعة الأولى من هذا العدد في نوفمبر ١٩٧٨م



الفهرس





مقدمة

بقلم: أ.د. عطية العقاد

كانت هناك مقدمات كثيرة سبقت برتولت بريشت (١٨٨٩ - ١٩٥٦) في التمرد على الدراما التقليدية، ودأبت بعناد وإصرار شديدين على تمزيق أوصال الشكل الدرامي المغلق الذي يتكون من بداية ووسط ونهاية؛ فعرّضت بذلك الأركان التي تقوم عليها العملية الإبداعية المسرحية إلى هزات وتغيرات مستمرة خلال العشر سنوات الأولى من القرن العشرين. فمنذ ليسنج (١٧٢٩ - ١٧٨١)، حتى هاوبتمان (١٨٦٢ - ١٩٤٦)، اعتمدت الدراما على العلاقات العائلية، التي كانت تحتل عندهم مكان الصدارة ورأوا فيها المرآة الوحيدة التي تنعكس عليها كل العلاقات الإنسانية، إلى أن جاءت التعبيرية فعصفت بهذه العلاقات. ورغم تلاشي تيارها في غضون الفترة من ١٩٢٣ / ١٩٢٥، غير أن قوة دفعها بقيت قائمة، خاصة وأنه تزامن مع ظهورها تحلل المجتمع البرجوازي المغلق بعد عام ١٩١٨.

في عشرينات القرن العشرين أدخل جرهارت هاوبتمان علاقات اجتماعية جديدة، لكنه لم يتخل عن شكل المسرحية التقليدية، مقسما إياها إلى فصول صعودا وهبوطا. ورغم أنه أدخل على المسرحية صراعات درامية أخرى، وجلب إليها طبقات اجتماعية مختلفة؛ ودفع بشخصيات لم تكن معروفة من قبل في دراما القرن التاسع عشر، إلا أنه اكتفى بتناول هذه الصراعات بنوع من العرض لوجهها الخارجي فقط، وبقيت العائلة بالنسبة له مثل كل أصحاب الفنون البرجوازية، تشكّل مبلغ همّه وكافية لتمثيل حقل العلاقات الإنسانية. أما التعبيريون فقد تمكنوا من الإفلات من هذه الدائرة، واستطاعوا أن يحرروا أنفسهم من هذه الأعمال العائلية، ثم أزاحت أعمال سترندبرج الأعمال الكلاسيكية مسافة أخرى، بما تحمل من طاقة ثورية مكنتها من أن تجهز على فكرة حتمية المعالجة الدرامية، واستبدلت بالإطار



الدرامي الذي يستند إلى تسلسل المشاهد مسألة الطرح الروحي والتسلل إلى شفافية النفس البشرية والمعاناة الروحية؛ ولهذا يعزى لأعمال سترندبرج - التي عُرضت في ألمانيا في الفترة من (١٩١٠ - ١٩١٩) - الفضل الأول في إشعال فورة حماس التعبيريين الشبان الذين أخذوا ينهالون تحطيما على الكثير من قواعد الدراما المغلقة، وواصلوا زحفهم إلى أساليب الأداء التمثيلي فتناولوها بالتحوير والتعديل بما يلائم اتجاههم الجديد. ودوت صرخات التعبيريين في كل الاتجاهات وعلى كل المستويات، فلم يصبح تدفق الحدث وتصعيده الدرامي عند الممثل يستند إلى البيئة أو اللوازم المسرحية، واجتزئت الأحداث في لوحات تمثيلية غير متصلة، كما لم يعر الممثل الملابس التاريخية أهميتها السابقة، بل تناقص الاهتمام بها حتى انعدمت تماما. لم يعد التمثيل الرفيع والذكي يرتكز على التفاصيل، وإنما كان على العكس من ذلك، يتعمد إهمال التفاصيل والدقائق التي كانت محل اهتمام الممثل في النصوص الطبيعية، كما أصبح الممثل يعتمد بدرجة كشراب على الوجه العاري للتعبير عن الأزمة الروحية التي تمر بها الشخصية، وقد ضم الممثل أيضا إلى وسائله "التعبيرات الحركية الكبيرة"، ليعبر بها عن الحالات التي تتقلب فيها الروح من سعادة، وغبطة، وألم، وتعاسة، وشقاء، إلى حظ سعيد مرة أخرى. وفقد كذلك الأساس الخارجي للشخصية أهميته واستعرضه الأسلوب التعبيري بالإثارة الروحية عن طريق تصوير العالم الداخلي للشخصية.

ورغم قوة هذه المحاولات الجادة إلا أن تاريخ المسرح العالمي لم يعرف شخصية ضربت بمعولها في الأصول الدرامية التقليدية المعروفة بالأرسطية وزعزعتها من أساسها بالقوة نفسها التي ضرب بها بريشت سواء على مستوى التنظير أو التطبيق العملي فاكتسبت نظريته شمولية العملية المسرحية، ذلك أن تمرده لم يكن يقف عند حد الرفض ولكنه عمل على صياغة مفرداتها برؤية جديدة حاول فيها توجيه اللعبة المسرحية



للأغراض التعليمية وتوسـيع إدراك المتلقي بالأطر التي تحيط به وتبصيره لواقعه دون تخديـره أو تغذيته بأمل وهمي واه. فقد حاول أن يتيح للمتلقي رؤيـة العالم بصورته الحقيقية، وليس بالصـورة الوردية الزائفة التي اعتاد المسـرح التقليدي على ترسـيخها في ذهن المتلقي، فقد كان يرى أن الفن الآني بالنسـبة للمتلقي لا يزيد عن عالم يسـبح في الأوهام ولا يمت للواقع بصلة، ومن هنا سـعى بريشت إلى تقديم صورة موضوعية للواقع، ولم تكن تعوزه المعرفة الحقيقية لحركة التاريخ والشؤون السياسية. ولقد كان بريشت يهدف من وراء ذلك إلى إيقاظ وتنبيه المشاهد من حالة اللا وعي إلى رؤية الحقيقة مرة أخرى بعد اكتشافها، فهو لم يضق بالشكل لمجرد تغير الشكل، وإنما أراد بهذه الوسيلة ألا يقع المتلقي فريسة الانخداع في الشكل، بل هو يحضـه على التفتيش عن الحقيقة في باطن الأشـياء وعدم تقبل الحقائق المسـتندة إلى الأحكام السـابقة والتي تدخل في نطاق البدهيات. ويدعو مشـاهده إلى إعادة النظر فيها مرة أخرى ورؤيتهـا من جديد بعد تحليلها جيـدا، ولهذا لا تخضع نظرتـه النقدية للأعمال الفنيـة العريقة لمقولات الأقدمين. وهي الركيزة الأساسـية التي تسـتند إليها معارضته، فهو لا يقر بـأن الرأي القديم هو وحده الصحيح، لأن المتقدمين قالوا به، لا يعني هذا في رأي بريشـت بضرورة صوابه، فالرأي القديم حول ظاهرة ما، قاله جيل عـاش تجربته في ضـوء خبراته وإمكاناته التي توافـرت له حينذاك. وقد أثبتت التجربة خطأ الكثير من الآراء التي قيلت واستقرت في ضوء إمكانات تكنولوجية محددة، ولا يعني هذا رفضه المطلق لكل قديم من أجل الرفض، ولكنه يرفض ما يرفضه منطق عصرنا، بل إنه قد يتخذه أحيانا مطية يستند إليها حتى ينطلق إلى رؤياه الجديدة، وبالتالي فهو يتوقع للأجيال القادمة أن تصحح مسار كثير من الآراء التي اعتقدنا فيها.

لم تتوقف رغبة بريشت عند شرح العالم وتفسيره، ولكن طموحاته امتدت إلـى ما هو أعقد من ذلـك، فهو يتطلع إلى المرحلة التي تلي عملية الفهم، وهي تصحيح هذا العالم وتغييره إلى الصورة التي تحفظ للإنسـان كرامته،



ولهــذا فهو يعد الفن صاحب الهدف الفلســفي غيــر التعليمي مجرد غش ودجل وخداع. ويرى أن الفن نوع من الحكمة والفطنة. كما يرى أن الفن لابد أن يعلم ويمتع في الوقت نفســه. المتعــة يجب أن تأتي عن طريق المعرفة. ويرفــض أفكار رواد التنوير في القرن الثامن عشــر، لأنهم وضعوا الجمال إلى جانب الحقيقة في إطار واحد مرتبك؛ وكان هذا بســبب تركيزهم على الجانــب الأخلاقي في العمل الفني، فالمســرح في رأيه لابد أن يتحول إلى مؤسسة تربوية تعلم إحكام التفكير العقلي.

علاقة بريشت بإرفين بسكاتور

عندما ضاق بريشــت بالإقامة في ميونخ واتجــه إلى برلين في رحلات خاطفة منذ عام ١٩٢٠ إلى أن اســتقر به المقام بها ســنة ١٩٢٤، هيأت له هذه الإقامة الدائمة الفرصة ليعمل إلى جانب الكاتب المســرحي المعروف (كارل تسوكماير) كدراماتورج، أو خبير مسرحي لدى المخرج الشهير ماكس راينهارت في دار المســرح الألماني. كما أن زيارته لبرلين واستقرار إقامته بها أتاحت له فرصة التعرف على مسرح إرفين بسكاتور ومسرحه السياسي. وجد بريشت ضالته في مسرح بسكاتور، وسريعا ما توطدت أواصر الصداقة بينهمــا، ومن ثَمّ تعاون معه وشــاركه معظم تجاربه، والحقيقة أن بســكاتور ترك بصمة قوية في بريشــت على المستويين الفكري والمسرحي. لقد كان بســكاتور مخلصا لمســرحه ولمبادئه السياســية، فهو من ناحية لم يدخر وســعا من أجل توصيل المقولة السياســية الاجتماعية للمسرحية بأكثر ما يمكــن من الدقة والفعالية، ومن ناحية أخرى شــدة انحيازه للطبقة العاملة الكادحة والمطحونة، حتى انه أطلق على مســرحه في نولين دورف "مسرح البروليتاريا". وكان من شدة إيمانه بغرس الوعي السياسي في هذه الطبقة التــي لا تملك ثمن بطاقة الدخول فســمح لجمهوره هــذا غير القادر على شــراء بطاقات الدخول لمســرحه بالدخول بالمجان حتى غرق في الديون ودخل الســجن بســبب تراكم هذه الديون عليه. أما من الناحية الفنية فقد



وظف بسكاتور كل الوسائل التقنية المتاحة له حينذاك لشرح وجهة نظره السياسية وتوصيلها للمتلقي الفقير.

يتضح ذلك من خلال رؤيتنا بمدى إعجاب بريشت وانبهاره بإنجازات بسكاتور في المحاضرة التي ألقاها على طلبة ستوكهلم سنة ١٩٣٨م حيث يصف فيها بريشت جانبا من مسرح بسكاتور قائلا:

«لقد تطلب الأمر ضرورة إعادة بناء خشبة المسرح بصورة كلية. إنه من الصعب هنا أن أعدد كل الابتكارات والتجديدات والمكاسب التكنيكية الجديدة والوسائل المشابهة لها من العناصر الضخمة التي أدخلها بسكاتور على خشبة المسرح، ربما تعرفون بعضا منها. كاستخدام الفيلم الذي كان بمثابة ممثل جديد يشبه دور الكورس في المسرح الإغريقي. والسير المتحرك الذي يحرك خشبة المسرح. هكذا أمكن تقديم أحداث ملحمية فوق خشبة المسرح مثل تقدم العسكري شيفيك "Schwejk" على الأقدام في الحرب.

كان بسكاتور يطمح بأن يصبح مكان الجمهور عبارة عن قاعة اجتماعات. فالمسرح بالنسبة لبسكاتور كان عبارة عن برلمان الجمهور فيه يمثل هيئته التشريعية. هذا البرلمان عليه أن يصدر قرارات تناسب المعضلات العامة الكبرى. فبدلا من حديث أحد النواب حول مشكلة اجتماعية مستعصية، ظهرت نسخة فنية لهذه الحالة.

وكانت تطلعات هذا المسرح أن يجلس جمهوره في مقاعد برلمانه الخاص معتمدا على أساس الصورة الفنية، الإحصائيات، فهم شعارات القرارات السياسية. ولم يكن يتنازل مسرح بسكاتور أيضا عن التصفيق، لكنه كان يطمح في المزيد، في المناقشة. إنه لم يكن فقط يرغب في أن يعرض للمشاهد حادثة مؤثرة، ولكن إلى جوار ذلك كان يطمح في أن يخرج بقرار عملي من الجمهور ومشاركته في الحياة العامة بحيوية إيجابية، وللوصول إلى ذلك استخدم كل الوسائل الممكنة. استخدم تكنيك خشبة المسرح



بصورة بالغة التعقيد؛ لهذا فإن مدير خشــبة مســرح بسكاتور وضع أمامه كتابا مختلفا (إرشــادات إخراجية) عن كتاب مدير خشبة مسرح راينهارت. مثل ذلك الفارق بين عازف نوتة إحدى أوبرات شترافينسكي Strawinski، ونوتة مطرب يغني بمصاحبة عزف على العود.

وجهات النظر الجمالية كانت سياســية خالصــة ولم يكن لها أبدا توابع أخرى. تراجع الديكور المرســوم عندما اســتطاع الإنسان أن يعرض فيلما موثقا فيه الزمان والمكان.

اختفى الكرتون الملون عندما استطاع فنان مثل جورج جروزتس George Grosz أن يقول شــيئا لجمهور البرلمان، بل إن بسكاتور كان على استعداد كبيرًا كان أو صغيرًا أن يســتغني عــن الممثل، عندما قدم القيصر الألماني احتجاجا عن طريق محاميه الخمســة، لأن بســكاتور أراد أن يجسده على خشــبة مسرحه بواســطة ممثل، كان كل رده على هذا الاحتجاج، أن سأل فقــط، عما إذا كان القيصر لا يرغب في أن يمثل دوره بنفســه، لقد عرض عليه إن صح هــذا التعبير عقدا. باختصار، كان الهدف مهما وكبيرا، حيث ظهرت كل وســائل إنتاج العرض المســرحي الذي يعــادل إنتاج النص. لقد عملت جماعة كاملة من كتاب الدراما معا في كتابة مســرحية واحدة، وكان عملهــم يدعمه ويراقبه جماعة من المتخصصين، من مؤرخين واقتصاديين وإحصائيين.

كما يرى بريشت أن تجارب بسكاتور نسفت تقريبا كل التقاليد المسرحية. تدخلت بالتغيير في طريقة إبداع كتاب الدراما، في أسلوب عرض الممثلين، في بناء العمل على خشبة المسرح. لقد تطلعوا إلى وظيفة اجتماعية جديدة تماما للمسرح بكافة.

ووردت فــي هذه المحاضرة تفاصيل أخرى تؤكد مدى احترامه واعتزازه وعدم إنكار فضل بسكاتور عليه خاصة في مجال الإخراج المسرحي.



الأصول المرجعية الفكرية لبريشت:

يعتقد كثير من النقاد أن بريشـــت كان يعتنق الفكر الماركســـي فحسب، وهذا من أكثر الأخطاء الشائعة عن الرجل لأن بريشت قد استثمر الميراث التنويري عبر التاريخ بدءًا من سقراط وكونفوشيوس مرورًا بهيجل وماركس، كما أخذ جماليات دينيس ديدرو خاصة فيما يتعلق بدراسته «مفارقة الممثل» سلبًا وإيجابًا، كما أخذ القدر نفسه من ليسنج. إنه دائمًا ما يتصدى لنتيجة معينـــة وصـــل إليها مفكر قبله، ويجد نفســـه ليس بالضـــرورة أن يكون في موقـــف الـ «مع» وإنما في موقف «الضـــد» ويرى أن هذا يعد إنجازًا للطرف الأول أيضًـــا لأنه أضاء لـــه موقفًا معينًا ووضحه لـــه، بحيث أتاح له فرصة نفس المنهج في الطريق المعاكس. وهذا ما حدث في موقفه من الفيلسوف العظيم أرسطو، وربما فضل بريشت لنفسه صورة من صور أمنياته للحكمة الصينية من فرط تأثره بالفيلســـوف الصيني كونفوشيوس» Konfuzius Kong Du «(٥٥١ ق.م ٤٧٩ ق.م).

ومن الأســـباب التي جعلت الفكر الماركســـي أكثـــر وضوحا في أعماله، تســـخير كل طاقته لوضع فنه في خدمة الطبقة العاملة وانحيازه التام لها، وملاحظـــة دأبه على تحريضها، ودفعها إلى تغيير أوضاعها القائمة في ظل ســـيطرة الرأسمالية، ولأجلها. وفي ســـبيل تحريرها وانعتاقها كتب بريشت أعماله المختلفة، وخاض معترك الحياة السياسية في جميع المجالات.

وضمن هذه الأسباب التحولات التي طرأت على معتقداته السياسية بعد أن شـــاهد أهوال الحرب، وتوصل فيها إلى أفكار جديدة اكتشـــف فيها أن الحرب يدفع ثمنها بســـطاء الناس لصالح أناس لا يشاركون في الحرب إلا بألســـنتهم فقط. وتوجه بريشت للدراســـة المتعمقة للماركسية، التي بدأها على أبعد تقدير في ســـنة ١٩٢٦. فحضر الدروس المسائية والمحاضرات فـــي مدرســـة العمال فـــي برلين، وقام بدراســـة متعمقة في قـــراءة هيجل وماركس، كما درس نظريات النقـــد والمضاربات والمناورات في البورصة.



وفي هذا المجال كان أكبر من أثر فيه شخصان هما فرتس اشترنبرج وكارل كورش، وكانا ماركسيين متحمسين. وتحت تأثير تلك المحاضرات والدروس وقراءاته الخاصة – التي بدأها بكتاب رأس المال – تطور فكر بريشت في اتجاه الماركسية ببطء ولكن برسوخ حتى بلغ غايته بعد سنة ١٩٣٠. لكن من الثابت أيضا أن بريشت لم ينتم أبدا إلى أي حزب شيوعي حتى آخر عمره. وتبنيه لفكرة ماركس بعدم الاكتفاء بتفسير العالم، ولكن يجب العمل على تغييره. وفي مدينة برلين تعرض بريشت لتجربة تعد من أهم التجارب التي عاشها وتأثر بها وهي الفترة إلى قضاها في المستشفى العسكري. كانت تلك التجربة تشكل مرحلة فاصلة في حياته وصبغت كل أعماله الفنية، وهي كرهه للحرب، وإيمانه بالماركسية كحل لكل المشاكل الإنسانية.

كذلك نجد أن معظم المسرحيات التي وضعها بريشت في فترة المنفى تنطلق في طرحها ومعالجتها للقضايا السياسية ـ الاجتماعية التي يراها النقاد أنها تحمل وجهة النظر الماركسية التي حاول بريشت من خلالها تحليل بنية السلطة الرأسمالية ومصالحها وارتباطاتها، أو تحليل دور الفرد في المجتمع الطبقي وموقفه من القوى المتناحرة، أو الانضمام إلى القوى التقدمية والوطنية المناضلة من أجل تغيير المجتمع القائم، ولقد ركز بريشت بصورة جلية في جميع هذه الأعمال وما سبقها على الربط بين الفن والسياسة، وعلى تأكيد دور الفن كسلاح فعال في الصراع الطبقي.

وكان بريشت يتعمد الدخول في مناقشات مع المتفرجين من العمال وغيرهم، وكان يتخذ عامداً موقف المعارض ليستفز شريكه في الحوار، وليدفعه لقول جميع ما لديه حول الموضوع. وبناء على هذه المحاورات كان يعدل من نصوصه حتى مع الأطفال فقد كان يحضر عروض مسرحيته (القائل نعم) وأضاف إليها الجزء الثاني (القائل لا) بناء على مناقشته مع أطفال مدرسة كارل ماركس.

وبعد مراجعة ومناقشة تجارب هذه المرحلة طويلاً اقتنع بريشت بضرورة



تخفيف حـــدة الاتجاه التعليمي الصرف، وأخذ يؤكـــد العلاقة الجدلية بين المتعة والتعلم. ولكي يطور بريشـــت شكل طرح المادة التعليمية وتجسيدها؛ لم يكن ليكتفي بالحوارات التي كانت تدور بعد العروض أو في داره، بل كان يذهب بنفســـه إلى التجمعات العمالية، فيقرأ للعمال ما كتبه ويناقشـــهم به ســـاعات وســـاعات، ويطرح جملة الاحتمالات الممكنة. والملفت للنظر في عمله هذا أنه كان غالباً ما يأخذ بآراء بســـطاء الناس والعمال بدلاً عن آراء المثقفين حول المسألة نفسها.

الحبكة

أما الحكاية التي يعتبرها جوهر المسرح فيجب ألا تقدم مسلســـلة كما في المســـرح الدرامي، وإنما كحدث متقطع يتطور بوثبات، وليس المهم في الحكاية نتيجتها، وإنما كيف حدثت، بمعنى التأكيد على مسارها عن طريق التقطيـــع إلى لوحات، تعرض كل منها نموذجاً أو موقفاً في ســـياق الامتداد الزمني بحيث يتجلى تحول الشـــخصية عبر مُســـبباته بوضوح للمشـــاهد، فيتعلـــم ما لم تتعلمه الشـــخصية في ظروفها الموضوعيـــة. وهذه الحكاية لا تقـــدم كبنية تصاعدية كما في المســـرح الدرامي ببدايـــة وذروة ونهاية، وإنمـــا لكل لوحة من لوحات الحكاية بنيتها التصاعدية المصغرة، ولهذا قد تغيـــب العقدة أو الذروة من الحكاية المســـرودة لأن الصراع هنا ليس معلناً أو مباشراً كما في المسرح الدرامي بين الفرد والآخر أو بين الفرد وقوة ما كالمجتمع أو القدر، وإنما يتجلى في المســـرح الملحمي من خلال التناقض بين الكلام والأفعال أو التصرفات،

شخصيات بريشت:

لا يهـــدف بريشـــت أن يُبكي جمهوره على مأســـاة فـــرد أو إبراز عاطفة إنســـانية أو أن يضحك ســـاخرا من نقائص إنســـان، ولكنه يتنـــاول النظام

برمته ذلك النظام الذي يســبب هذه المأساة أو النقائص التي تُحدث الأثر الكوميدي ... ومن هنا ظهرت عداوة بريشت لكل ما هو معتم ورومانسي وغير عقلاني. وقد استبدل بريشت موضوع دراماته من الملوك والأمراء والعظماء ومعاناتهم الفردية بالشــعب. وشــخصيات بريشــت لا تتغير وحدها وإنما العالم كله من حولها يتغير. وينتخب بريشت شخصياته من بين عامة الناس، منهم المدرس، والتلميذ، والأم ليعطي للمســرح معانيه التوجيهية والشعبية والإنسانية والتاريخية والاجتماعية. ولا يوجد من بين شخصياته بطل يعاني محنة بالمفهوم الأرسطي، بل إن فكرة البطل نفسها غير موجودة أصلا في مسرحه، وشخصيات مسرحياته هي عبارة عن نماذج من شخصيات الحياة فحســب، بل ولا يميل بريشــت إلى الترف الميتافزيقي والخيارات المطلقة مثل شكسبير «أكون أو لا أكون»، وذلك لأنه يرى أن أوجاع الحياة تلهينا عن ذلك الترف. ولم يعد مســرحه مكانا لتأوهــات العذارى في دياجير الظلام وإنما تحول عنده ما يدور على خشبة المسرح إلى عرض قضية يلعبها بعض الممثلين. وعلينا أن نبحث لهــا عن حل ونتخذ حيالها قرارا موفقا. ويعتبر بريشــت التطهير الأرسطي عائقا يقف في طريق الفكر والعمل الاجتماعي من جانب المتفرج. والمســرح في نظره يجب أن يكون أداة ثورية يسهم في عمليــة التحول الاجتماعي لصالح الطبقات الكادحة. ومن هنا الشــخصية عنده لا تنبع إلا من خلال الوظيفة الاجتماعية للفرد.

المسرح التعليمي:

كان بريشت يصنع من موقف له طابع أخلاقي نموذجا لكل عمل سياسي وكان يريد لمســرحه أن يرتبط ارتباطا وثيقا بالتعليم والتربية، ليس لتقوية ذاكرة التلميذ، وإنما لتعلم أشياء هامة في الحياة لا تنقلها كتب المدرسة له، وكان يحبذ أن يشترك جمهوره مع أعضاء الفرقة التمثيلية.

هذه الرغبة هي التي حفزت بريشت على تطوير نوع جديد من المسرحيات

عرفت باسم « المسرحية التعليمية »، وذلك جنبا إلى جنب مع أعماله الخاصة بالمسرح الملحمي، وهي الأعمال التي كان يخشى أن تكون استهلاكية ترمي إلى مجرد التسلية. هذه المسرحيات تشبه حلقات دراسية سياسية، وقد وصفها بريشت بأنها لقاءٌ سياسيٌ جماعيٌ يشارك فيه الجمهور بصورة نشطة. وفي هذه المسرحيات يتم اكتشاف المذهب والممارسة الصحيحة ووضعها موضع التنفيذ من خلال ممارسة جماعية تقوم على المشاركة، ليس من خلال التلاعب والسيطرة الهرمية. وقد نظر بريشت إلى «المسرحيات التعليمية» باعتبارها نموذجا «لمسرح المستقبل».

وكانت «المسرحية التعليمية» أكثر مسرحياته صراحة من الناحية السياسية وأشد محاولاته لتسييس الفن. ونظر بريشت إلى مسرحياته تلك باعتبارها سلاسل من التجارب السوسيولوجية أو تمارين للرشاقة أو التدريبات الذهنية للقائلين بالجدل وممارسيه. وقد حظي مسرح بريشت بالاهتمام، لأن أعماله ومنهاجه في الإخراج المسرحي كان مجددا للمناخ المتحفي للمسرح. ونظرياته كانت نتيجة اختلافات أساسية في التقاليد الثقافية والفكرية والمسرحية.

ورحلة بريشت الفنية كانت عبارة عن محاولات للخروج من الغابة اللاعقلانية التي تحيط بالحياة البرجوازية وتهدف إلى تسليط الأضواء عليها وكشف حقيقتها. واستطاع الانتقال من مرحلة التناقضات الحدسية إلى مرحلة ثانية قائمة على نظرة اجتماعية نافذة محددة تسعى إلى التوجيه والتنوير الاجتماعي. ومن أبرز إنتاجه في هذه الفترة أعماله التي أعطت بعداً تاريخياً جديداً لهذا اللون: مسرحية «القائل نعم والقائل لا» التي كتبهما ما بين ١٩٢٩/١٩٣٠.

الأصول التاريخية لنظرية المسرح الملحمي:

لم يكن هناك خلاف على أن بوادر العناصر الملحمية وخاصة فيما يتعلق بعملية كسر الإيهام قد ظهرت في المسرح الإغريقي بوضوح عند يوربيديس،

كما ظهرت في المسرح الروماني، وكذلك في العصور الوسطى وتحديدًا في تمثيليات الأسـرار. وظهرت بالقدر نفسه في المسرح الإليزابيثي في بعض أعمال شكسبير. كما تواجدت في المسرح الشـرقي بصورة أكبر وأعمق ولكنها في كل الأحوال لم تكن تهدف إلى ما كان يهدف إليه بريشت ولا كانت بنفس هذا القدر من التكثيف الواعي بجمالياته.

أول ظهور لهذا المصطلح – المسـرح الملحمي – في مسرحنا الحديث كان من خلال عرض مسرحية «رايات Fahnen" عام (١٩٢٤م) ، من تأليف "الفونس باكيه Alfons Paquet" (١٨٨١ – ١٩٤٤) حيث اتخذ للمسرحية عنوانًا جانبيًا هو "المسـرحية الملحمية". وكان هـذا العرض من إخراج الألماني الشـهير إرفين بسـكاتور (١٨٩٣–١٩٦٦) ، صاحب كتاب المسرح السياسـي (١٩٢٩). جرب بسـكاتور في هذه المسـرحية وسائل إخراجية جديدة، مثل الصور الفوتوغرافية والشـرائح الفيلمية، وتجلت الملحمية في مسـرحية "رايات" أيضا بوجود شاشتين، واحدة على كل جانب من جانبي المسـرح، كانت تعرض عليها صور الشـخصيات مع ملخصات مكتوبة، عن الحدث في كل مشـهد. واستمر بسـكاتور في تجريب هذه التنويعات لهذه الصيغة، ولم يكن بسكاتور وحده في تلك المرحلة وإنما كان بريشت يتعاون معه كدراماتورج.

لا نغالي إذا قلنا إن هذا المسـرح –الملحمي– لم يكتسب أهميته إلا من خلال بريشت عندما استقل بنفسـه عن بسكاتور ووهب للمسرح الملحمي طاقته ككاتب ومخرج ومنظر.

وكاد هذا المسـرح يذبل ويتلاشـى لولا أن تلقفته يد بريشـت المدربة، ووهب له كل طاقاته وعمل على تطويره المسـتمر. قد تلتقي أفكار بسكاتور مع بريشـت غير أن الوسـيلة كانت تختلف. فقد كان بسـكاتور يركز على عملية التحريض المباشـر وينتظر النتائج السـريعة لهذا التحريض، بينما كان بريشـت يركز على القيمة المعرفية وتعميق الوعي و الإدراك بالمشكلة

المعروضــة ويعين فقط على اتخاذ القرار المناســب، لكنه لم يضق الخناق على مشــاهده، كما فعل بســكاتور، وكانت منطلقات بريشت تتأسس على موقفــه من الفن، فالفن لا يجب أن يكتفي بإعطاء المتعة والتســلية وتقديم تجربــة جمالية خالصة، ولكن عليه أن يجمع بين التجربة الجمالية والقيمة المعرفية لتصحيح مسار كل ما هو معوج في الحياة من نظم وقوانين وأعراف وعلاقات إنســانية بنيت على أفكار عقيمة لصالح طبقة معينة، وتغير هذا العالم بصورته الحالية إلى الصورة التي ترفع الظلم عن الإنسان وتحفظ له كرامته. وفي تصوره أن المســرح هــو الوحيد القادر على حل هذه المعادلة لأنه ينير الحقائق، ويؤدي بهذا إلى ربط وحل حقيقي، وينظر إلى المســرح على أنــه أمر علاجي يحض على التفكير المســتقيم والفهم. من هنا أخذ بريشت يبحث عن القالب الفني المناسب الذي يحل له هذه المعادلة، فكان الشكل الملحمي.

تولــدت نظرية المســرح الملحمي إذن من هذا الخــلاف المنهجي في التفكير، ولم يكن بريشــت يتجه بنقده فقط إلــى الآخرين، ولكنه كان يتجه به ضد نفســه أيضًا وبمنتهى القســوة. وتدل نظرية بريشــت على أنه قام بعمل مســح شامل لتاريخ المسرح رأســيًا وأفقيًا، درس وتأمل المسرح في كل صوره، ليس فقط من الناحية الوظيفية، وإنما تعامل مع البنية الداخلية والخارجيــة للأعمال قبــل أن يهتدي إلى هذه النتيجــة، أي الحصول على مقابل لتلك النظريات القديمة التي تمرد عليها ورفضها، والجدول الشــهير الذي وضعه يؤكد دقة دراســته لكل عنصر من العناصر القديمة ليحدد منه أســس مسرحه الجديد، حيث كانت نظريته المضادة للمسرح الأرسطي في غاية الدقة ونظرته للمســرح الأرســطي تتلخص في مقولته الشهيرة " إن المســرح القديم أشبه بالحصان العجوز المتهالك الذي فقد رونقه وسحره



وأصبح لا يصلح للسباق".

وضع بريشت أفكاره وتصوراته حول المسرح الملحمي في مجموعة مقالات وأضاف إلى ذلك تطبيقات عن طريق إبداعاته المسرحية وأكمل الدائرة عندما تمكن من تدوير النظرية حتى شملت النص وكل عناصر العرض المسرحي، وهذا ما يميزه عن ستانسلافسكي وأرسطو وغيره من المنظرين، لكن بريشت لم يسلم من الهجوم والاتهامات بأنه مقتبس لهذا المسرح من المسارح القديمة. ولو أن أصحاب هذه الاتهامات توفروا على دراسة بريشت دراسة دقيقة لعرفوا أنه لم ينكر الاستفادة من الأعمال القديمة، بل إن له أقوالاً محددة في هذا الشأن، منها: "عندما نهفو نحو عالم جديد من الفن، علينا أولاً أن نوجد وسائل فنية جديدة من خلال إعادة صياغة القديم".

كما قال بخصوص التقاطه عناصر مختلفة من المسرح عبر التاريخ:

"من الناحية العملية يضطر الإنسان أن يتخذ خطوة نحو الآخر، أما من الناحية النظرية، فيضطر الإنسان أن يحتوي المسيرة كلها.

ويصف التجديد بأنه قد يكون قديما قدم الشمس، ولكن كل ظهور للشمس، يختلف عن اليوم الذي قبله:

"البداية الصحيحة هي التي تجدد الحياة، مثل إشراقة الشمس كل صباح، تفرض نفسها في عمق تاريخ الحكمة الموثوق بها".

ويؤكد ذلك مرة أخرى قائلا:

" إن ما نهضمه اليوم، هو ما احتفظنا به من طعام الأمس".

إشكالية مصطلح التغريب:

يعد مصطلح التغريب (Verfremdung) حجر الزاوية في مسرح



بريشــت الملحمي والتي بدأت ملامحه تظهر مــع المرحلة التعليمية، غير أن كثيرا من النقاد أجهدوا أنفســهم في محاولــة الوصول لأصول النظرية البريشــتية "للمســرح الملحمي" ومفرداتها، ومع هذا الجهد الكبير، إلا أن كثيرا من الدراســات لم يصبها التوفيق في مظــان بحثها، وظهرت أخطاء فاحشــة يتوارثها النقاد على أنها حقائق مسلم بها، وأولى هذه الإشكاليات مشكلة الأصول التاريخية "لمصطلح التغريب». ومصطلح التغريب وأهميته الأدبية لا تنفصل عن أعمال برتولت بريشــت، حيث ظهرت هذه الكلمة في كتاباته النظرية لأول مرة على الأرجح عام ١٩٣٦م، حيث كان بريشــت يشير إلــى هذا المعنى في أعمالــه وكتاباته من قبل هــذا التاريخ، دون توصيف اصطلاحي دقيق لها، ســواء أكان ذلك في كتاباته المســرحية،أم شعره أم نثره.

والمصطلــح من الناحية اللغوية يرجع إلى أصل لاتيني، ولكنه ظهر لأول مرة في الأدب الألماني في صيغة (الفعل)، وليس في صيغة (الاسم)، وأول مــا ظهر عند برتولد أويرباخ (Bertold Auerbach)، في روايته (الحياة الجديــدة) عام (١٨٤٢م)، ففي هذه القصة شــعر الوالدان بالغربة، وجرحا بعمق في مشــاعريهما، لأن أولادهما أصبحوا لا يتحدثون غير الفرنســية، ممــا أدى إلى عدم التواصل بينهم.. وفي المعاجم الألمانية الحديثة ظهرت كلمة تغريب Verfremdung كاســم في اللغــة الألمانية منذ ١٩٤٥م في النمسا، وارتبطت باسم بريشــت كمبتكر لها، وقام بريشت بأول تعريف لها من خلال وصفه لعرض مسرحيته الرؤوس المستديرة والرؤوس المدببة في ٤ نوفمبر ســنة ١٩٣٦م في كوبنهاجن. وتحدث بريشت عن وسائل التغريب من خلال الكتابة، الصوت، الموسيقى، طريقة تمثيل الممثل كمشاهد يراقب مواقف محددة مأخوذة من الحياة اليومية.

مازال يســيطر على الدراســات النقدية التي تصدت للأصول التاريخية لمصطلــح التغريب، عدم الوضــوح، والتخبط في التخمينات. والأســباب



ببســـاطة شـــديدة هي أن هذا المصطلح بدأ يظهر في كتابات بريشت بعد زيارته الثانية للاتحاد الســـوفييتي، وإقامته في موســـكو عام ١٩٣٥م، ولأنه يسهل إثبات أنه مصطلح أساسي للشكلانيين الروس، لذلك وقر في الأذهان أن بريشـــت قد أخذه عنهم، وتحديدا من فيكتور شكلوفســـكي، حيث صك شكلوفســـكي هذا المصطلح في كتاباته ســـنة ١٩١٧. كمـــا تزامن في هذه الفترة انتشار المصطلح الهيجلي الماركسي (Entfremdung) في ألمانيا، فتصور البعض الآخر أن بريشت أخذ هذا المصطلح من ماركس.

ويمكن الرد على هذه الآراء على النحو التالي:

١ – أن مجهودات وإســـهامات بريشـــت في هذا الاتجاه التغريبي سابقة على هذا التاريخ.

٢ – أن المصطلح الروســـي الشـــكلي يجعل الشـــخص غريبا، أو نادرا، وأن هـــذا المصدر يمتلك نظرة ســـاذجة لمعرفة العالم، ثم إن هذه النظرية لا تدعو إلى تغير هذا العالم، ولا تقود إلى تغيره، ولا تدعو حتى لذلك. كما أنها لا تعطي أكثر من شعور (إحساس بالغربة). إذن الشكلانيون استخدموه كمبدأ جمالي، وليس كموقف أيديولوجي، كما أن شكلوفسكي كان يهدف إلى تعديل اســـتقبال المتلقي للصورة الفنية من إبراز "الصنعة"، وتحقيق تفرد معين للمادة الأولية، بحيث لا يتم التعرف عليها بشكل عفوي وإنما من خلال إدراك واع. أما عند بريشـــت فلم يكن المبدأ جماليا فقط، وإنما كان موقفًا أيديولوجيًا وسياسيًا من خلال ربط التغريب بمقاومة الاستلاب الاجتماعي، وبهـــذا نقل المفهوم من معناه المرتبط بالتقنيـــات الجمالية إلى معنى أكثر شـــمولية وفاعلية، لأنه ربطه بالمسؤولية الأيديولوجية التي يحملها صاحب العمل الفني وينقلها إلى متلقيه.

٣ – أما المصطلح الهيجلي الماركســـي، فهـــو لا يختلف فقط من حيث الوظيفة، وإنما أيضـــا من حيث التركيب اللغوي (Entfremdung). وكان بريشـــت يســـتخدمه كناحية تكنيكية، أما الاغتراب عند هيجل فيعني: " أنّ



العالم هـــو الروح المطلق في حالة اغتراب"، وعنـــد ماركس يعني " وضعًا محـــددًا للمجتمع والإنســـان الذي يعيـــش فيه، والاغتـــراب كان يقصد به، اغتراب ثمـــرة إنتاج العامل عنه، أي عدم انتمـــاء الإنتاج لمنتجه، كما يعني عنده "فقدانه لذاته". وهـــذا المعنى انتهى إليه ماركس من خلال الفحص النقـــدي لوضع العامل في النظام الرأســـمالي، فالعامل مغترب عما ينتجه، لأن الإنتاج ليس لإشباع الحاجات الإنسانية، وإنما لزيادة رأس المال، ثم هو مغترب في عملية الإنتاج، حيث العمل لا يعبر عن تحكم الإنسان في الأشياء، وإنما تحكم الآلات والتنظيم الرأســـمالي، ثم هو مغترب عن ذاته الحقيقية، أي عـــن وجوده المتطور، أي عن الإنســـانية الكامنة فيه، وبذلك يتحول إلى سلعة.

وهذا الاســـتخدام بعيد كل البعد عن الاســـتخدام البريشـــتي، ذلك لأن بريشت يستخدمه كوسيلة فنية لتجاوز الاغتراب، أي وسيلة لتحرير الإنسان من الاغتراب نفســـه، ومن سحر التصورات والآراء المضللة. إنه تنحية لهذه الظواهر التي تحيط بالإنسان.

إذن لم يستق بريشت مصطلحه من الشكلانيين أو من ماركس، فقد رأينا كيف أن الشـــكلانيين يستخدمونه استخداما ميكانيكيا، حتى إن بريشت قد علق على ذلك قائلا: « إن الشـــكلانيين يرون في فن التغريب مجرد حيلة أو لعبة دون إدراك مساو لجوهره «.

أما الاســـتخدام البريشـــتي للتغريب فهو اســـتخدام ديالكتيكى، أهدافه تقصي الواقع، والكشـــف عن أســـباب ظواهره، والبحث عن وسائل إزالتها لتغيير هذا الواقع، والتغريب يتيح للإنســـان النظر إلى الموضوع بمســـافة كافيـــة ليراه على حقيقته ، ومن أجل اكتشـــاف الحقيقـــة والعمل على إزالة التضليل، يقوم بريشـــت بتغريب الشـــيء دون تحطيم لمزاياه الجوهرية، ولا يفرض عليه أي صفات من خارجه لتحقيق هذا التغريب، وهو التعرف على الشيء على حقيقته وتعميق الوعي به.



أسلوب الإخراج البريشتي:

عندما تفتح وعي بريشت الفكري و الفني كان الإخراج المسرحي يدور في دوامة التجريب، وكانت الواقعية تتقوض وتوجهات جديدة توضع على محك التجربة. وبريشت لم يتمرد فقط على الأسلوب الممل للواقعية الألمانية مثل الآخرين الذين سبقوه، بل تمرد كذلك على طريقة راينهارت البار وكية – على الرغم من أنه عمل معه وتأثر به– وعلى حمى التعبيريين الجدد. كان بريشت مخرجا ومؤلفا مسـرحيا يراقب دوما تجارب الآخرين، فيأخذ عن الآخرين ويرفض ويعدل النظرية بالممارسـة. يغير أفكاره عند تصور معين واختبار أي عرض جديد. ومن الخطوات التي اتخذها بريشت في أسلوبه الإخراجي ردم كل المسافات والفواصل التي كانت بين خشبة المسرح وصالة الجمهور بهدف كسـر التأثيـر الجمالي الذي قاد إلى الإيهام الـذي يؤدي بدوره إلى التأثير العاطفي، لأن بريشـت سعى بكل وسـائله إلى إيقاظ عقل المتلقي. ولا يعني هذا إغلاق باب العاطفة بشكل قاطع، ولكنه يريد للعاطفة أن تكون قدر الإمكان تحت السـيطرة، لا تنفلت حتى لا تطغـى على العقل فيحدث عجز التفكير وتعاطي المسلمات حتى ولو كانت خاطئة.

ويرى أن الممثل يجب أن يقوم بنوع من القراءة الدراماتورجية للدور ليفهم الصيرورة التاريخية التي تتحكم بأفعال الشـخصية وصفاتها، أي أنه يجعل من الممثل شريكا أساسيا في تحديد منحى العمل المسرحي. وتبادل الأدوار بين الممثلين ليتمكنوا من معايشة المواقف من وجهات نظر مختلفة.

كانت هذه بعض الإضافات التي ضمنها أسلوبه كوسيلة للإنعاش العقلي بعـد أن يحطـم المتفرج الإيهـام بالواقع، ويحتفظ بوجـوده المنفصل عن الأحداث، ويوفر له القدرة على النقد المحايد.

حول تطبيق مصطلح التغريب

اتخذ بريشت عدة خطوات لتحقيق التغريب في وسائل الإخراج والتمثيل



من هذه الإجراءات. نســتطيع القول بأن بريشــت كان له فضل الإغارة على تجارب الآخرين وصهرها وصياغتها في شــكل تعاليم. فنجده قد أصر في مقالاتــه النظرية المبكــرة على حتمية الهدف المســرحي وتعليماته، ولقد طالــب في كتاباته المتأخرة بوجوب المزاوجة بين الهدف التعليمي والإمتاع والســبب في إصراره الدائم على أن يجعل متفرجي المسرح في حالة يقظة عقلية مســتعدة للجدل والنقــاش الذي يرجع إلى حرصــه على مواجهتهم بقضايا إنســانية جادة تتطلب التقييم والحكم والسعي إلى تغييرها، ومن ثم فإن بريشــت الكاتب الملتزم يحتم تغريب المســائل السياسية والاقتصادية التقليدية، فالكاتب المسرحي الملحمي الذي بغرّب الرأسمالية - على سبيل المثــال - إنما يدعو متفرجيه إلى التشــكيك الذي يخضعها بمنطق القبول أو الرفض في الوقت ذاته و يوجب الاتجاه نحو البديل وهو في رأي بريشت «النظام الشــيوعي» مع أنه لم يكن في يــوم من أيام عمره عضوا لأي حزب شيوعي ولا حتى من كتابه ولا شك أن تطبيق هذه الغاية السياسية على هذا النحو إنما يرجع إلى مناصرة بريشــت للحركة الشــيوعية وليس إلى منطق النظرية البريشتية نفسها.

ولقد وضع بريشت سنة ١٩٣١م جدولا مشهورا عقد فيه مقارنة تناقضية بين العناصر الأساســية التي تبنى عليها المسرحية التقليدية أو الأرسطية كمــا دعاها والعناصر الأخرى التي تبنى عليها المســرحية الملحمية والتي تحقق التغريب الذي يدعو إليه، وهو إذا كان النص الأول «أرسطوطاليســي» يجري الحدث ويشــترك المتفرج فيه ويستهلك قدرته على ممارسة الفعل، ويســمح له بالانغماس في المشــاعر، فــإن النص الثاني يــروى الأحداث «يســردها» ويجعل المتفرج رقيبا ويوقظ قدرته على ممارسة الفعل ويطالبه بإصدار قرارات واتخاذ موقف.

إذا كان النــص الأول عبارة عــن تجربة ويجذب المتفرج إلى شــيء ما ويوحي له ويحافظ على مشــاعره ويعيشه في قلب الأحداث ويجعله يخوض في تجارب الشخصيات ويتقمصها فإن النص الثاني عبارة عن صورة للعالم



كما أنه يضع المتفرج في مواجهة شـــيء ما ويحاجج ويدفع بالمشـــاعر إلى أن تصبـــح وقائع ويحمل المتفرج على مجابهة ما يراه ومدارســـته، وإذا كان الإنسان في النص الأول يفترض معرفته وأنه غير قابل للتغيير، فإن الإنسان فـــي النص الثاني عبارة عـــن موضوع بحث وقابل للتغييـــر، وإذا كان النص الأول «الأرسطي» يتسم بالتشويق وانتظار النهاية وبارتباط كل مشهد بالآخر ارتباطا سببيا وبالنحو المتدرج وبتطور الأحداث في خط مستقيم وبحتمية الانقـــلاب وبأن الإنســـان شـــيء ثابـــت وأن الفكر هو الذي يحـــدد الوجود فإن النص الثاني يتســـم بالتشـــويق المتضمن في مســـار الحبكة وبقيام كل مشـــهد بذاته (وحدة مســـتقلة غير مرتبط بالأخر) وبالتركيبة المونتاجية (المســـرحيات عبارة عن تابلوهات) وبالأحداث الجارية في خطوط منحنية وبالقفزات المفاجئة وبأن الإنسان في عملية تحول وبأن الوجود الاجتماعي هو الذي يحدد الفكر، وإذا كان النص الأول في جملته يعتمد على الشـــعور فإن النص الثاني يعتمد على العقل والسبب وإلى جانب تلك العناصر البنائية في النص الملحمي اســـتخدم بريشت حيلا تكنيكية أخرى لتحقيق التغريب من ذلك مثلا، إنه كان يلجأ إلى تكرار الشخصية أو الحدث الواحد أكثر من مرة، ففي مسرحية الاســـتثناء والقاعدة سنة ١٩٣٠م تكثفت الأحداث التي ســـبق إن رآها المتفرجون معروضة على خشـــبة المسرح ومثلت جزئيا في مشـــهد المحاكمة في نهاية المسرحية وفي مســـرحية طبول في الليل سنة ١٩٢٢م يتناقـــش اثنان فـــي مطعم، وحين يرد زبون جديد يقوم الســـفرجي بتســـميعه النقاش السابق نفســـه، كما يلاحظ أن معظم مسرحيات بريشت تقاطـــع أحداثها الجارية بتعليقات مباشـــرة كأنها صادرة عن خطيب يواجه جمهـــوره وأحيانا تقاطع الأحداث بأغنيات أو مقطوعات شـــعرية أو يشـــبه محاضرة وهذه المحشـــورات قد تلخص الحدث أو تفســـره أو تعلق عليه أو تتنبأ بما يمكن أن يترتب عليه، كل هذه المسائل وغيرها تحقق التغريب في النص، أما التغريب في الإخراج والتمثيل والفرجة، فقد تعلم بريشت أولياتها من تجارب «ماكس راينهارت» وارفين بســـكاتور ولكنها سرعان ما أصبحت بالتجريب والممارسة لوازم أساسية وشبه خاصة في تنفيذه المسرحي.



لقد أخذ بريشـــت يســـتعين في إخراجه بعرض أفلام سينمائية أو صور فوتوغرافية أو شرائح مصورة تنعكس بالفانوس السحري على ستائر المسرح كمفســـرات للأحداث، ففي مســـرحية «الرجل هو الرجـــل» ١٩٢٧م عرض بريشـــت بالفانوس الســـحري صور الجنود الإنجليز وهم ضخام الأجســـام وجوههم قبيحة وصدورهم منتفخة كأنها محشـــوة، ويمشون بأرجل خشبية طويلة، وفي مسرحية حياة إدوارد الثاني سنة ١٩٢٤م، عرض الجنود بوجوه شاحبة للغاية لتعبر عن الذعر الذي انتابهم وهم يتقدمون إلى المعركة، كما استخدم في بعض المواقف المســـرحية ما يسمى بالحزام المتحرك الذي يتيح للشخصية القدرة على المشي المتواصل دون أن تغير مكانها من خشبة المســـرح وكثيرا ما استعمل بريشت ستارة المسرح الأمامية كحائط تنعكس عليه عناوين الفصول، وعندما تنفرج الستارة يظهر الديكور المسرحي الذي لا يشـــرح مكانية الحدث المســـرحي بالتفصيل كما هو الحال في المسرح الواقعي ولكن «يشـــير» إلى المكانية في إيجاز حتى يجنب المتفرج الاندماج في الحوادث إذا ما أحس بواقعية الظروف التي تحيط بها، وكان رأي بريشت أن صالة المتفرجين يجب أن تبقى مضاءة أثناء العرض أيضا حتى لا يفقد المتفرج يقظته أما خشـــبة المسرح في رأيه فيجب ألا تكون مجالا «لتغفيل» المتفرج عن طريق استخدام حي مسرحية من طبيعتها أن تجعله ينسى بأنه في مسرح، فإذا كانت أحداث المسرحية تجري في الليل مثلا فعلى المخرج أن يعلـــق قمرا صناعيا «يدل على الليل» ولكن لا يخلق صورة كاملة من الليل الطبيعي، ولهذا كان من الأفضل له أن تســـتحم خشـــبة المسرح في أضواء ساطعة حتى لا تهدهد أفكار المتفرجين وفي كتاباته الأولى قال بريشت إن مصادر التنوير على خشـــبة المسرح يجب أن تكون ظاهرة للمتفرجين حتى يشـــعرهم بأن مـــا يرونه هو «تمثيل في تمثيل»، ولكـــن في محاولته الأخيرة اكتشـــف أن ذلك يشـــتت أفكار المتفرج، وكذلك اقتضاه التغريب في إخراج إحدى مسرحياته أن يجلس الموسيقيون فوق خشبة المسرح ليؤدوا ألحانهم حتى يتبدد كل ما يمكن أن «يوهم» المتفرج بأنه يعيش داخل صورة مصغرة لما يجري في الحياة، وإذا كانت الوســـائل المعينة على الإخراج تساعد في



تحقيــق التغريب فإن الجزء الأهم من هــذا التحقيق يقع على عاتق التمثيل الذي يعد أشق عنصر في العرض الملحمي، ولهذا كان بريشت يتولى بنفسه تدريــب الممثلين فــي الاتجاه المضاد تماما لستانسلافســكي الذي ينادي بضرورة تقمص الممثل للشخصية التي يلعبها حتى تذوب شخصيته فيه.

إن بريشــت يرى أن الوظيفة الأساســية للممثل هو ألا يصبح الشخصية التــي يؤديها، بــل عليه أن يحتفظ بشــخصيته هو ثم «يقدم» الشــخصية المســرحية تقديما ســرديا حتى يتحقق بذلك مســافة فاصلة بين الممثل والشــخصية المؤداة وهذه المسافة مطلوبة بالنوعية والدرجة نفسيهما بين الممثــل والمتفرج، وهكذا يجب على الممثل أن يعرض الشــخصية معتبرا نفســه راويًا يقص على المشــاهدين وقائع حدثت لبعــض الناس في زمن مضى.

إن الممثــل الملحمي مرة أخرى يظهر الشــخصية المطلوب أداءها عن طريق ترجمة أقوالها إلى الشــخص الثالث تماما كما لو أنه يقتبس أو ينقل عن شخص غائب، وبهذا يتحول الفعل المضارع المسند إلى المفرد المتكلم «أنا» إلى فعل ماض مسند إلى المفرد الغائب «هو» فإذا كان على الشخصية أن تقــول مثلا: «أنا أفعل هذا» فإن الطريقة الملحمية تجعله يقول «إنه فعل هذا»، وقد أكد بريشت على ذلك في إحدى وصاياه للممثل بأن يقف موقف الرجل الذي ينحي ســيجارته المشــتعلة جانبا كي يحكي جليســه ويحاكي لجاليســه وقائع المشــهد الذي يقوم بســرده عليه وبهذه الطريقة يشــعر المتفرج بأنه شــخص «يحكي» ما حدث وليس هو الشــخصية نفســها بكل أبعادها الواقعية، وعلى هذا فــإن التهليل والتعظيم للطريقة التقليدية التي تمتدح الممثل لأنه لا يلعب دور «الملك لير» ولكنه «الملك لير نفســه» ليس لها مكان في المسرح الملحمي ولا يعني هذا أن الممثل ينبغي أن يظل باردا إذا ما كان عليه أن يصور شــخصية ذات مزاج انفعالي وإنما الذي لابد منه هو ألا تكون مشــاعر الممثل وحدها هي أساس مشاعر الشخصية الممثلة نفســها، وإذا كان بريشــت يطالــب ممثلا بأن يعرض القضيــة المطروحة



للمناقشة دون أن يدمج شخصيته في الدور فإنه كان يغير الحوار إلى لغة وصفية، وينصح ممثلا بأن يتبادل الدور مع زميله وبألا يفكر في الفصل المقدم فحسب، ولكن في كل الفصول والأفعال الممكنة التي من المحتمل أن تقدم بها الشخصية و الأبعد من ذلك أو الأغرب أن بريشت كان يطالب ممثله بأن يقسم متفرجيه إلى مجموعات من الأصدقاء والأعداء والفقراء والأغنياء وأن يعبر عن نفسه لكل مجموعة على حدة، وبهذا لا تستعبده الوتيرة الواحدة كما ينصح ممثليه بالتردد في التمثيل أو يبدأ عمله بأسلوب معين ثم ينهيه بأسلوب مخالف.

كما أن بريشت يطالب المتفرج بألا يذهب لمشاهدة المسرحية وهو مملوء أو مفعم بمشاعر التوقير والاحترام كما لو أنه متجه إلى كنيسة في صباح الأحد، بل عليه أن يتخلص من تلك المشاعر في حجرة الأمانات الملحقة في مقدمة المسرح والخاصة بإيداع المعاطف والمظلات إلى آخره، ويجب عليه بعد ذلك أن يجلس على مقعده في هدوء، وينظر إلى الأحداث المعروضة فوق خشبة المسرح دون أن يتنحى عن وعيه وموضوعيته، بل ينبغي عليه أن يصدر زمجرة احتجاج إذا ما كان هناك شيء لا يسره أو همهمة استحسان إذا ما كان هناك شيء يروقه وكأن صورة المتفرج المثالية في نظر بريشت كما لاحظ أحد النقاد تتمثل في شخص جالس في استرخاء فى حجرة معيشته وفي يده زجاجة من الجعة المثلجة، وأمامه سيجارته المشتعلة ولديه حرية التعليق.

إن بريشت لا يريد أن يقف متفرجوه موقفا سلبيا وإنما يريد أن يستجيب بوعي ونشاط للمشاكل المعروضة وأن يفكر فيها التفكير الإيجابي الذي يدفعه إلى التخلص منها وفي إيجاد الحلول الشافية فالتفكير لا يزيل من معرفة صاحبه بشئون العالم فحسب وإنما يزوده إلى جانب ذلك بمتعة جمالية.





مسرحية

الأم شجاعة

ترجمة: **د. عبدالرحمن بدوي**

تقديم ودراسة نقدية: **أ.د. عطية العقاد**





العنوان الأصلي للمسرحية

Bertolt Brecht
Mutter Courage und ihre Kinder
Eine Chronik aus dem Dreibigjahrigern Kaieg

Suhrkamp Verlag





الشخصيات

الأم شجاعة Mutter Courage

كترينة: بنتها الخرساء kattrin

إيليف: ابنها الأكبر Eillif

الجبن السويسري: ابنها الأصغر

الجياش(١)

العريف

الطباخ

القائد

واعظ الجيش

مدير إمدادات المدفعية

إيفت Yvette

(١) الذي يجند الناس في الجيش.



المعصوب [١]

عريف آخر

العقيد العجوز

كاتب

جندي شاب

جندي أكبر سنا

حلاق

زوجة الحلاق

شاب

امرأة عجوز

حلاق آخر

الحلاقة

(١) الذي وضع رباطات لجروحه.



فلاح شاب

حامل العلم

جنود

صوت





(١)

ربيع سنة ١٩٢٤. النقيب أو كسنشتيرنا يجند الجنود في دالارن للحملة الزاحفة على بولنده. البياعة (في معسكرات الجنود) إنه فيرلنج، المشهورة باسم «الأم شجاعة»، تفقد أحد أولادها.

طريق بالقرب من المدينة

(جياش وعريف يرتعدان من البرد)

الجياش : كيف يتيســر للمرء أن يجند فرقــة هنا؟ ياعريف، يخطــر ببالي أحيانا أن أنتحــر. إن النقيب يريد أن أجند أربع ســرايا حتى اليوم الثاني عشــر من هذا الشهر. ولكن الناس ها هنا من المكر والخبث بحيث لا يجعلونني أنام الليل. فبعد كل مشقة يظفر الإنسان بواحــد منهــم ويتغاضى عــن صدره الــذي كصدر الدجاجة وعن عروقه المتشــنجة، ويسكره، فيوافق علــى التجنيد ويوقع، وما أكاد أدفع ثمن المشــروب حتى يخــرج وأنا وراءه حتى الباب، لأني أســتريب: ويصدق ظني، وإذا به يهــرب، كالبرغوث حين تريد قصعــه. إن الرجل لا شــرف عنــده ولا كلمة له ولا شــعور بالواجب. لقد فقدت هنا ثقتي ببني الإنسان يا حضرة العريف.

العريف : هذا مفهوم، فمنذ زمن بعيد لم تنشب ها هنا حرب. فمن أين تأتيهم الأخلاق إذن؟ إن السلام هو الرقاعة،



أما الحرب فهي التي تخلق النظام. والإنسانية في وقت السلام تتمرغ في الأعشاب. والناس والدواب يبددون وكأن هذا ليس بشيء. وكل واحد يلتهم ما يحلو له: قطعة من الشحم على خبز أبيض وجبنة على الشحم. في تلك المدينة القائمة هناك، كم عدد الشبان والخيول الأصحاء؟ لا يعلم أحد. ذلك لأن أحداً لم يعدهم. لقد شاهدت أماكن لم تقع فيها حروب طوال ستين سنة، والناس الذين يقيمون فيها لم تعدلهم أسماء، ولم يعرف الواحد منهم نفسه. وفقط في الأماكن التي تستعر فيها الحرب نجد قوائم جيدة وسجلات وافية وأحذية محزومة وقمحاً في الزكائب، ودواب ورجالا أحصوا إحصاء دقيقاً وجندوا لأن الناس يعلمون إنه بغير نظام فلا حرب.

الجياش : هذا صحيح يا عريف.

العريف : والحرب، شأنها شأن كل ما له قيمة في هذه الدنيا، صعبة في البداية. فإذا اشتعلت صمدت، وعما قليل يفزع الناس من السلام، تماماً مثلما يفزع لاعبو الورق من ترك ورقهم، إذ عليهم حينئذ أن يقوموا بحساب خسائرهم. أما في البداية فالحرب تثير الفزع، لأنها تخرج الإنسان عن مألوف حياته، إنها شيء جديد عليه.

الجياش : انظر، ها هي ذي عربة قادمة. امرأتان وولدان.



عليـــك بالعجوزة أيها العريف. فإن لم تظفر بشـــيء فإني أقول لك إنني لن أســـتمر بعـــد واقفاً في ريح نيسان (أبريل) هذه الباردة.

(يسمع صوت الجمبارد. تمر عربة عليها غطاء، ويقودها شابان. الأم شجاعة وبنتها الخرساء تجلسان على العربة).

شجاعة : صباح الخير يا عريف!

العريف : (معترضـــاً الطريـــق): صباح الخير يـــا ناس! من أنتم؟

شجاعة : نحن بياعون. (تغني :)

يـــا عـــريـــفـــي كـــفـــى طـــبـــولا
يـــا عـــريـــفـــي أرح جـــنـــودك
إن عـــنـــدي مـــن الـــنـــعـــال
خـــيـــر عـــون عـــلـــى المـــســـيـــر
بـــالـــبـــراغـــيـــث والحـــقـــائـــب
بـــالمـــطـــايـــا وبـــالمـــدافـــع
يـــزحـــف الجـــنـــد فـــي المـــعـــارك
فـــامـــنـــحـــوهـــم إذن نـــعـــالا
وافـــى الـــربـــيـــع فـــهـــبـــوا
هـــيـــا إذن يـــانـــصـــارى!



الــثــلـــج ذاب وســـــالا
وارتـــــاح فـــي الـــرمـــس مـوتــي
مـــن لـــم يــــزل بـــعـــد حـيـا
يـــخـــوض حـــربـــاً ضـــروســا
يـــا عــريــفــي يــسـيــر جـنـدك
بـــلا طــعـــام إلـــى المـعـــارك
دع «شـجـاعــة» بـكـأس شـــراب
تــشــف جــنــداً مـــن المـجـاعــة
هــل مــن الــعــدل ضـــرب مـدفـع
فـــي بـــطـــون الجـــيـــاع؟ - كـلا
أشــبــعــوهــم - وأهــلــكــوهــم!
وافـــــى الـــربـــيـــع فــهــبـوا
هـــيـــا إذن يـــا نـــصــــارى!
الــثــلـــج ذاب وســـــالا
وارتـــــاح فـــي الـــرمـــس مـوتــي
مـــن لـــم يــــزل بـــعـــد حـيـا
يـــخـــوض حـــربـــاً ضـــروســا

العريف : في أي وحدة أنتم أيها المتخلفون؟

الولد الأكبر : الفرقة الفنلندية الثانية.



العريف : أروني أوراقكم.

شجاعة : أوراقنا؟

الولد الأصغر : ولكنها الأم «شجاعة»!

العريف : لم أسمع بها. ولماذا تدعى «شجاعة»؟

شجاعة : إنني أدعى «شجاعة» لأنني توجست خوفاً من الدمار، أيها العريف، واخترقت نيران ريجا ومعي خمسون رغيفاً في عربتي، وكانت قد بدأت تتعفن ولم يكن ثم مفر.

العريف : دعينا من هذه الحكايات، أين أوراقك؟

شجاعة : (تخرج حزمة من الأوراق من علبة زنك وتنزل من العربة): هذه كل أوراقي ياعريف. هذا كتاب صلوات من التتوتنج أستعمله للف الخيار المخلل. وهذه خريطة مورافيا، ويعلم الله هل أزورها يوماً، وإلا فلا فائدة في هذه الخريطة إلا للفئران، وهذه أوراق مدموغة تشهد بأن فرسي غير مصاب بحمى تقرح الأشداق، ولكن هذا الحيوان المسكين مات، وكان ثمنه خمسة عشر فلورينا، ولكني لم أدفعه أنا! فهل تكفيك هذه الأوراق؟

العريف : لا تحاولي أن تلفيني تحت ذراعك! وسأرد إليك وقاحتك. أنت تعلمين جيداً أنك في حاجة إلى رخصة.



شجاعة : التزم حدود الأدب ولا تقل لي أمام أولادي إني أريد أن ألفك تحت ذراعي. إنني لا شأن لي معك. إن رخصتي في الفرقة الثانية الفنلندية هي وجهي المستقيم الأمين. فإذا كنت لا تستطيع أن تتوسم ذلك، فأنت وشأنك.ولن أضع ختما على وجهي.

الجياش : يا عريف! إنني أشعر بأن هذا الشخص روحه غير سليمة. في الجيش النظام مطلوب.

شجاعة : لا، بل الحساء.

العريف : ما اسمك؟

شجاعة : إنه فيرلنج

العريف : إذن فأسماؤكم جميعا : فيرلنج؟

شجاعة : لماذا؟ أنا اسمي فيرلنج، أما هم فلا.

العريف : ظننت أنهم أولادك.

شجاعة : إنهم أولادي، ولكن هل معنى هذا أن أسماءهم جميعا واحدة؟ (وهي تشير إلى الأكبر) هذا مثلا اسمه إيليف نويوكي، لأن أباه كان يدعى دائماً اسمه كويوكي أو نويوكي. وإيليف لايزال يذكره، ولكنه شخص آخر هو الذي في ذاكرته، فرنسي له لحية مدببة. وفضلا عن ذلك فإن هذا الولد له ذكاء أبيه الذي كان رجلا خبيثاً يستطيع أن يجرد فلاحاً من سرواله دون أن يشعر. والأمر كذلك بالنسبة إلى



الآخرين: لكل منهما اسم[1].

العريف : ماذا! كل منهم له اسم غير الآخر؟

شجاعة : إنك تسلك مسلك من لايدري؟

العريف : إذن هــذا (مشــيراً إلــى الولــد الأصغــر)، يعني صيني؟

شجاعة : أبداً، بل هو سويسري

العريف : ولد بعد الفرنسي؟

شجاعة : بعد الفرنســي؟ أي فرنسي؟ لم يكن ثم فرنسي. لا تخلط بيــن الأمور، وإلا بقينا كذلك حتى المســاء. أقول إنه سويســري، ولكن اسمه فيوس Fejus وهو اسم لا شــأن له بأبيه، فأبوه كان له اسم آخر، وكان بناء يشيد الحصون.

(الولد الأصغر يشير إشارة الموافقة مبتسما. وكاترين تبتهج أيضاً)

العريف : وإذن كيف حدث أن سمي باسم فيوس؟

شجاعة : لا أقصــد شــتمك، ولكني أقول لــك إنك يعوزك الخيــال. حينما ولد ابني فيــوس، كنت مع هنغاري، وكان غير مكترث لذلــك، وكان مصاباً بكليته، والله يعلم أنه لم يعاقر الشراب أبداً. لقد كان رجلا طيباً. وهو شبيه به تماماً.

---

(١) المقصود: اسم الأب



العريف : لكنه لم يكن أباه!

شجاعة : ليكــن، ومع ذلك فإنه يشــبهه تماماً. إني أســميه «الجبن السويســري». (مشــيرة إلى بنتها) أما هذه فتسمى كاترين هاوبت، إنها نصف ألمانية.

العريف : حقاً إنها أسرة لطيفة!

شجاعة : نعم. ولقد تجولت في الدنيا بعربتي هذه.

العريف : سنســجل كل هــذا. (يكتب) أنت مــن بامبرج في بايرن، فكيف وصلت إلى هنا؟

الأم شجاعة : لم أستطع الانتظار حتى تتفضل الحرب فتصل إلى بامبرج.

الجياش : (مخاطباً الولدين) كان يجب أن تســميا يعقوب ثور وعيســو ثور لأنكما تجران العربة. إنكما لن تفلتا من هذه العربة أبداً.

إيليف : يــا أمــي، هل أصفعه علــى وجهه؟ إنــي أود ذلك فعلا.

شجاعة : وأنا أمنعك من هذا، اسكت. وأنتما أيها الضابطان، ألستما في حاجة إلى مسدس جيد أو رابطة حزام؟ إن رابطة حزامك مهلهلة يا عريف!

العريف : حاجتي ليســت إلى هذا. بل هاهما شابان جميلان قويان، مســتقيما القوام كالسرو، عريضا المنكبين،

قويا الركبة! إني أتساءل ماذا ينتظران لينخرطا في الجيش.

شجاعة : (بسرعة) لا فائدة يا عريف. إن أولادي لا يصلحون لمهنة الحرب.

الجياش : ولماذا؟ وفي الحرب يكسب المرء الذهب والمجد. إن الاتجار في الأحذية من شأن النساء. (مخاطباً إيليف) اخرج من الصف أنت. أرنا هل أنت رجل أو دجاجة. تقدم.

شجاعة : إنه دجاجة . يكفي النظر إليه بقسوة ليصاب بإغماء.

الجياش : ويصرع عجلا مع ذلك، أليس كذلك؟ (يريد أن يقتاد إيليف).

شجاعة : ألا تتركه وشأنه؟ إنك لن تأخذه.

الجياش : لقد أهانني وأراد أن يصفعني. فلنذهب كلانا إلى الميدان، وهناك نفض مشاكلنا كرجال.

إيليف : لا تقلقي يا أمي، فأنا كفيل به.

شجاعة : ابق هنا يا شيطان! إني أعرفك، وأعرف أنك لا ترمي لغير الجروح والأورام. (مخاطبة الجياش) إن معه مدية، وسيجعلك تفيض دماً.



الجياش : سأنتزعها منه انتزاعي لسن اللبن. تعال، يافتى.

شجاعة : يـــا عريف، ســـأتولى إبلاغ هذا للعقيد. ســـيدخل كلاكما السجن. إن الملازم يغازل بنتي.

العريف : بهـــدوء يا رفيقـــي. (مخاطبـــاً الأم شـــجاعة) ما اعتراضـــك على الجيش؟ لقـــد كان والد هذا الفتى جندياً، أليس كذلك؟ لقد مات ميتة الشجعان، وأنت نفسك قلت ذلك.

شجاعة : لقد مات، هذا كل ما حدث. (مشيرة إلى إيليف) إنه لا يزال بعد طفلا. إنني أعرفكم: ســـتأخذون به إلى المذبحة، وتتقاضون خمسة فورينات نظير ذلك.

الجياش : ســـنعطيه أولا خـــوذة جميلـــة وحذاءيـــن طويلين جميلين.

إيليف : (بكراهية) لا أريد أن أتلقى منك شيئاً.

شجاعة : «تعالـــى معي للصيد» هكذا يقـــول الصياد للطعم. (مخاطبـــة الجبن السويســـري) اجـــر واصرخ إنهم يريـــدون اختطاف أخيك. (تســـتل مدية) حاولوا أن تخطفـــوه، وأنا أســـيل دماءكم يا أوغاد. ســـأعلمكم الحرب معهـــم. نحن نبيع الأقمشـــة واللحم المقدد بيعا شريفاً، ونحن قوم نحب السلام والهدوء.

العريف : صحيح؟ بجدك هذا! ألا تخجلين؟ هذا يشاهد من المدية التي تشـــهرينها! ألقي بمديتك، أيتها العجوز



الشـــهربة! لقد اعترفت منذ قليل أنك تتعيشين من الحـــرب، وإلا فمن أين تكســـبين إذن قوتك؟ وكيف تكون ثم حرب، إذا لم يوجد جنود؟

شجاعة : ليس من الضروري أن يكون الجنود من أولادي.

العريف : تريدين أن تأخـــذي الثمرة، وعلى الحرب أن تلتهم البراعم. وأولادك يســـمنون من الحرب، ولا تريدين أن تدفعي شـــيئاً نظيـــر ذلك. وأنت، ألا يســـمونك شـــجاعة؟ ومع ذلك تخافين من الحـــرب وهي التي تعطيـــك طعامك؟ أولادك لا يخافون من الحرب، أنا أعرف ذلك عنهم.

إيليف : إني لا أخاف من أي حرب.

العريف : ولماذا تخافين منها؟ انظري إلي، ألا ترين أن الحياة العســـكرية قد لاءمتني؟ لقد انخرطت فيها وأنا في السابعة عشرة من عمري.

شجاعة : إنك لم تبلغ السبعين بعد!

العريف : سأبلغها.

شجاعة : نعم، ربما وأنت ترقد في التراب.

العريف : تريديـــن أن تهيننـــي وتقولـــي إنني ســـأموت عما قريب؟

شجاعة : وإذا كانـــت هذه هي الحقيقـــة؟ وإذا كنت أرى أنك مختوم بختم الموت القريب؟ وإذا كنت أرى أنك لست



إلا جثة في إجازة؟

الجبن السويسري : إن لديها الإبصار الثانـــيٍ، كل الناس يقولون ذلك. إنها تقرأ المستقبل مقدماً.

الجياش : إذن انظري في طالع العريف، فهذا سيبعث السرور في نفسه.

العريف : إني لا أعتقد في ذلك.

شجاعة : هات خوذتك!

(يعطيها الخوذة).

العريف : هذا لا يســاوي أكثر من فقاعة في الماء. لكنه قد يبعث على التسلية.

شجاعة : (تأخذ ورقة من البرشــمان وتمزقها): يا إيليف ويا جبن سويسري ويا كترينة، سنمزق نحن جميعاً هكذا، إذا نحــن خضنا غمار الحــرب. (مخاطبة العريف) ســأقرأ بختك مجاناً بطريقة اســتثنائية. سأرســم صليباً أســود على هذه الورقة. إن اللون الأسود هو الموت.

الجبن السويسري : والأخرى تظل بيضاء، كما ترى.

شجاعة : أطــوي قطعِ الــورق هكذا. ثم أخلطهــا، كما نحن مختلطون معاً، بمجرد خروجنــا من بطون أمهاتنا. والآن اسحب ورقة، وستعرف مصيرك.



(العريف يتردد).

الجياش : (مخاطباً إيليف) إنني أجند أي إنسان اتفق، وليس من السـهل إرضائي، والناس جميعـاً يعرفون ذلك عني. ولكن فيك اندفاعاً وهذا يسرني.

العريف : (يتحسـس ورقة وهو يتردد) هذه حماقات! خداع بصر!

الجبن السويسري : لقد سحب صليباً أسود. قضي عليه.

الجياش : لا تتزعج فليست كل الطلقات تقتل.

العريف : (بصوت مبحوح): لقد خدعتني.

شجاعة : (ضاحكـة) أنت خدعت نفسـك منـذ اليوم الذي صرت فيه جندياً.

والآن فلنمض في طريقنـا، فالحرب لا تقع كل يوم، ويجب أن أتحرك.

العريف : بكل الشـياطين أقسـم بأني لن أدعك بعد تغررين بنا. سنأخذ ابنك ليكون جندياً.

إيليف : أنا أريد ذلك حقاً يا أمي.

شجاعة : أغلق شدقيك، أيها الشيطان الفنلندي!

إيليف : والجبن السويسري يريد أيضاً أن يصبح جندياً.

شجاعة : هذا شـيء جديد عليّ. إذن فاسحبوا أنتم الثلاثة أوراق طوالعكم.



(تعدو إلى الخلف، وترسم صلباناً على الورق)

الجياش : (مخاطبـــاً إيليـــف) إن الناس يحاولون أن يســـيئوا إلى ســـمعتنا بأن يقولوا إننا غارقون في التقوى، في معسكر الســـويديين. وهذا افتراء فنحن لا نغني إلا في أيام الآحاد، ومزموراً واحداً فقط، ولا يقوم بذلك إلا الذين عندهم صوت جميل.

شجاعة : (وقـــد عـــادت ومعهـــا الأوراق، تضعهـــا في خوذة العريف) هؤلاء العفاريـــت يريدون أن يهجروا أمهم، وأن يعضوا على الحرب كعض السمك على السنانير، لكني سأســـتطلع الأوراق، وســـترون أن العالم ليس وادي مســـرات، طالما يرن هذا النشيد: «تعال معي يا بنـــي، فنحن في حاجة إلى ضبـــاط في الميدان. أيها العريف إنني بســـببك أشـــعر بمخاوف شديدة، لعلها لن تحدث لي بسبب الحروب. إن لديكم صفات رهيبة، أنتم الثلاثة (تقدم الخوذة إلى إيليف) اسحب ورقة بختك (يسحب ورقة ويفتحها، فتنتزعها منه.) هـــذا صليب! يالـــي من أم مســـكينة، يالي من والدة حافلة بالآلام. يموت؟ في زهرة العمر يجب أن يهلك! إذا أصبح خبيثاً فعليه أن يعض على الأعشاب، هذا واضح. إنه جسور جداً، مثل أبيه. وإذا لم يكن عاقلا، فإنه سيســـلك ســـبيل اللحم، هذا ما تقوله الورقة. (تنظر بإمعان) هل تكون عاقلا؟



إيليف : ولم لا؟

شجاعة : تكون عاقلا إذا بقيت مع أمك، وإذا سـخروا منك ووصفوك بأنك دجاجة، فما عليك إلا أن تهزأ بهم.

الجياش : (مخاطبــاً إيليــف) إذا كنت تبول في سـراويلك، فسأخذ أخاك.

شجاعة : قلــت لك اهزأ بهــم. اهزأ واســخر! وأنت ياجبن سويســري، اســحب ورقتك. بيد أن مخاوفي عليك أهــون، فأنت أميــن (يأخذ ورقة من الخــوذة) أوه! لماذا تتطلع إلى الورقة على هذا النحو الغريب؟ من المؤكــد أنها بيضاء. لا يمكن أن يكون عليها صليب. أنت يجب ألا أفقدك.

(تأخذ الورقــة) صليب؟ حتى أنت! أيكون ذلك لأنك في غاية السذاجة؟ أوه! يا جبن سويسري! ستهلك إذا لم تبق شــريفاً دائماً وفي كل مكان، كما علمتك منذ نعومة أظفارك. إنك كنت ترد إلي دائماً باقي النقود حينما تعود من شــراء الخبز. هذا أملك الوحيد في الخلاص. انظر أيها العريف، هل هو صليب أسود؟

العريف : إنه صليب. لكني لا أفهم لماذا سحبت واحداً، إنني أبقى دائما في المؤخرة.. (مخاطباً الجياش) إنها لا تغش. فأولادها أيضاً أصابهم نفس المصير.

الجبن السويسري : إنه أصابني أيضاً وأنا أسلم بهذا المصير.

شجاعة : (مخاطبــة كترينه) والآن لم يعــد لي غيرك. وأنت نفســك صليب وقلبك طيب. (تقــدم إليها الخوذة، وتســحب هي الورقة) كدت أيــأس! هذا لا يمكن أن يكــون صحيحاً، لعلي قد ارتكبــت غلطة في الخلط بيــن الأوراق. لا تفرطي في طيــب القلب يا كترينة، ولا تكونــي أبداً طيبــة القلب، ففــي طريقك أيضاً صليب. وكوني هادئة دائماً، وهو أمر لايشــق عليك، فأنت خرساء. وهكذا أنتم تعلمون الآن ما ينتظر كلا منكم. فكونوا على حــذر، إنكم في حاجة إلى ذلك. والآن فلنركب ولنمض في سيرنا. (تعيد إلى العريف خوذته وتصعد العربة).

الجياش للعريف : افعل شيئاً.

العريف : إنني أشعر بتوعك في مزاجي.

الجياش : لعلك أصبت بالبرد، بعد أن خلعت خوذتك في هذه الريح. اشــتر منها شيئاً. (بصوت عال) يمكنك على الأقل أن ترى رابطة الحزام، أيها العريف. إن الناس الكرام يتعيشــون من التجارة، أليس كذلك؟ اسمعي! إن العريف يريد أن يشتري منك رابطة الحزام.

شجاعة : إنها تساوي نصف فلورين، والواقع أن قيمتها فلورينان.

(ينزل من العربة).

العريف : إنها ليســت جديــدة. إن الريح تهب شــديدة، وأنا



أريد أن أفحصها بروية. (يذهب برابطة الحزام وراء العربة).

شجاعة : إني لا أشعر بتيار هواء.

العريف : ربما تساوي نصف فلورين، إنها من الفضة.

شجاعة : (تذهب إليه وراء العربة) إنها تزن ست أوقيات..

الجياش : (مخاطباً إيليف): وسنشرب كأساً بيننا نحن الرجال. إن معي نقوداً، تعال. (إيليف يتردد)

شجاعة : إذن، نصف فلورين.

العريف : أنا لا أفهم من الأمر شيئاً. إنني أبقى دائماً في مؤخرة الجيش. وليس ثم مكان أكثر أماناً من هذا، إذا كان المرء عريفاً. هنالك تستطيع أن تبعث بالآخرين إلى الجبهة ليكسبوا المجد. لقد ضاعت كل شهيتي لتناول طعام الغداء. ولن أستطيع تناول شيء أبداً.

شجاعة : لا تأخذ الأمور مأخذ الجد حتى لا تستطيع أن تتناول شيئاً. قف دائماً في المؤخرة. والآن اشرب كأساً من ماء الحياة أيها الرجل.

(تناوله كأساً).

الجياش : (يمسك بإيليف من ذراعه تحت أبطه ويجره إلى الوراء): عشرة فلورينات في يدك، وتصبح رجلا شجاعاً تقاتل من أجل الملك، والحسان يتهافتن من



حولك. ولـــك الحق في أن تصفعنـــي، لأني أهنتك.
(كلاهما يخرج).

(كترينة الخرساء تثب من العربة وتصرخ صرخات مزعجة).

شجاعة : حالا، يـــا كترينة، حالا. إن الســـيد العريف لايزال يدفـــع. (تعض علـــى نصف الفلوريـــن) إنني عديمة الثقة في كل نقود. لقد احترقت أصابعي من هذا، يا عريف. لكن هذه العملة جيدة. والآن فلنتابع مسيرنا. أين إيليف؟

الجبن السويسري : لقد ذهب مع الجياش.

شجاعة : (تبقى صامتـــة ثم تقول) أيهـــا المغفل! (مخاطبة كترينـــة) أنا أعلم أنـــك لا تســـتطيعين الكلام، إنك بريئة.

العريف : وأنت أيضاً اشـــربي كأســـاً أيتهـــا الأم. هكذا حال الدنيـــا. إن حال الجندي ليس أســـوأ الأحوال. أنت تريدين أن تتعيشـــي من الحرب، لكنـــك تريدين أن تبقي أنت وأولادك بعيدين عنها، أليس كذلك؟

شجاعة : الآن يجـــب عليك أن تجـــري العربة أنت وأخاك يا كترينة.

(الأخ والأخت يجران العربة. الأم شجاعة تسير إلى جوارهما العربة تمضي في طريقها).

العريف (وهو ينظر إليهم):

كل من يبغي من الحرب مكاسب

ينبغي أن يدفع السعر لها.



(٢)

في خلال عامي ١٦٢٥، ١٦٢٦ كانت الأم شجاعة تصاحب موكب الجيوش السويدية خلال بولنده. وأمام حصن فلهوف تجد ابنها. صفقة بيع ديك موفقة، ويوم مجيد لابنها الجسور.

خيمة القائد

(بالقرب من الخيمة: المطبخ. ضرب المدافع. الطباخ يتنازع مع الأم شجاعة، التي تريد أن تبيع له ديكا).

الطباخ : ستون درهماً من أجل طائر هزيل؟

شجاعة : طائر هزيل؟ هذه الدابة السمينة! إن قائدك يمكنه أن يدفع ستين درهماً في ديك. وويل لك إن لم يجد شيئاً يأكله ساعة الغداء.

الطباخ : ديوك مثل هذا الديك، أي تاجر يعطيني دستة منها لقاء عشرة دراهم.

شجاعة : ماذا تقول؟ هل تجد ديكاً كهذا عند أي تاجر؟ الآن حيث الحصار والمجاعة التي تنسلخ من هولها الجلود! ربما تستطيع أن تجد فأراً، وأقول: ربما، لأن الفئران قد أكلوها هي الأخرى. لقد ظل خمسة رجال يجرون وراء فأر جائع طوال نصف يوم ليصطادوه ويأكلوه. خمسون درهماً ثمناً لديك سمين هائل أثناء الحصار!



الطباخ : لســـنا نحن المحاصرين، بل الآخـــرون. إنما نحن الذيـــن نحاصرهـــم، يجب أن يكون هـــذا في علمك نهائياً.

شجاعة : لكـــن ليس عندنا ما نأكله. بل نحن أســـوأ حالا من أولئـــك المحصورين في داخل المدينة، لأنهم أخذوا معهم كل شيء، وهاهم يعيشون في رغد، كما سمعت. أما نحن! لقد ذهبت إلى الفلاحين فلم أجد عندهم شيئاً.

الطباخ : بل عندهم، ولكنهم يخبئونه.

شجاعة : (بلهجة الانتصار): لا، ليس عندهم شيء. لقد فقدوا كل شـــيء، هذه هي حقيقة حالهـــم. إنهم يقرضون قماش الجوع. لقد رأيت بعضهم يستخرجون الجذور من الأرض ليأكلوها من شدة الجوع ويلعقون أصابعهم بعد ســـيور جلدية مطبوخة. هذا هـــو الوضع. وأنا عندي ديك، ولا تريد أن تشتريه إلا بأربعين درهماً.

الطباخ : بثلاثين، لا بأربعين. لقد قلت: بثلاثين.

شجاعة : إنه ليس بديك عادي. إنه حيوان ذو مواهب عظيمة. كما قيـــل لي، حتى إنه كان لا يـــأكل طعامه إلا على صوت الموسيقى، موسيقى المارش الخاص به. إنه من الذكاء بحيث يســـتطيع الحساب. ومع ذلك أنت تـــرى أن مبلغ الأربعين درهمـــاً مبلغ كبير! إن القائد سيقطع رقبتك إذا لم يجد شيئاً على المائدة.



الطباخ : ألا تريــن ما أفعل؟ (يأخذ قطعة من اللحم البقري ويبــدأ في تقطيعها) هذه قطعــة من اللحم البقري، وسأحمرها وأعطيك مهلة أخيرة للتفكير.

شجاعة : حمرها، هذه القطعة من العام الماضي.

الطباخ : إنها من مســاء أمس، من الثور الذي رأيته بنفسي يجري.

شجاعة : لابد أنه كان يتعفن حياً.

الطباخ : ســأطبخه طوال خمس ســاعات إذا كان لابد من ذلك، وسنرى أنه لايزال يتحمل. (يقطع).

شجاعة : وأضف إليه كثيراً من الفلفل حتى لا يشــعر القائد بأنه متعفن.

(يدخل الخيمة القائد والواعظ وإيليف).

القائد : (مســتنداً إلى كتف إيليف): أدخل يا إيليف يابني! أدخل عند قائدك. واجلس على يميني، لأنك ناضلت نضــال الأبطال الأتقياء. إن مــا فعلته قد فعلته في ســبيل الله في هذه الحرب المقدســة، وإني لأقدر عملك. وأكافئك بسوار من الذهب الخالص، فانتظر حتى أســتولي علــى المدينة. لقد جئنــا هنا لنجاة أزواجهم، فماذا يفعلون، هــؤلاء الفلاحون الخنازير الأدنياء؟ إنهم يهربون قطعانهم، ويعلفون قساوستهم مــن الأمام ومن الخلف. أمــا أنت فقد علمتهم كيف

يعيشـــون. وإني أهديك قارورة من الشراب الأحمر، فلنشـــربها معاً في جرعة واحدة ! (يشـــربون). أما الواعظ. فسيحصل على الثمالة. إنه تقي ورع. وماذا تريد أن تأكل في الغداء. يا حبيب قلبي؟

إيليف : طبقاً من اللحم. ولم لا؟

القائد : يا طباخ. هات لحماً.

الطباخ : ويأتي بضيوف. وليس عندنا طعام!

(شجاعة تجعله يسكت لتسمع).

إيليف : إن ضرب الفلاحين يجعل المرء جائعاً.

شجاعة : يا إلهي. هذا ابني إيليف!

الطباخ : من؟

شجاعة : إنـــه ابني الأكبر، لم أره منذ ســـنتين. لقد خطفوه منـــي في الطريق العام. لابد أنه قد بلغ رتبة عظيمة حتـــى يدعوه القائد إلى مائدته وأنت، ماذا ســـتقدم لهم؟ لا شـــيء! هل ســـمعت؟ إن ضيف القائد يريد لحماً. نصيحتي لك أن تأخذ الديك فوراً، إنه يساوي فلورينا.

القائد : (يجلـــس إلى المائدة هو وإيليف والواعظ ينادي): الطعام، يا بهيم، الطعام بسرعة وإلا خنقتك.



الطباخ : هات ديكك يا سفاحة!

شجاعة : لم يعد إذن طائراً هزيلاً؟

الطباخ : إنــه طائر هزيل. ومع ذلك أعطني إياه. خمســون درهماً – هذا المبلغ خطيئة.

شجاعة : قلت: بفلورين. لا شيء غاليا من أجل القائد العزيز، ابني الأكبر.

الطباخ : ولكن انتفي ريشه على الأقل إلى أن أشعل النار.

شجاعة : (تجلس لتنتف ريشه) لو رآني. فبأي وجه يبدو! إنه ابني الجســور العاقل. إن لي ابناً غبياً، ولكن أمين. أما ابنتي فليست بشيء.

على الأقل لا تتكلم. وهذا أمر له شأنه.

القائد : اشــرب كأســاً آخر يا بني، إنه شــراب عندي. لم يعــد لدي منه غير باطية أو اثنتين على الأكثر، لكني لا آســف على ذلك، لأنــك قدمت لي الدليل على أن الإيمــان الصادق المقدس لم يمس بعد في الجيش. أما راعي النفوس هذا فلا يجيد غير الوعظ ويتفرج علينا ونحن نقاتل. ولا يعرف كيف يكون العمل. والآن يــا إيليف يا بني بأي حيلة خبرني احتلت على هؤلاء الفلاحين وأخذت عشرين ثوراً؟

إيليف : حدث ما يلي: علمــت أن الفلاحين كانوا ينتهزون فرصة الليل ليقتادوا ثيرانهم سراً إلى غابة صغيرة.



ثم يأتي سكان المدينة لأخذها. وتركتهم يحشدون ثيرانهم، تركتهم يفعلون ذلك، ورجالي قد عودتهم على اللحم، ثم نقص المقدار المخصص لكل منهم طوال يومين، حتى يسيل لعابهم إذا سمعوا كلمة تبدأ بالحرفين لحـ... مثل «لحظة».

القائد : لقد كنت داهية في ذلك.

إيليف : ربما. وبعد ذلك كان الأمر يسير من تلقاء نفسه. غير أن الفلاحين كانوا مسلحين بالهراوات، وعددهم أكبر من رجالي بثلاث مرات. فهجموا علينا هجوماً مباغتاً عنيفاً. وأربعة منهم هجموا عليّ ودفعوا بي إلى أعماق الغابة. وانتزعوا السيف من يدي، وصاحوا: سلم! فقلت لنفسي: ماذا أفعل؟ سيمزقونني إرباً إرباً، هذا مؤكد!

القائد : فماذا فعلت إذن؟

إيليف : قهقهت.

القائد : ماذا؟

إيليف : نعم، قهقهت. وبدأ الحديث- ورحت أساوم فقلت: إن عشرين فلوريناً ثمناً لثور، هذا مبلغ كبير عليّ. فاقترحت خمسة عشر، وكأني كنت أنوي فعلا أن أدفع. فغروا أفواههم، وحكوا رؤوسهم. وبحركة سريعة مفاجئة التقطت سيفي، ومزقتهم شر ممزق، لأن الضرورة لا تعرف قانونا - أليس كذلك؟



القائد : ما قولك في هذا يا راعي النفوس؟

الواعظ : هذه المسألة لا توجد بنصها في الكتاب المقدس. غير أن سيدنا (المسيح) استطاع أن يجعل من خمسة أرغفة خمسمائة رغيف؛ ولم يكن ثم آنذاك مجاعة، وكان في وسعه أن يطالب الناس بأن يحبوا جيرانهم، لأن الناس كانوا شبعى! أما اليوم فالأمر بخلاف ذلك.

القائد : (ضاحكا): مختلف تماماً. اشرب كأساً أيها الفرنسي. (مخاطباً إيليف) إذن مزقتهم إرباً إرباً. هذا رائع، حتى يكون لرجالي قطعة جيدة من اللحم بين أسنانهم. ألم يرد في الكتاب المقدس: ما تفعلونه لأصغركم تفعلونه من أجلي؟ وماذا فعلت لرجالي؟ وجبة ممتازة من لحم البقر هيأتها لهم، وهم لا يريدون بعد أن يأكلوا خبزاً متعفناً، بعد أن صاروا يجاهدون في سبيل الله، وقد كانوا من قبل يتناولون في خوذاتهم طعاماً بارداً يتألف من خبز جاف وشراب.

إيليف : نعم، أسرعت فتناولت سيفي وهويت عليهم فمزقتهم.

القائد : إن في قلبك تكمن روح قيصر. يجب أن تذهب وتلقى الملك.

إيليف : لقد رأيته من بعيد؛ كأن الشمس نور– أود أن أقتدي به.



القائد : إن فيك شـــيئاً منه. إنني أحترم الجنود الشـــجعان مثلك يا إيليـــف. إنني أعامل الشـــجاع مثلك كأحد أبنائي. (يقتاده إلى ناحية خريطة العمليات الحربية): انظر إلى الموقع يا إيليف! إننا لانزال في حاجة إلى كثيرين من أمثالك.

شجاعة : (وكانت تتســمع، وهي الآن تنتف الريش بعصبية) لابد أن يكون هذا القائد فاسداً جداً.

الطباخ : إنه فهم، ولكن لماذا يكون فاسداً؟

شجاعة : لأنه في حاجة إلى جنود شـــجعان، إذا كان يحسن وضـــع الخطط الحربيـــة، فلماذا يحتـــاج إلى جنود شـــجعان؟ إن أفعالا عاديـــة تكفي. وعلـــى كل حال فحيـــث توجد فضائـــل عظيمة، فلابـــد أن يكون ثم شيء فاسد.

الطباخ : أنا كنت أظـــن أن وجود فضائل عظيمة هو علامة طيبة.

شجاعة : كلا، بل هذا دليل على وجود شيء فاسد.

لماذا؟ حينما يكون القائد أو الملك أحمق ويقود رجاله إلى مـــآزق، فإن الأمر يحتاج إلى شـــجاعة الجنود. وإلـــى الفضيلة، وإذا كان بخيـــلاً جداً ولا يجند غير عـــدد قليل جداً من الجنود، فـــلا بد أن تكون قوتهم كقوة هرقل. وإذا كان لا يهتم بشيء ولا يبالي، فلابد



أن يكونـوا حصيفيـن كالأفاعـي، وإلا كان الهلاك مصيرهم، وإذا أرهقهم بمطالبه، فإنهم لا يصمدون إلا بفضـل الأمانة والإخلاص، وكل هذه الفضائل لا حاجـة بالناس إليها في بلد يسـوده النظام له ملك ممتاز وقواده بارعون، في البلد الطيب لا حاجة إلى الفضائل الكبرى، بل تكفي الفضائل العادية.

ويمكـن أن يكون الناس مغفلين، بـل وجبناء إذا لزم الأمر.

القائد : أراهن أن أباك كان جندياً.

إيليف : جندياً عظيماً، فيما سمعت، ولهذا فإنك حذرتني من ذلك، وإني أعرف أغنية بهذا الصدد.

القائد : غنها لنا! (صارخاً) هل فرغت من الطعام؟

إيليف : هذه الأغنية اسمها: «أغنية المرأة والجندي».

(يغني وهو يرقص رقصة عسكرية بسيفه)

طلقا المدفع تنطلق.

والمـديـة تـقـطـع مـا تجـد
والمـاء الـعـابـر يـبـتـلـع
«والـثـلـج - أتمـلـك تـدفـعـه؟
لـكـن حـذراً مـنـه ولا تـذهـب»



المـــــــــرأة قـــالـــت لـــلـــجـــنـــدي.

والجـــنـــــدي الــشــاكـــي يـبـتـسـم

ينصب للطبل ويرتحل:

«الـسـيـر - مـتـى آذى أحـــداً ؟!

يــنــحــدر جــنــوبــاً أو يــصــعــد

والمـــديـــة فـــي الـــكـــف تـــرف»

الجندي رد على المرأة:

مـــن يـــهـــزأ بـــالحـــكـــمـــة يـــنـــدم

إن تـــذهـــب تـــعـــثـــر بـــالمـــوت -

المـــــــرأة قـــالـــت لـــلـــجـــنـــدي

والجـــنـــدي، والخـــنـــجـــر فـــي خـــصـــره

يمـــضـــي والـــبـــســـمـــة فـــي ثـــغـــره

فـــي المــــاء- وهـــل يـــؤذي المــــاء؟

ســنــعــود مـــع الـــبـــدر الـــزاهـــي

إن رف عـــلـــى ســـقـــف الـــبـــيـــت»

الجـــنـــدي رد عـــلـــى المـــرأة

شجاعة : (فـــي المطبخ تكمـــل الأغنية وهي تـــدق على إناء بملعقة)



«ستبيد كدخان يمضي
وتبيد حرارة أنفاسك
أعمالك لا تعطي دفئا!
يمضي الدخان على عجل
الله يصون يا ولدي»
المرأة قالت للجندي

إيليف : ما هذا؟

شجاعة : (تتابع الغناء)

والجندي، والخنجر في خصره
قد غاص وهوى في الماء
والماء العابر يبتلع
والبدر تبدى للكوخ
والجندي غاص مع الثلج-
ما قال الجندي للمرأة؟
قد باء كدخان باء
تركته حرارة أنفاسه
وفعال المجد وصولاته
لم تفلح في رد حياته
من يهزأ بالحكمة يندم



القائد : إنهم يستبيحون اليوم كل شيء في مطبخي.

إيليف : (يدخل المطبخ، يعانق أمه)؛ آه ما أسعدني أن

شجاعة : (وهي بين ذراعيه): إنهم سعداء كالسمك في الماء. إن الجبن السويسري أمين صندوق في الكتيبة الثانية. وهو بهذا على الأقل لا يشترك في القتال. ولم أفلح في أن أثني عزمه على الانخراط في الجيش.

إيليف : وكيف حال قدميك؟

شجاعة : في الصبح أجد دائماً صعوبة في لبس الحذاء.

القائد : (وقـــد انضم إليهما): أنت إذن أمه. هل لديك أولاد آخرون شجعان مثله تعطيهم لي؟

إيليف : يالها من صدفة! تأتين في اللحظة التي تســـمعين فيها أنباء المجد الذي ناله ابنك!

شجاعة : نعم! لقد سمعت كل شيء. (تصفعه).

إيليف : (ممسكاً خده): أهذا لأني استوليت على الثيران؟

شجاعة : كلا، بـــل لأنـــك لم تستســـلم حينمـــا انقض عليك الفلاحون الأربعة ليمزقوك إرباً إرباً. لقد قلت لك خذ حذرك. ألم أقل لك ذلك. أيها العفريت الفنلندي؟!

(القائد والواعظ واقفان عند الباب يضحكان).



(٣)

وبعد ذلك بثلاث سنوات كانت الأم شجاعة أسيرة هي وباقي الكتيبة الفنلندية. وتفلح في إنقاذ ابنتها وعربتها، ولكنها تفقد ولدها الأمين.

(معسكر، في أعلى السارية علم الكتيبة. الوقت وقت العصر. والعربة حافلة بالبضائع الجديدة. مدفع. بين العربة والمدفع حبل غسيل مشدود. كترينة تطوي الغسيل. الأم شجاعة تساوم مدير الإمداد على زكيبة من الذخيرة.

الجبن السويسري بزي أمين الصندوق يتطلع إليها. وأمام كأس من ماء الحياة تجلس فتاة جميلة هي أيفت بوتييه وهي تخيط قبعة عديدة الألوان. لقد خلعت حذاءها الأحمر. واحتفظت بالجوارب على ساقيها).

مدير الإمداد : أعطيك زكيبة الذخيرة بفلورينين. هذاالسعر ليس غالياً. وأنا في حاجة إلى المال لأن العقيد يغيب عن الوعي منذ يومين مع الضباط. وقد نفد الشراب.

شجاعة : لكن هذه ذخيرة الجيش! فلو وجدوها عندي لحاكموني أمام المحكمة العسكرية، إنكم تبيعون الذخيرة أيها الأوغاد، والجنود لا يجدون الذخيرة حين يهجم العدو.

مدير الإمداد : لا تكوني قاسية القلب، فإن إحدى اليدين تغسل الأخرى.

شجاعة : إني لا أشتري مهمات الجيش. لا بهذا السعر.

مدير الإمداد : تستطيعين أن تبيعيها في هذا المساء لمدير إمداد



الكتيبة الرابعة، خفية، وسيدفع لك خمسة بل ثمانية فلورينات إذا أنت وقعت له على إيصال باثني عشر فلوريناً. فليس عنده ذخيرة على الإطلاق.

شجاعة : لماذا لا تفعل أنت هذا؟

مدير الإمداد : لأني لا أثق به، إنه صديقي.

شجاعة : (تأخذ الزكيبة)؛ هات. (مخاطبة كترينة): ضعي هذه هناك وادفعي له فلوريناً ونصفاً (وهي ترد على اعتراض مدير الإمداد): أقول فلورينا ونصفاً. (كترينة تحمل الزكيبة، ومدير الإمداد يتبعها. شجاعة تقول للجبن السويسري): وأنت البس لباسك، فنحن في أكتوبر. ومن الممكن أن يأتي الخريف، ولا أقول: لابد أن يأتي الخريف، لأني تعلمت أنه لا شيء يأتي بالضرورة، كما يظن الناس، حتى ولا فصول السنة. أما الشيء المؤكد فهو أن صندوق الكتيبة يجب أن يكون مضبوط الحساب، مهما حدث، فهل صندوقك مضبوط الحساب؟

الجبن السويسري : نعم يا أمي.

شجاعة : لا تنس هذا وهو أنك لم تصبح أمين صندوق إلا لأنك أمين. لقد اختاروك لهذه الوظيفة لأنك ولد طيب، لا ولد مغامراً مثل أخيك، وفضلا عن ذلك فإنك من السذاجة لا يخطر ببالك أبداً أن تهرب به. وهذا مما يطمئنني. ولا تنس اللباس.



الجبن السويسري : لا، يـا أمـي. سـأضعه تحت وسـادتي. (يريد الذهاب).

مدير الإمداد : سآتي معك يا أمين الصندوق.

شجاعة : لا تعلمه حيل نصبك.

(أمين الصندوق يخرج مع الجبن السويسري، دون أن يحيي).

إيفت : (وهي تشـير إليه بيدها): يمكنك أن تحيي يا مدير الإمداد.

شجاعة : (مخاطبـة إيفت): إني لا أحب أن أراهما معاً. هذه الصحبة لا تلائم ابني. ولكن الحرب ليسـت سـيئة الطالع. ولا بد أن تمر خمس أو سـت سـنوات قبل أن تدخـل كل الـدول الحرب. بقليل مـن الاحتياط وكثرة من التعقل أسـتطيع أن أعقد صفقات رابحة. أنت تعلمين أن مرضك هذا يمنعك من الشـرب قبل الظهر.

إيفت : من قال إني مريضة؟ هذا افتراء.

شجاعة : كل الناس يقولون ذلك.

إيفت : كلهم يكذبون. لم أعد أطيق هذا أيتها الأم شجاعة. كلهـم يتجنبونني كأني سـمكة مريضة بسـبب هذه الافتراءات . وإني لأسائل نفسي:

لماذا أخيط هذه القبعة بعد (تلقي بها على الأرض). من أجل هذا أشرب قبل الظهر.



ولم تكــن تلك عادتي أبداً من قبــل. إن هذا يحدث تجاعيــد، لكنــي الآن أســخر من كل شــيء. إنهم يعرفونني في الكتيبة الثانية الفنلندية، لقد كان علي أن أبقى في بيتي لما أن خانني حبيبي الأول.

إن الكبرياء ليس لناس مثلنا. بل يجب علينا أن نبتلع الطين، وإلا انحدرنا إلى الهاوية.

شجاعة : كفى! لا تستأنفي الكلام عن صديقك بطرس وكيف حدث ما حدث. أمام ابنتي البريئة.

إيفت : هذا أدعى إلى أن تســمع. لأن هذا يحصنها ضد الحب.

شجاعة : لا شيء يحصن ضد هذا.

إيفت : إذن ســأقص قصتي، لأن هذا يسري عني. لم يكن ليحدث شــيء مما حدث لو أنني لــم أولد في بلاد الفلانــدر الجميلة. إذن لما كنت قابلته ولما كنت ها هنا الآن في بولنده. لقد كان طباخاً في الجيش. كان أشقر اللون، هولندياً نحيلاً.

يــا كترينة، لا تثقــي بالنحيلين. أما أنــا فقد وثقت حينئــذ. ولم أكن أعــرف آنذاك أن لــه بيتاً أخرى. وأنهم كانوا يلقبونه بلقب بطرس بيبة.

(تغني أغنية المؤاخاة):

كــان عـمـري آنـــذاك – ســت عـشـرة

وعــــدوي فـــي بـــلادي قــد أقــامــا
أغــمــد الــسـيـف ونـحـى جـانـبـا
ثــم مــد الــكــف عــنــوان الــصــداقــة
فـــي لـــيـــالـــي شـــهـــر مـــايــو
أقـــبـــل الحـــــب الجــمــيــل
وعـــلـــى الأعـــشـــاب عــسـكـر
قـــــرع طـــبـــل ورنـــــين
اعــتــنــقــنــا والــــعـــــدَّوا
وتـــآخـــيـــنـــا جـــمـــيـــعـــا
كــان فــي الــســاحــة أعــــداء كثير
وعـــــدُوّي كـــان طـبـاخـاً خـطـيـر
كـنـت أقـلـيـه سـحـابـات الـنـهـار
ثـــم أهــــــواه إذا وافـــى الــســمــاء
إن فـــــي لـــيـــلـــة مـــايـــو
يـــقـــبـــل الحــــب الجــمــيــل
وعـــلـــى الأعـــشـــاب عــسـكـر
قـــــرع طـــبـــل ورنـــــين
اعــتــنــقــنــا والــــعـــــدوا
وتـــآخـــيـــنـــا جـــمـــيـــعـــا



كـــــان حـــبـــي قـــــوة قـــاهـــرة
قـــوة الــلــه مـــن نـفـــح الــســمــاء
لــم يـكـن فـي وسـع قـومـي يفهموا
أنـــنـــي أهـــــواه. لا أقـلـيــه قـط
ثـــــم فـــــي صـــبـــح غـــريـــب
بــــدأ الـــبـــؤس الـــرهـــيـــب
وعـــلـــى الأعـــشـــاب عـــسـكـر
قـــــرع طـــبـــل ورنـــــيـــن
والأعـــــــــادي وحـــبـــيـــبـــي
رحـــلـــوا عـــن ذي المـــديـــنـــة

فمضيت في إثره ويا للشـقاء، بيد أني لم أعثر عليه أبداً، وها هي ذي خمس سنوات قد مضت على ذلك.
(تمشي مترنحة إلى خلف العربة).

شجاعة : لقد نسيت قبعتك.

إيفت : ليأخذها من شاء.

شجاعة : لتأخـذي مـن هـذه القصة عبـرة يـا كترينة. لا تصاحبي جنوداً أبداً إن الحب قوة من قوى السـماء، ولهذا فإني أحذرك. وحتى مع غير العسـكريين فإن الحب ليس كالعسـل. سيقول لك حبيبك إنه سيقبل التراب الذي داسـت قدماك عليه- وبهذه المناسبة



هل غسلت قدميك بالأمس؟- وبعد ذلك تصبحين أمة له. احمدي الله على أنك خرساء، فإنك بهذا لن تناقضي نفسك بنفسك، ولن تعضي على لسانك إذا لم تقولي الحقيقة. ولكن ها هو ذا طباخ القائد قادم- فماذا عسى أن يريد؟ (يقدم الطباخ والواعظ)

الواعظ : أتيتك برسالة من ابنك إيليف. وقد صحبني الطباخ، الذي يبدو أنك أحدثت في نفسه أثراً عميقاً.

الطباخ : لقد صحبته لأشم بعض الهواء.

شجاعة : شم الهواء هنا إذا شئت، بشرط أن تحسن السلوك هنا.

(مخاطبة الواعظ) : ماذا يريد؟ إذا كان يريد نقوداً، فليس معي نقود.

الواعظ : الواقع أن الرسالة خاصة بأخيه أمين الصندوق.

شجاعة : إنه ليس ها هنا، وليس في أي مكان آخر. وهو ليس أمين صندوق لأخيه. ولا يحق له أن يغويه ويمارس حيله فيه. (تعطيه نقوداً تأخذها من كيسها) أعطه هذا المبلغ، هذه خطيئته: استغلال حب الأمومة. يجب عليه أن يخجل من نفسه!

الطباخ : لن يستمر هذا طويلا، فعما قليل سيرحل مع كتيبته، ومن يدري لعله يرحل للقاء حتفه. زيدي المبلغ قليلا، وإلا ندمت على ذلك فيما بعد. إنكن معشر النسوة قاسيات، ولكنكن بعد ذلك تندمن. ماء الحياة؟ ومع ذلك لا تعطين ثمنه وعما قليل سيرقد



المســـكين تحت التراب المعشوشب ولن تستطيعي بعد أن تخرجيه من قبره.

الواعظ : لا تســـتدر العطـــف، يا طبـــاخ. إن الموت في هذه الحرب نعمـــة لا نقمة. لمـــاذا ؟ لأن هذه الحرب لا تشـــبه ســـائر الحروب، فإنما النـــاس يقاتلون فيها في ســـبيل الله، في ســـبيل دينهم، إنها جهاد. حرب مقدسة، يرضى عنها الله.

الطباخ : هـــذا حـــق، فهذه الحـــرب هي من ناحية كســـائر الحروب: تحريق، قتل، نهب، وأحياناً اغتصاب، ومن ناحية أخرى تختلف عن ســـائر الحروب بأنها حرب دينية، هذا واضح، ولكنهـــا تصيب الناس بالعطش، ينبغي أيضاً أن نعترف بهذا.

الواعظ : (مخاطباً الأم شجاعة ومشـــيراً إلى الطباخ): لقد حاولت منعـــه من المجيء معي. لكنـــه قال لي إنك سحرته وصار يحلم بك.

الطباخ : (وهو يشـــعل بيبتـــه): كأس ماء الحيـــاة تقدمه يد جميلـــة، هذا كل مـــا رغبت فيه، ولقـــد دفعت ثمنه غاليـــاً، لأن الواعـــظ ظل طوال الطريـــق ينهال علي بالنكات، حتى إني لا أزال مصبوغاً بحمرة الخجل.

شجاعة : وهو يلبس هذا الزي الروحاني! لابد لي أن أسقيك كأســـاً، وإلا غازلتني مغـــازلات غير مؤدبـــة تبديداً للمال.

الواعظ : «هذا إغواء» – هكذا قال واعظ القصر واستسلم



للإغواء. (يتجه نحو العربة فيبصر كترينة) ومن هذا الشخص الفاتن؟

شجاعة : هذه ليست شخصاً فاتناً. بل فتاة مهذبة.

(الواعظ والطباخ يغدوان إلى خلف العربة مع الأم شجاعة. وكترينة تنظر إليهم وهم يغدون، ثم تترك الغسيل وتغني بالقبعة تأخذها ثم تجلس وتلبس حذاءها. تسمع الأم شجاعة تتحدث في السياسة مع الرجلين).

شجاعة : هنا في بولندة ما كان يحق للبولنديين أن يدخلوا، صحيح أن ملكنا قد دخل بلادهم بخيله ورجله وموكبه، لكنهم بدلا من السعي إلى السلام قد تدخلوا في شؤون بلادهم، وهاجموا الملك، في الوقت الذي يزحف فيه هادئاً في ديارهم! وبهذا ارتكبوا جريمة خرق السلام. وصار الدم المراق في أعناقهم.

الواعظ : إن ملكنا لم يستهدف إلا تحقيق حرية الشعوب. والإمبراطور قد أخضع لنيره وسلطانه : البولنديين والألمان. وكان على ملكنا أن يحررهم.

الطباخ : وهذا رأيي أيضاً. إن شرابك ممتاز، ولقد توقعت ذلك من وجهك وما دمنا نتحدث عن الملك فإني أقول إن الحرية التي أراد إدخالها في ألمانيا قد كلفته ثمناً غالياً. لقد حملته على أن يفرض ضريبة على الملح في السويد مما تضرر منه الفقراء، واضطر كذلك إلى سجن الألمان وتمزيق أوصالهم. الألمان الذين أرادوا أن يبقوا عبيداً للإمبراطور. أما



مع أولئك الذين رفضـوا أن يكونوا أحراراً فقد كان الملك قاسياً لا يرحم، وفي بداية الأمر كانت بولندة وحدها هي التي أراد حمايتها من الأشرار عامة ومن الإمبراطور بخاصة. لكن شهيته انفتحت كلما ازداد أكلا، وانتهى بأن أخضع لحمايته ألمانيا كلها، ولكنها قاومت بشـدة، ولهذا فإن هذا الملك الطيب لم يلق عـن كرمه وما بذلـه من جهد غيـر المتاعب وكان عليه أن يسـترد هذه التكاليـف الباهظة عن طريق فرض ضرائب طبعاً فاسـتنزفت دماء الناس، ولكنه لـم ييـأس. كان في عونه أمر كتـاب الله وكان ذلك حسـناً وإلا لقال الناس إنه لا يسـعى إلا وراء مجده الشـخصي ووراء الكسـب. ولهذا كان دائماً مرتاح الضمير، وكان هذا هو المهم في نظره.

شجاعة : من هذا يلاحظ المرء أنك لست سويدياً، وإلا لكنت قد تحدثت عن هذا الملك البطل بلهجة أخرى.

الواعظ : وأنت على كل حال تأكل خبزه.

الطباخ : إني لا آكل خبزه، بل أخبزه له.

شجاعة : إنـه لا يقهر لماذا؟ لأن رجالـه يؤمنون به. (بلهجة جادة) إذا سمع المرء الكبار يتحدثون، وجدهم يقولون إنهم لا يخوضون هذه الحرب إلا في سبيل الله وفي سـبيل كل خير وجميل. لكن حينما يتمعن المرء في المسألة يجد أنهم ليسـوا حمقى، بل هم يخوضون الحرب من أجل المكاسـب، والصغار من أمثالي لن يشاركوا في الحرب أيضاً إلا لهذا الاعتبار.



الطباخ : هذا صحيح.

الواعظ : وبوصفكم هولنديين يخلق بكم أن تراعوا هذا العلم المرفوف على هذه السيارة قبل أن تبدوا آراءكم هنا في بولنده.

(كترينة أخذت تستعرض نفسها وهي تلبس قبعة إيفت، مقلدة مشيتها. وفجأة يسمع ضرب مدفع وانطلاق الرصاص. دق الطبول. الأم شجاعة والواعظ والطباخ يظهرون من وراء العربة، والأخيران في أيديهما كأسان. مدير الإمداد وأحد الجنود يقفزان على المدفع ويحاولان جره).

شجاعة : ماذا جرى؟ دعني آخذ غسيلي أولا، ياجلف. (تحاول إنقاذ غسيلها).

مدير الإمداد : الكاثوليك! هجوم مباغت. لا ندري هل نستطيع الهروب! (مخاطبا الجندي) اسحب هذا المدفع! (يهرب).

الطباخ : بحق الله لا بد أن ألحق بالقائد. يا شجاعة، سأحضر في الغد لنتحدث حديثاً قصيراً. (يهرب).

شجاعة : قف، لقد نسيت بيبتك.

الطباخ : (من بعيد): لا تضيعيها، فإني سأكون في حاجة إليها.

شجاعة : لقد جاءوا في الوقت المناسب الذي بدأنا فيه نكسب شيئاً.

الواعظ : وأنا أيضاً لابد أن أجري. فمن الخطر أن يبقى المرء الآن بينما العدو يلاحقنا، طوبى للمسالمين، هذا ما يقوله الناس إبان الحروب، آه لو كان عندي معطف!



شجاعة : إني لا أعير معاطفي حتى ولا من أجل إنقاذ حياة إنسان. لقد مررت بتجارب أليمة في هذا الصدد.

الواعظ : لكني أنا شخصياً في موقف حرج خطر، نظراً إلى عقيدتي البروتستنتية.

شجاعة : (وقد غدت لتحضر له معطفاً) : سأفعل هذا ضد ضميري. فاهرب إذن.

الواعظ : شكراً جزيلاً، هذا عظيم منك، لكن ربما كان من الأفضل أن أمكث هنا، وإلا أثرت شكوك العدو لو رآني أعدو.

شجاعة : (مخاطبة الجندي) دع هذا المدفع أيها الأحمق. من سيدفع ثمنه لك؟ سأحافظ عليه، وإلا أضعت حياتك.

مدير الإمداد : (وهو يهرب) أنتم شهود على أني فعلت كل ما استطعت.

شجاعة : سأقسم على ذلك. (تبصر بنتها لابسة القبعة) ماذا تفعلين بقبعة الفاجرة هذه ؟ اخلعي هذا الغطاء بسرعة. هل أنت مجنونة ؟ إن العدو قادم (تنتزع منها القبعة) هل تريدين أن يشاهدوك ويحيلوك إلى إمرأة سيئة ؟ وحذاؤك هذا، لقد جعل منك بابلية فاجرة! اخلعي الحذاء حالا ! (تحاول أن تجعلها تخلعه) يا إلهي، ساعدني أيها الواعظ حتى تخلع



الحذاء. سأعود فوراً. (تعود إلى العربة).

إيفت : (قادمــة وهي تتزين) مــاذا تقوليــن – الكاثوليك قادمون ؟ أين قبعتي؟ من ذا الذي داس على قبعتي؟ لن أســتطيع إذن أن أتمشى حينما يأتي الكاثوليك؟! مــاذا تظنين بي؟ وليس عندي أيضاً مرآة. (مخاطبة الواعظ) كيف أبدو؟ هل وضعت مساحيق كثيرة؟

الواعظ : أنت أنيقة.

إيفت : وأين الحذاء الأحمر؟ (لا تجده، لأن كترينة سحبته تحت تنورتهــا) لقد تركته هنا، علــيّ أن أذهب إلى خيمتي عارية القدمين. هذا عار! (تذهب).

(الجبن السويسري يصل عارياً. حاملا صندوقا)

شجاعة : (وفي يديها رماد كثير، مخاطبة كترينة). هذا رماد، خذيه.

(مخاطبة الجبن السويسري) ماذا تحمل؟

الجبن السويسري : صندوق نقود الكتيبة.

شجاعة : ألق به! لم تعد ثم مبالغ لتدفع.

الجبن السويسري : لقد عهدوا إلي به (يذهب إلى الداخل)

شجاعة : (مخاطبــة الواعظ) (: اخلع ثوبــك الروحاني أيها الواعــظ وإلا تعرفوك تحت معطفــك.) تلطخ وجه كترينة بالرماد (لا تتحركي. بعض الرماد وتصبحين في أمان. يا للشقاء! كان الحراس غائبين عن الوعي.



لابد للمرء أن يخفي ســـراجه تحت القدح، كما يقال في الأمثال. يكفي جندي، خصوصا كاثوليكي، ووجه جميـــل، وفي الحال يكون ثم فاجــرة. إنهم لا ينالون إلا الكفاف طوال أسابيع، وحينما ينطلقون ينقضون على الفتيات. الآن هذا حسن ! ودعيني أنظر إليك. لا بأس. كأنك خلصت من كومة أقذار. لا تهتزي. لن يحدث لك شـــيء. (مخاطبة الجبن السويسري) أين تركت الصندوق؟

الجبن السويسري: أردت إخفاءه في العربة.

شجاعة : (غاضبـــة): مـــاذا؟ فـــي عربتـــي؟ إن حماقة كهذه تستحق العذاب الإلهي الأليم. إذا التفتنا إلى الوراء! سيشنقونا نحن الثلاثة!

الجبن السويسري : إذن أضعه في مكان آخر، أو أهرب به؟

شجاعة : ابق هنا. لقد فات وقت الهروب.

الواعظ : (نصف عار) بحق السماء، العلم!

شجاعة : (تنـــزل علم الكتيبة) إني لـــم أنتبه إليه، لأنه عندي منذ خمس وعشرين سنة هناك.

(يزداد قصف المدافع)

(في صباح ذات يوم، بعد ذلك بثلاثة أيام. المدفع غير موجود. الأم شجاعة وكترينة والواعظ والجبن السويسري يتناولون الطعام مهمومين).

الجبن السويسري : لقد مضت ثلاثة أيام وأنا جالس هاهنا كسلان، ولعل

العريف، وقد كان يعطف عليّ دائماً- لعله يتساءل الآن: أين الجبن السويسري وصندوق الرواتب؟

شجاعة : احمد الله على أنهم لم يعثروا لك على أثر.

الواعظ : ماذا أقول؟ إنني لا أستطيع إقامة صلوات هنا، وقد تسوء حالي. حينما يمتلئ القلب يفيض الفم. لكن وا أسفاه! ينبغي ألا يفيض فمي!

شجاعة : هكذا! عندي هنا اثنان: واحد يجلس مع إيمانه والآخر مع صندوقه. ولست أدري أيهما أشد خطراً.

الواعظ : نحن الآن بيد الله!

شجاعة : إني لا أعتقد أننا ضعنا، ومع ذلك فإني لن أنام الليل. لولاك يا جبن سويسري لكان الأمر أيسر. أما عن نفسي فأظن أنني خلصت من المأزق. قلت إنني أكره المسيح الدجال السويدي وإني رأيته بقرونه، بل قلت لهم إن قرنه الأيسر غير مدبب الطرف. وفي وسط التحقيق سألتهم أين أستطيع شراء شموع غير غالية. ولحسن الحظ أني على علم ببواطن الأمور لأن والد الجبن السويسري كان كاثوليكياً، وكان دائماً يهزأ بديانته. لم يصدقوني تماماً، لكن لما لم يكن لديهم كانتين في كتيبتهم، فقد أغمضوا عيونهم، ولعل الأمر يمضي على خير حال. نحن أسرى، صحيح، ولكن مثلنا مثل القمل في الفراء.



الواعظ : إن اللبن جيد. أما عن الكمية فينبغي علينا الآن أن نقلل من شهيتنا السويدية. لقد هزمنا.

شجاعة : من الذي هزم؟ إن انتصارات وهزائم الكبار ليست دائماً هي انتصارات وهزائم الصغار، أبداً. بل توجد أحوال تكون فيها هزيمة الكبار مكسباً للصغار. لم يضع شيء إلا الشرف. إني لأذكر ذات مرة في ليفلاند أن قائدنا مُني بهزيمة نكراء إلى حد أني في الهرج العام استطعت الحصول على جواد جميل، ظل يجر عربتي طوال سبعة أشهر. إلى أن جاء يوم انتصر فيه القائد. هنالك قاموا بجرد وإحصاء. وبالجملة فسواء أكان هناك نصر أم هزيمة، فإن كليهما يكلفنا غالياً.

والأحسن لنا هو أن تتوقف السياسة. (مخاطبة الجبن السويسري) كل!

الجبن السويسري : ليست عندي شهية لشيء، ماذا سيفعل العريف لدفع رواتب الجنود؟!

شجاعة : حينما يفر الجيش، فلا حق لهم في تقاضي رواتب.

الجبن السويسري : كلا، بل من حقهم. لأنه بدون رواتب لا يحتاجون إلى أن يهربوا، ويجب عليهم ألا يمشوا خطوة.

شجاعة : يا جبن سويسري! إن نزاهة ضميرك تثير فزعي.



أنت تعلم أنني قد ربيتك على الأمانة لأنك لست ماكراً. لكن لابد لكل شيء من حدود. والآن سأمضي لشراء علم كاثوليكي ولحوم، وسأصحب الواعظ معي، فليس ثم من يحسن اختيار اللحم مثله، إنه يشتري بثقة تشبه ثقة الساري في نومه. وأعتقد أنه يتعرف القطع الممتازة من اللحم عن طريق اللعاب الذي يسيل من فمه عن غير إرادة منه. على كل حال لقد تركوا لي تجارتي، فإن ما يطلب من التاجر ليس ديانته، بل الثمن الذي يتقاضاه عن سلعه، والسراويل البروتستنتيه تكفل الدفء أيضاً.

الواعظ : «سنكون في حاجة دائماً إلى شحاذين»، هكذا قال راهب شحاذ حينما عرف أن أنصار لوثر سيقلبون كل شيء رأساً على عقب في المدن والقرى. (الأم شجاعة تختفي في العربة) إنها مهمومة بأمر صندوق الرواتب. وحتى الآن لم يتبين أمرنا أحد، بل يحسبون أننا جميعاً أصحاب العربة- ولكن إلى متى؟

الجبن السويسري : يمكنني إخفاءه.

الواعظ : هذا أشد خطورة. إذ لو عرفوا أمرنا! إن لهم عيوناً في كل مكان. وبالأمس صباحاً فقط برز من فوق الخندق واحد منهم أثناء ما كنت أقضي حاجتي، فانتفضت فزعا، وبكد وجدت وقتاً كافياً لكتم دعاء ورد إلى شفتي، دعاء كان سيكشف عن حقيقة

عقيدتـــي. إنني أعتقد أنهم قادرون على أن يشـــموا فضلاتك لمعرفـــة هل أنت بروتســـتنتي. وكان هذا الجاسوس قزماً وغداً على عينه ضمادة.

شجاعة : (نازلة من العربة ومعها ســـلة): انظري أي شـــيء وجـــدت أيتها الفاجرة؟ (ترفع الحذاء الأحمر بحركة مباهاة (حذاء إيفت الأحمر. لقد ســـرقته بكل برود. وكل هذا بســـبب أنك وضعت في رأسها أنها فاتنة. (تضع الحذاء في الســـلة) سأرده إليها. تسرق حذاء إيفت! إنها ســـتعاقب بســـبب طمعها في المال، وأنا أفهم هذا. أما أنت فلمجرد التســـلية. لقد قلت لك: عليـــك أن تنتظـــري حتى يعود الســـلام. وخصوصاً تجنبـــي صحبة الجنود. انتظري حتى يعود الســـلام وأبدئي الدلال والغزل.

الواعظ : إني لا أراها تحب الدلال والغزل.

شجاعة : بـــل هي تبالغ في هذا. إن ما أريده لها هو أن تكون شبيهة بحجر في دالارن، حيث لا يوجد إلا الحجارة، حتى يقول الناس: إنها لا تتميز بشـــيء عن الحجر، فإذا استمرت على ذلك فلن يقع لها شيء. (مخاطبة الجبن السويسري) اترك هذا الصندوق وشأنه، أنت فاهم؟ وراقب أختك فهي في حاجة إلى من يراقبها. إنكمـــا تمتصان دمي أهون من هذا أن يحتفظ المرء بزكيبـــة من البراغيث (تذهب فـــي صحبة الواعظ، كترينة ترتب الأواني).



الجبن السويسري : لـم تبق لنا أيام كثيرة نسـتضحي فيها بالقميص. (كترينة تشـير إلى شـجرة) نعم، لقد بدأت الأوراق تصفر. (كترينة تسأله هل يريد أن يشرب، بإشارات) كلا، لا أريد أن أشـرب. إني أفكر. (فترة إنها تقول إنها لا تنام الليل بسـبب ذلك. سـأخفي الصندوق. وأعرف مخبأ لذلك. هات لي مع ذلك كأساً ملأى.) كترينة تذهـب إلى وراء العربة (سـأخفيه في ثقب عند شاطئ النهر، إلى أن أعود لأخذه. وربما ذهبت الليلة قبيل الفجر لإحضـاره وأخذه إلى الكتيبة. لا يمكـن في ثلاثة أيام أن يكونـوا قد هربوا إلى مكان بعيد. وسـيفتح العريف عينيه واسعتين ويقول: «لقد أدهشتني بمفاجأة سارة أيها الجبن السويسري، وإني أعهد إليك بالصنـدوق وإذا بك تعيده إليّ كما هو». (في اللحظة التي تعود فيها كترينة ومعها كأس ملأى بمـاء الحياة أحضرته من العربـة، تصطدم برجلين أحدهمـا عريف، والآخر يحيي كترينة تحية عميقة، وعلى عينه رباط).

الرجل ذو الرباط : سلام الله عليك أيتها الآنسة العزيزة. ألم ترى ها هنا رجلاً من الكتيبة الفنلندية الثانية؟

(كترينة، مذعورة جداً، تهرب وتهرق كأس ماء الحياة. ينظر الرجلان كل منهما إلى الآخر، ثم ينسحبان بعد أن أبصرا الجبن السويسري جالساً في مكان).

الجبن السويسري : (وقد نبهته كترينة فجأة من سرحانه) لقد أهرقت



الكأس. مـــا بالك تقطبين وجهـــك؟ هل اصطدمت عينك بشــــيء؟ إني لا أفهمك. إني أريد الرحيل، لقد قررت ذلـــك. (ينهض، كترينة تحـــاول أن تنبهه إلى الخطـــر. يدفعها دون أن يفهم) مـــاذا تريدين؟ لابد أن تكون فكــرة صائبة، أيتها المســـكينة، ولكنك لا تستطعين التعبير عما يجول بخاطرك. لقد أهرقت ماء الحياة؟ لا يهم! ليســـت هذه آخر كأس أشربها. كأس زيادة أو أقل – هذا لا أهمية له. (يذهب ليبحث عـــن الصندوق فـــي العربة ويخفيه تحت ســـترته). ســـأعود. أما الآن فاتركينـــي. وإلا غضبت. نعم لك الحق وقصدك حسن. آه لو كنت تستطعين الكلام!

(وبينما هي تريد أن تمنعه من الذهاب، قبلها وانطلق. انتابها اليأس، وراحت تجري هنا وهناك، صارخة صرخات مبهمة. الواعظ يعود مع الأم شجاعة. كترينة تندفع إلى أمها).

شجاعة : مـــاذا بك؟ ماذا بك؟ أنت في غاية الاضطراب. هل فعل أحد بك شـــيئاً؟ أين الجبن السويســـري، أحكي لي بالترتيـــب، يا كترينة إن أمـــك تفهمك. هل أخذ الصندوق؟ ســـأضربه على أذنيه، هذا الملعون. على رســـلك، ولا ترتعـــدي، اهدأي. لا أريد منك شـــيئاً. ماذا عسى أن يظن بك الواعظ إذا رآك مثل الكلب؟ استعملي يديك. هل مر من هنا أعور؟



الواعظ : أعـــور؟ إنه الجاســـوس. هل قبضوا علـــى الجبن السويســـري؟ (كترينـــة تهـــز رأســـها، وكتفيها) لقد ضعنا!

شجاعة : (تخرج علماً كاثوليكياً من الســـلة. والواعظ يرفع العلم) : ارفع العلم الجديد!

الواعظ : (بمرارة) : لم يعد هنا غير كاثوليك أتقياء.

(تسمع أصوات من الخلف. الرجلان يحضران الجبن السويسري).

الجبن السويسري : اتركاني، إني لم أفعل شـــيئاً. إنكما تقتلعان كتفي. أنا بريء.

العريف : إنه منهم. أنا أعرفكم.

شجاعة : نحن؟ من أين؟

الجبن السويسري : إننـــي لا أعرف هؤلاء الناس. والله وحده يعرف من هم هؤلاء! إني لا شأن لي بهم. لقد اشتريت من هنا غدائي، الذي كلفني عشـــرة دراهم. ولهذا رأيتماني جالساً هنا. ولقد كان الطعام مفرط الملح.

العريف : من أنت؟

شجاعة : نحـــن ناس عاديون. هذا صحيـــح، لقد تغدى هنا. وقال وهو يدفع إن الطعام كثير الملح.

العريف : أتريدين أن تموهي عليّ وتقولي إنك لا تعرفينه!

شجاعة : كيف يتيسر لي أن أعرفه؟ إني لا أعرف كل الناس.



ولا أسـأل أحداً ما اسـمه وهل هو كافـر، إذا دفع حسابه، فإنه لا يكون كافراً. هل أنت كافر؟

الجبن السويسري : أبداً.

الواعظ : لقـد جلس بكل احترام ولم يفتح فمه إلا للأكل. ثم انصرف.

العريف : وأنت، من أنت؟

شجاعة : هذا مساعدي يسـاعدني في السقي. وأنتما لابد أنكما عطشـانان، سأحضر لكما كأسين، لابد أنكما جريتما وعلت حرارتكما.

العريف : لا شراب أثناء الخدمة. (مخاطباً الجبن السويسري) لقد حملت شيئاً، وذهبت لإخفائه بالقرب من النهر، وكانت سترتك منتفخة جداً حينما ارتحلت من هنا.

شجاعة : هل أنتما متأكدان أنه هو؟

الجبن السويسري : يخيـل إلـيّ أنكمـا تظنانني شـخصاً معيناً، لأني شاهدت أنا أيضاً شابا يعدو، وكانت سترته منتفخة جداً. لم أكن هذا الشخص.

شجاعة : هناك إذن لبس. وهذا ممكن أن يحدث، وأنا خبيرة بالنـاس. إنهم يطلقون عليّ اسـم «الأم شـجاعة»، ولا شـك في أنكما سـمعتما بي، فإن الناس جميعاً يعرفوننـي. وأنا أقول لكم إن هذا الشـاب، يبدو أنه صادق.



العريف : نحـن نبحث عن صنـدوق رواتب الكتيبـة الثانية الفنلندية. وقد أعطونـا علامات من يخفيها. ومنذ يومين ونحن نقتفي أثره. إنه أنت!

الجبن السويسري : كلا، لست أنا.

العريف : إذا لـم تعطنا الصندوق، ذهب عمرك، وأنت تعرف ذلك. أين الصندوق؟

شجاعة : (بإلحـاح): أنا متأكدة أنه سـيعطيكما الصندوق، إذا كان عنـده، لأنكما تقولان إن عمره سـيذهب إن لم يرده. سـيقول فوراً إنه معي، وهـا هو ذا، إنكما القويـان، ولكنه ليس مغفلا. تكلـم إذن، أيها الكلب المغفل، إن العريف يعطيك فرصة.

الجبن السويسري : إذا كان الصندوق ليس عندي!

العريف : إذن تعال معنا، سنجعلك تعترف. (يجرانه).

شجاعة : (تنادي) : سـيعترف. إنه ليس مغفلاً إلى هذا الحد. عاملاه برفق وإلا خلعتما كتفيه!) تسير في إثرهم).

(في نفس المساء. الواعظ، وكترينة ينظفان الأكواب والسكاكين).

الواعظ : مثـل هذه الأحـوال التي تقتل فيها أبرياء ليسـت مجهولـة في تاريخ الدين. وإني لأذكر بآلام سـيدنا ومخلصنا المسـيح. ويوجد نشـيد قديم يدور حول هذه المسألة. (ينشد نشيد الساعات).

فـي بـدء سـاعـات الـبـكـور



جــــــاءوا بــســيــدنــا المـسـيـح
زعــــمـــوه ســـفـــاحـــاً - أمـــام
فــيـــلاطـــس الـــوثـــنـــي الـعـتـيـد
ألــــفـــاه مـــظـــلـــومـــاً بـــريـــئـــا
وبـــــرغـــــم هـــــــذا ســلــمــه
مـــــن دون ذنـــــب أرســــلـــه
هـــيـــــرود مـــنـــه تــســلــمــه
جـــلـــــدوه عـــنـــد الـــثـــالـــثـــة
ابــــــن الإلــــــه ومــرســلـــه
وضــــعـــــوا بـــــــدارة رأســـــه
تـــاجـــاً مـــن الـــشـــوك الحـــديـــد
نـــالــــتـــه كـــــل إهـــــانـــــة
ضــــربـــوه ضـــربـــاً مـــوجـــعـــا
حـــمـــل الـــصـــلـــيـــب لـصـلـبـه
حـــمـــل الـــصـــلـــيـــب بـنـفـسـه
عـــــروه عـــنـــد الـــســـادســـة
رفـــعـــوه فـــي عـــدو الـصـلـيـب
فــــــأراق فـــيـــه دمـــــاءه
وشـــكـــا وصــــلـــى لــــلإلـــه

مروا به مستهزئين

حتى رفيقا المشنقة

والشمس غارت فاختفت

هذي الأمور الشائنة

ويسوع - عند التاسعة

يشكو تخلي الرب عنه

والمرء يملأ نفسه

والخل ألقى في فمه

وهناك فاضت روحه

والأرض هزتها الزلازل

وتخرقت سجف المعابد

والصخر خر مفلقا

وأتوه في وقت الغروب

ضربوه حتى حطموه

طعنوا يسوع بجنبه

طعنوه بالرمح الوشيج

فتدفقت منه الدماء

حمراء خالطها المياه

جعلوه سخرية لهم



شجاعة : (تأتي في حالة هياج) إنه بين الحياة والموت. لكن يبدو أن العريف قابل للتفاهم. لكن يجب ألا نجعلهم يظنون أن الجبن السويســري واحد منا، وإلا اتهمنا بالتواطؤ. لكن من أين لنا بالمال؟ ألم تكن إيفت هنا؟ لقد قابلتها في الطريق وقد اصطادت عقيداً. فلعله يوافق على أن يشتري منها عربة مقصف.

الواعظ : أتريدين حقاً أن تبيعي عربتك؟

شجاعة : وإلا فمن أين لي- بالمال الذي سأعطيه للعريف؟

الواعظ : ومم تتعيشين بعد ذلك؟

شجاعة : صحيح، هذه هي المسألة.

(إيفت بوتييه تدخل في صحبة عقيد عجوز جداً)

إيفت : (تعانق الأم شجاعة) يا عزيزتي شجاعة! ما أجمل أن نلتقي بســرعة من جديد! (هامســة) إنه موافق. (بشدة) إنه صديق حميم لي، ينصحني في شؤوني. لقد ســمعت عرضا أنك تنتوين بيع عربتك، لأسباب خاصة. هذه المسألة تهمني.

شجاعة : على رسلك، فإني لا أريد بيعها، بل رهنها فحسب. عربــة كهذه... ليس من الســهل أن يشــتري المرء واحدة غيرها في وقت الحرب.

إيفت : (وقد خاب أملها) رهن فقط! آه، لقد ظننت بيعاً. لا



أدري بعد هل هذه الصفقة تهمني (مخاطبة العقيد): ما رأيك؟

العقيد : أوافق على رأيك تماماً يا عزيزتي.

شجاعة : رهن فقط.

إيفت : كنت أحسب أنك في حاجة ملحة إلى المال.

شجاعة : (بحـــزم) نعم أنا في حاجة إلى المال، لكني أفضل أن تحفي قدماي ســـعياً للحصـــول على رهن من أن أبيعها فوراً، لماذا؟ لأننا نتعيش من هذه العربة. هذه فرصة لك يا إيفت، لعلك لن تجدي فرصة مماثلة لها في المســـتقبل، الآن وعندك صديق حميم ينصحك في أعمالك.

إيفت : نعـــم، إن صديقي يـــرى أن أنجز هذه الصفقة. أما أنا فلســـت أدري ماذا أفعـــل إذا كانت العملية مجرد رهـــن... أفلا تريـــن أن من الممكن أيضاً شـــراءها فوراً؟

العقيد : هذا رأيي أيضاً.

شجاعة : إذن اذهبي وابحثي عن شـــيء للبيع، ولعلك تجدين شيئاً، فإن كان لديك متسع من الوقت وكان صديقك معك، لنقل : لمدة أسبوع أو أسبوعين، فربما تجدين شيئاً يناسبك.

إيفت : حسناً، نستطيع إذن أن نذهب لنبحث، وأنا يسرني أن أسـعى وأبحث عن شيء، ويســـرني أن أكون في



صحبتــك يابولــدي، فهذا أمــر لذيذ حقــاً، أليس كذلك؟ ولا يهم إذا اقتضى الأمر أسبوعين! متى إذن تستطيعين سداد الدين إذا سلفناك؟

شجاعة : بعد أسبوعين، وربما بعد أسبوع واحد.

إيفت : إني مترددة يا بولدي! انصحني يا عزيزي. (تتنحى مــع العقيد جانبا) أنا أعلــم تماماً أنها مضطرة إلى أن تبيع العربة، أنا مطمئنة من هذه الناحية. وحامل العلم، الأشقر، أنت تعرفه، يسره أن يقرضني المبلغ، إنه مجنون بي، إنه يقول لي إني أذكره بشــخص ما. ماذا تنصح به؟

العقيد : إني أحذرك من هذا الشــاب، إنه ليس رجلاً طيباً إنه يستغلك وأنت ألم أقل لك إني سأشتري لك شيئاً، أي أرنبتي الصغيرة؟

إيفت : إني لا أقبل ذلك منك، لكن إذا كنت تقصد أن حامل العلم يستغلني، فإني يا بولدي أقبله منك.

العقيد : نعم أقصد حقاً.

إيفت : هل تنصحني إذن بذلك ؟

العقيد : نعم أنصحك.

إيفت : (وقــد عــادت إليَّ شــجاعة)، صديقــي نصحني بعقد هذه الصفقة. اكتبي لي إيصالاً ولا تنســي أن تقــرري فيه أن العربة ومحتوياتها ســتكون ملكاً لي إذا لم تســددي المبلغ بعد أسبوعين. سأقوم بجرد

محتوياتها فــوراً، ثم أحضر لك المائتي فلورين عما قليــل. (مخاطبــة العقيــد) : عليــك أن تذهب إلى المعسكر، وسأتي في إثرك لابد أن أكتب كشفاً بكل ما في العربة، حتى لا يسرق مني أحد شيئاً.

(تقبل العقيد، وهذا يمضي، وتصعد هي على العربة) ليس عندك أحذية كثيرة!

شجاعة : إيفت! ليس هذا وقت عمل الجرد لهذه العربة. إنها ليســت ملكك بعد. لقد وعدتني بأن تكلمي العريف بشــأن الجبن السويسري، وينبغي ألا تضيعي دقيقة واحدة. لقد سمعت أنه سيقدم في خلال ساعة إلى المحكمة العسكرية.

إيفت : انظري، فلابد لي من أن أعد القمصان الصوفية.

شجاعة : (تشــد إيفت من ثوبها وتنزلها من العربة)، يالبوءة! إن الأمر يتعلق بحياة الجبن السويسري.

اسمعي! كوني عاقلة ولا تذكري شيئاً عن الذين يريدون إنقاذ حياته. ولا تقولي ممن جئت بهذا المبلغ. بحق السماء، افعلي كل شيء باسمك أنت. قصي عليهم ما يحلو لك، قولي لهم إن الجبن السويســري عشيقك، وإلا شنقونا جميعاً لأننا ساعدناه.

إيفت : لقد واعدت الأعور عند الغابة الصغيرة، ولا بد أنه هناك الآن في انتظاري.

الواعظ : ولا تعرضــي عليــه المائتي فلوريــن دفعة واحدة،

وساوميه حتى مائة وخمسين، فهذا مبلغ كاف.

شجاعة : هــل هذه نقــودك؟ أرجــوك أن لا تتدخل في هذا الأمر. ســتحصل على حسائك. اذهبي ولا تساومي، فالأمر يتعلق بحياة ابني. (تدفع إيفت)

الواعظ : أنا لم أرد التدخل في الموضوع، لكن مم ســنعيش إذن؟ إن لــك بنتــاً عالة عليك لا تســتطيع كســب القوت.

شجاعة : إنني أحسب حســاب صندوق رواتب الكتيبة، أيها العاقل الحصيف! إنهم لابد سيدفعون النفقات.

الواعظ : لكن هل يمكن الاعتماد على هذه المرأة؟

شجاعة : إن لهــا مصلحــة في هذا، وهــي أن أدفع أنا مبلغ المائتي فلورين وتحصل هي على العربة. إنها قادمة، ومن يدري إلــى متى يظل عقيدها على قيد الحياة. يا كترينة! نظفي الســكاكين، استعملي الرمل. وأنت، لا تبــق واقفاً هكذا مثل يســوع علــى جبل الزيتون. اغسل هذه الأكواب، لعله سيأتي في المساء خمسون فارساً، وحينئذ تقول لي: «لم أعتد القيام بهذا العمل والغدو والرواح، وفي إقامة الطقوس الدينية لا أغدو هكــذا وأروح» أعتقد أنهم ســيرجعونه إلينا. الحمد لله أن من الممكن رشوتهم، إنهم ليسوا ذئاباً بل ناساً ويحبون الذهب. إن حب الإنســان للرشوة كحب الله للإحســان. وهذا هو الضمان لنــا. وطالما وجدت الرشوة فسيكون تحت أحكام رحيمة، وحتى الأبرياء



أنفسهم سيجدون الفرصة للتخلص أمام المحكمة.

إيفت : (تعـود مبهورة الأنفاس)، إنهـم موافقون في نظير مائتي فلورين، لكن يجـب المبادرة. لن يبقى الجبن السويسري طويلا بين أيديهم وأحسن شيء أن نحضر الأعور عند العقيد. لقد اعترف الجبن السويسـري بأن كان عنده الصندوق. عذبوه. لكنه ادعى أنه ألقاه في النهر لما رأوهم يطاردونه ضاع الصندوق. إذن، هل أذهب لأخذ النقود من عند صديقي العقيد؟

شجاعة : ضاع الصندوق! كيف السـبيل الآن إلى اسـترداد المائتي فلورين؟!

إيفت : آه! لقـد أردت أخـذ النقود من الصنـدوق؟! وأنا الذي كنت أخدع! لا تنسـاقي وراء الأوهام. لا بد من الدفع. إني أردت إنقاذ الجبن السويسري أو تفضلين أن أصـرف النظر عن العملية كلهـا حتى تحتفظي بعربتك؟

شجاعة : إني لم أحسـب حسـاباً لهـذا. لا تضغطي عليّ، سـتحصلين على العربة وهي على كل حال تتداعى، فمنذ سـبع عشرة سـنة وأنا أتجول بها. لكن أتركي لي مهلة للتفكير. لقد تدافعت الأمور واشتبكت دفعة واحدة. ما العمل؟ إني لا أستطيع التخلي عن المائتي فلورين. وقد كان ينبغي عليك أن تسـاومي. وإذا لم يعد عندي شيء فلن أستطيع حماية نفسي، والناس جميعاً سيدوسون عليّ. اذهبي وقولي لهم إني أوافق



على مائة وعشرين فلوريناً، ولا درهم فوق ذلك. إني بهذا أيضاً أفقد عربتي.

إيفت : لـن يوافقوا. إن الأعـور متعجل جـداً. وأعصابه متوترة. أو لا تعتقدين أنه الأفضل أن تعطي المائتي فلورين؟

شجاعة : (يائسة): لا أستطيع. لقد اشتغلت ثلاثين عاماً ولم تتـزوج بعد. إنها بنتي هي الأخـرى. أنا أعرف ماذا أعمل. قولي لهم إما مائة وعشرين أو لا شيء.

إيفت : هذه المسألة مسألتك.

(تخرج بسرعة. الأم شجاعة لا تتطلع إلى الواعظ ولا إلى كترينة. ثم تجلس لمساعدة كترينة في تنظيف السكاكين).

شجاعة : لا تكسـري الزجاجات فإنها ليست ملكنا. انظري ماذا تفعلين: إنك سـتجرحين نفسك. سيعود الجبن السويسـري. سـأوافق على مائتيـن إذا لزم الأمر. ستجدين أخاك. بثمانين فلوريناً يمكن شراء بضاعة كافيـة، والبدء من الصفر. مـادام المرء حياً فهناك دائماً أمل.

الواعظ : مكتـوب فـي الكتـاب: «إن طـرق الرب ليسـت طرقنا[1]»

شجاعة : حكوها حتى تلمع.

(١) حرفيا سيعمل الله ما فيه الخير



(ينظران في صمت. كترينة تفر فجأة إلى العربة وهي تتنهد).

إيفت : (تعــود وهـي تجري) إنهم لا يوافقون، كما قلت لك. والأعور أراد أن نعد المســألة كأن لم تكن، وقال إن الأمر متأخر جداً الآن، وسنســمع بين دقيقة وأخرى طبــل الفصيلة التي ســتقوم بتنفيذ حكــم الإعدام فيــه. لقد عرضت مائة وخمســين فلورينــاً. لكنه لم يحرك ساكناً وبذلت كل ما في وسعي أن ينتظر حتى أعود.

شجاعة : قولــي له إنــي موافقة على مائتــي فلورين، اجري بســرعة. (إيفت تجري. يجلسون في صمت) أعتقد أنني ساومت طويلا.

(تسمع الطبول من بعيد. الـواعظ ينهض ويذهـب إلـى الـداخـل. الأم شجاعة تبقى جالسة. ظلام. يتوقف قرع الطبل. يعود النور. الأم شجاعة لم تتحرك من مكانها).

إيفت : (تظهر فجأة، شــاحبة جداً): نجحت بمساوماتك! احتفظــي بعربتك! أما هو فقد تلقى إحدى عشــرة رصاصة. إنك لا تســتحقين أن أساعدك منذ الآن. لكنــي ســمعتهم يقولون إنهم لا يعتقدون أن الصندوق قــد ألقي به في النهر. ويقولون إنكم جميعاً تواطأتم مع الجبن السويسري. وســيأتونكم بجثته. فحاولي ألا تظهري أي تأثر، وإلا ضعتم جميعاً. إنهم يقتفون أثــري، وها أنا ذي قد نبهتكم. أتريدون أن آخذ معي كترينة؟ (الأم شــجاعة تهز رأســها). هل هي تعلم؟



لعلها لم تسمع دق الطبل، أو لم تفهم.

شجاعة : إنها تعلم. اذهبي وأحضريها.

(إيفت تذهب لإحضار كترينة، وهذه تجلس إلى جوار أمها ولا تتحرك. الأم شجاعة تأخذ بيدها. يدخل فلاحان يحملان نعشاً مددت عليه جثة تحت كفن. والعريف يمشي إلى جوارهما. يضعون النعش على الأرض).

العريف : هذا شخص لا نعرف اسمه، ولا بد من قيد اسمه حتى يكون كل شيء كما ينبغي. لقد كان عندك، وتناول وجبة طعام. انظري هل تعرفينه. (يرفع الكفن) هل تعرفينه؟ (الأم شجاعة تهز رأسها) كلا؟ ألم تريه قبل أن يأتي لتناول الطعام عندك؟ (الأم شجاعة تهز رأسها مرة أخرى) احملاه! وادفناه في المقبرة المشتركة. لا أحد يعرفه.

(يحملانه).



(٤)

الأم شجاعة تغني أغنية الاستسلام الكبير

(أمـام خيمة ضـابط، الأم شـجاعة تنتظر. كـاتب يتطلع إلـى خارج الخيمة)

الكاتب : أنـا أعرفك. أنت التـي أخفيت أميـن الصندوق البروتستنتي. الأفضل أن لاتقدمي شكوى.

شجاعة : سـأقدم شـكوى. أنا بريئة. إذا سكت قالوا إن ثمة جريمة ارتكبتها وأريد إخفاءها. لقد حطموا عربتي بضربات سيوفهم وأخذوا مني غرامة قدرها خمس قطع فضية بغير أدنى موجب.

الكاتب : أنصحـك أن تغلقـي فمك. إن الكتيبـة في حاجة إلى صاحبة مقصف وسـندعك تمارسين تجارتك. وإذا كنت ارتكبت جريمة فادفعي بين الحين والحين غرامة.

الأم شجاعة : سأقدم شكوى.

الكاتب : كما تريدين. ولكن انتظري حتى يتسـع وقت قائد الفرسان لمقابلتك (يدخل الخيمة).

جندي شاب : (يدخـل مترنحاً)، بحق العذراء! أين الكلب الملعون المسـمى قائد الفرسان؟! لقد منعني مكافأتي وراح يغيب عن الوعي بها هو ورجاله! سأقضي عليه.

جندي أكبر سناً : (وهو يعدو خلفه) أغلق فمك! سيكسرون بدنك.



جندي شاب : اخرج يالص! سأقطعك إرباً إرباً! تسرق مكافأتي بعد أن كنت الوحيد الذي استطاع أن يسبح في النهر، ومع ذلك فليس عندي حتى ما يكفي لشراء قدح من الجعة. لا، لن تمر المسألة بهذه السهولة. اخرج حتى أمزقك.

الجندي الأكبر سناً : يا الله! سيؤدي هذا إلى هلاكه.

شجاعة : ألم يحصل على مكافأته؟

الجندي الشاب : اتركني وإلا جندلتك معه، وتطهرنا منكما.

الجندي المسن : لقد أنقذ فرس العقيد ولم يحصل على مكافأة. إنه لا يزال شاباً، ولا أقدمية له في الجيش.

شجاعة : اتركه. إنه ليس كلبا يقاد بمقود. وله الحق في المطالبة بمكافأة. وإلا فماذا يدعوه للقيام بعمل بارز؟

الجندي الشاب : إنه يغيب عن الوعي في داخل الخيمة. وأنتم أنتم جبناء رعاديد! لقد قمت بعمل غير عادي، فلا بد لي من مكافأة.

شجاعة : أيها الفتى، لا تصرخ في وجهي. إن عندي همومي، ومن الخير لك أن توفر عليك صوتك حتى يأتي قائد الفرسان. فإنه يأتي بعد هذا وأنت مبحوح لا تخرج صوتاً، ولا يستطيع أن يسر بإرسالك إلى السجن. إن الذين يصرخون لا يأتون بنتيجة: فبعد نصف ساعة يضطرون إلى النعاس من شدة الإرهاق.

الجندي الشاب : لست مرهقاً ولا أريد نعاساً. إني جوعان. إن الخبز الذي يقدم إلينا مصنوع من ثمار البلوط وحب العنب، ومع ذلــك يبخلون به. وهو يأخــذ مكافأتي لينفقها على سيئات السمعة، بينما أنا أتضور جوعاً. لابد أن أقضي عليه.

شجاعة : أفهم أنــك جائع. فإن قائدكم فــي العام الماضي قــد أمركــم بترك الطريق الرئيســي وبالســير في الحقــول وراء القمــح. وكنت أســتطيع أن أتقاضى عشرة فورينات عن الحذاء، إذا كان مع إنسان عشرة فلورينات وكان عندي أحذية. وكان القائد يعتقد أنه سيكون قد رحل حين يحل وقت الحصاد. ولكنه بقي ها هنا، والمجاعة واسعة. إني أدرك غضبك.

الجندي الشاب : إني لا أتحمل ذلك، اســكتي، فإني لا أتحمل وقوع أي ظلم.

شجاعة : أنت على حق، ولكن إلى متى؟ إلى متى لا تســتطيع تحمل الظلم؟ ســاعة أو ســاعتين؟ إنك لم تســأل نفسك هذا السؤال، مع أن هذا هو بيت القصيد. إن في السجن بؤســاً حينما تكتشف فجأة أنك تحتمل الظلم.

الجندي الشاب : أنا لا أدري لماذا أســتمع إليك. يا إلهي ! أين قائد الفرسان؟

شجاعة : أنت تســتمع إليّ لأن كل ما أقوله لك تعرفه جيداً. وتعــرف أن غضبــك بدأ يزول، وأنــه قصير العمر،

وأنت في حاجة إلى غضب طويل، فمن أين لك به؟

الجندي الشاب : أتريدين أن تقولي إنني حين أطالب بمكافأة، فليس هذا من العدل؟

شجاعة : بل بالعكس. إني أقول فقط إن غضبك ليس طويلا الطول الكافي، ولهذا لا تستطيع أن تفعل به شيئاً، وهذه خسارة. لو كان غضبك أطول لزدت في اشتعاله. هنالك كنت أنصحك بأن تحطم هذا الكلب؛ ولكن إذا لم تقدر على ذلك، لأن غضبك بدأ ينفثئ، وذيلك بدأ يتقلص، وأكون أنا وحدي أمام الخيمة، فيصب القائد جام غضبه عليّ أنا.

الجندي المسن : أنت على حق تماماً، فهذه مجرد ثورة مؤقتة.

الجندي الشاب : هكذا؛ سترون إذا كنت لا أسحقه. (يستل سيفه) حينما يأتي، سأسحقه سحقاً.

الكاتب : (ينظر في الخارج) سيدي قائد الفرسان سيأتي حالا. اقعدوا (الجندي الشاب يقعد).

شجاعة : قعد، انظروا إليه، لقد جلس! ماذا قلت! ها أنت ذا تجلس إنهم يعرفون ذلك فينا، ويعرفون كيف يلعبون بنا. أمر بالقعود! وها نحن جميعاً جالسون! وفي الجلوس تزول ثورة الغضب. لن تقف، كما وقفت قبل، لن تنهض بعد، لكن لا تخجل من نفسك أمامي. فأنا لست خيراً منك. لقد ابتاعوا كل قوانا، لماذا؟ لأنني إذا احتججت، فإن هذا يضر بتجارتي. سأروي



لك شيئاً عن الاستسلام الكبير.

(تنشد نشيد الاستسلام الكبير)

قـــلـــت فـــي زهـــــرة عــمــري

إنـــــنــــي لـــســــت كــغــيــري

(لست كأي بنت فلاحة، فإن عندي طلعة بهية وقريحة ذكية وطموحاً).

وحـــســـائــــي دون شــعــره

وزواجــــــــي دون مــكــسـب

(إما كل شيء، أو لا شيء. أي إنسان، أبداً. كل إنسان صانع سعادته بنفسه. لن يفرض أحد أوامره علي).

صاح فوق السطح برقش:

انـــظـــري عـــامـــاً فـعـامـا

بــعـــدهـــا تمـــشـــين حـتـمـا

بـــخـــطـــى غــــيـــرك دومـــا

وتــــغـــنـــين بــلـــحــنـك

ويــــســــيــر الـــكـــل مـثـلـك

زعـــمــوا : الإنـــســـان يـفـكـر

بــيــنــمــا الـــــرب يــدبــر

دعـــك مــــن هــــذا الــكــلام



قبل أن يمضي عام

صرت لا أخشى دواء

(ولدان على عاتقي. وسعر الخبز غال، وكل ما هنالك من تكاليف ونفقات)

ثم لما علموني

تركوني بعد أزحف

(ينبغي أن نأخذ الناس كما هم. إحدى اليدين تغسل الأخرى. لا يخرق المرء الجدار برأسه)

صاح فوق السطح برقش

انظري عاماً فعاما

بعدها تمشين حتما

بخطى غيرك دوما

وتغنين بلحنك

ويسير الكل مثلك

زعموا : الإنسان يفكر

بينما الرب يدبر

دعك من هذا الكلام

كم رأيت الناس تصعد

ما رضوا بالنجم مرقى

أو مــقـــامــــاً أو جــمـــالاً

(الماهر خالق، حيث الإرادة يكون المخرج، سنحطم الدكان)

صـــعــــدوا حـــتـــى الأعـــالـــي

وأحـــــســـــوا ثـــقـــل كـــوخ

(على قدر لحافك مد رجليك)

صـــاح فـــوق الــســطــح بــرقــش:

انـــــظـــــري عــــامــــاً فــعــامــا

بـــعـــدهـــا تمـــشــين حــتــمــا

بـــخـــطـــى غـــيـــرك دومــــا

وتـــغـــنـــين بـــلـــحـــنـــك

ويـــســـيـــر الــــكـــل مــثــلــك

زعـــمـــوا: الإنـــســـان يــفــكــر

بـــيـــنـــمـــا الــــــرب يـــدبـــر

دعـــــك مــــن هـــــذا الـــكـــلام

(الأم شجاعة مخاطبة الجندي الشاب):

ولهذا أعتقد أنه يجب عليك أن تبقى هنا مشهراً سيفك إذا كنت تريد القضاء عليه فعلا وكان غضبك طويل المدى، لأن قضيتك عادلة، هذا أمر أسلم لك به. لكن إذا كان غضبك قصيراً، فالأولى بك أن تمضي من

هنا فوراً.

الجندي الشاب : تبـــاً لـــك! (يمضي مترنحـــاً، ومن ورائـــه الجندي المســـن) الكاتب (يخرج رأســـه مـــن الخيمة): قائد الفرسان وصل. تستطيعين الآن أن تقدمي شكواك.

الأم شجاعة : لقد غيرت رأيي. لن أقدم شكوى.

(تخرج)



(٥)

مضى عامان. اتسع نطاق الحرب. اخترقت عربة الأم شجاعة طرقاً عديدة خلال بولندة ومورافيا وبافاريا وإيطاليا ثم بافاريا مرة أخرى. وفي سنة ١٦٣١ انتصر تلي قرب مجدبورج، وهذا النصر كلف الأم شجاعة أربعة قمصان ضباط.

عربة الأم شجاعة تقف في قرية مهدمة

(تسمع من بعيد أبواق النصر. كترينة والأم شجاعة يقدمان الطعام والشراب لجندين عند المنضدة، أحدهما لف نفسه بمعطف فراء اغتصبه من سيدة).

شجاعة : ماذا، لا تستطيع أن تدفع؟ بدون فلوس لا كؤوس. يعزفون موسيقى النصر ولا يدفعون رواتب الجنود!

الجندي : ولكني أريد أن أشرب. لقد وصلت متأخراً فلم أستطع النهب والسلب. والقائد ضحك علينا، فلم يطلق لنا حرية السلب والنهب في المدينة إلا لمدة ساعة واحدة. قال إنه رجل إنساني: لابد أن يكون أهل المدينة قد رشوه واشتروه.

الواعظ : (يدخل متعثراً): لازال هناك بعض الجرحى في فناء الحقل. إنهم أسرة الفلاح. ساعدوني، أنا في حاجة إلى شاش.

(الجندي الثاني يذهب معه. كترينة تنفعل، وتحاول أن تقنع أمها بإعطائه شاشاً).



شجاعة : ليس عندي شــاش. لقد بعت آخــر ما كان عندي من الشاش للكتيبة، ولن أمزق قمصان الضباط التي عندي من أجل هؤلاء الناس.

الواعظ : (يعيد النداء): أنا في حاجة إلى شاش، أقول لك.

شجاعة : (تعترض كترينة عند مدخل العربة، بأن تجلس على الرفوف): لن أعطي شــيئاً. إنهم لا يدفعون؛ لم يعد لديهم مال.

الواعظ : (مخاطبــاً امرأة نصف ميتة جرهــا حتى هناك): لماذا بقيت هناك تحت مرمى المدافع؟

الفلاحة : (بصوت خائر) الحقل!

شجاعة : هــؤلاء لا يريــدون أن يدفعــوا شــيئاً، ومــع ذلك يطالبونني بالمساعدة. لن أعطي.

الجندي الأول : إنهم بروتستنت. لماذا يعتنقون البروتستنتية؟

شجاعة : إنهم يهزأون الآن بالعقيدة، فقد ضاع حقلهم!

الجندي الثاني : إنهم ليسوا بروتستنت، بل كاثوليك مثلي ومثلك.

الجندي الأول : لــم يكن فــي وســعنا أن نســتنقذهم أثناء ضرب المدافع.

فلاح : (يسنده الواعظ): لقد فقدت ذراعي.

الواعظ : أين الثاني؟

(كلهم يتطلعون في وجه الأم شجاعة، وهذه لا تتحرك).



شجاعة :لا أستطيع أن أعطي شيئاً بعد كل هذه النفقات، مكوس، عشور فوائد، رشاوى! (كترينة تمسك بقطعة من الخشب وتهدد بها أمها وهي تصيح بأصوات حلقية) هل أنت مجنونة؟ اتركي هذه الخشبة، وإلا صفعتك يا ملعونة! لن أعطي شيئاً، لا أريد، يجب أن أفكر في نفسي أولا. (الواعظ يحمل الأم شجاعة من على الرفوف، ويضعها على الأرض. ثم يفتش ويستخرج قمصاناً ويمزقها إلى شرائط). قمصاني! وكل قميص منها يساوي نصف فلورين! لقد أفلت! (من البيت يأتي صوت طفل مليء بالألم).

الفلاح : لايزال الطفل في داخل البيت! كترينة تجري إلى هناك).

الواعظ : (مخاطباً المرأة): ابقي راقدة ! سنأتي به.

شجاعة : امنعوها، فقد ينهار عليها سقف البيت.

الواعظ : لن أذهب بعد إلى هناك.

شجاعة : (لا تدري ماذا تفعل)، لا تبدد هذا القماش الثمين!

(الجندي الثاني يمنعها. كترينة تأتي بالطفل من بين الأنقاض).

شجاعة : هل وجدت طفلا تجرينه معك؟ أعطيه فوراً لأمه، وإلا تشاجرت معك طويلا حتى أنتزعه منك؛ ألا تسمعين؟ (مخاطبة الجندي الثاني) لا تتطلع هكذا، بل اذهب إلى هناك وقل لهم أن يوقفوا هذه



الموسيقى؛ لقد عرفنا هنا أنهم انتصروا. ولكني أنا لم أنل غير الخسارة من نصركم هذا.

الواعظ : (وهو يقوم بالتضميد): إن الدم ينفد.

(كترينة تهدهد الطفل وتغني له أغنية هدهدة)

شجاعة : أما هذه فتقعد هناك سعيدة في وسط هذه المصائب؛ أعطيه فوراً، فقد ثابت أمه إلى وعيها. (تتبين أن الجندي الأول سطا على زجاجات الشراب ويريد الآن أن يحمل واحدة منها) قف، أيها الوغد، كفى انتصاراً! ادفع.

الجندي الأول : ليس معي نقود.

شجاعة : (تنتزع منه معطف الفراء): إذن أعطني هذا المعطف، إنه مسروق.

الواعظ : لايزال ثم شخص تحت الأنقاض.

(٦)

أمام مدينة انجو لشتاد في بافاريا، الأم شجاعة تشهد جنازة القائد الإمبراطوري تلي. يجري الحديث عن الأبطال وعن طول مدة الحرب، والواعظ يشكر من تعطيل ملكاته، وكترينة الخرساء تحصل على الحذاء الأحمر، نحن في سنة ١٦٣٢.

داخل المقصف

(منضدة عالية وجهها إلى الداخل- مطر- من بعد قرع الطبول وموسيقى حزينة.

الواعظ وكاتب الكتيبة يلعبون الضامة. الأم شجاعة وبنتها تقومان بعملية جرد).

الواعظ : الموكب الجنائزي يتحرك الآن.

شجاعة : خسارة موت هذا القائد- اثنان وعشرون زوجاً من الجوارب- كان مصرعه سوء حظ فيما يبدو، السبب هو الضباب المنتشر في الحقول، لقد صاح في رجاله؛ قاتلوا حتى الموت، ولما عاد إلى المؤخرة، تاه في الضباب حتى وجد نفسه في الطليعة فأصابته رصاصة في صميم المعركة، ثم أربعة مصابيح. (يسمع صفير من الخلف. تذهب إلى المنضدة العالية) هذا عار: يدفنون قائدكم وتهربون من موكب الجنازة! (تصب لهم المشروب).

الكاتب : كان يجب عدم دفع الرواتب قبل تشييع الجنازة. أما الآن فسيذهبون جميعاً للشراب بدلا من الاشتراك

في موكب الجنازة.

الواعظ : وأنت، ألا تشارك في الموكب؟

الكاتب : أنا؟ إن المطر شديد.

شجاعة : أمـا أنت فالأمر مختلف بالنسـبة إليك: إذ المطر يفسـد زيك! ويبدو أنهم كانوا يريدون أن تدق جميع النواقيس بمناسـبة دفن القائد، لكن تبين أن جميع الكنائـس دمرت بأمـر من هذا القائـد، وهكذا لن يسـتطيع أن يسـمع قرع أي ناقـوس حينما يهيلون عليـه التراب. وبدلا مـن هذا سـيطلقون المدافع ثلاث مرات، حتى لا يكون الدفن جافاً- سبعة عشر حزاماً!

نداء على المنضدة : يا صاحبة المقصف! كأساً.

شجاعة : النقود أولا. لا، لا تدخلوا عندي بأحذيتكم القذرة. اشـربوا في الخارج مهما اشـتد المطر. (مخاطبة الكاتـب) أنا لا أسـمح بالدخـول إلا للضباط. لقد علمت أن القائد كانت لديه متاعب كثيرة في أخريات أيامه. إذ يقال إن الكتيبة الثانية تمردت لأنه لم يدفع رواتـب لهم، قائـلا إن هذه حرب مقدسـة، فيجب أن يقاتل الإنسـان دون أن يتقاضـى عن ذلك راتباً. (مارش جنائزي).

الواعظ : الآن هم يمشون أمام النعش.

شجاعة : إني آسـف على مثل هذا القائد أو القيصر، فلعله

ظن أنه يســتطيع القيام بأعمال جليلة يتحدث عنها الخلف في الأزمان المقبلة، ويقام له من أجلها تمثال، بأن يغزو العالم مثلا، فهذه غاية عظيمة بالنسبة إلى قائد، لا يعرف خيراً منها. وبالجملة فإنه يفني نفسه في هذا العمل، ثم يخفق هذا كله- لأي سبب؟ بسبب الشــعب العادي الذي لا يريد غير قدح من الشراب فــي مجلس أنس، ولا شــيء أرفع مــن ذلك. وأجل الأعمال تداعت بتفاهــة الذين كان ينبغي عليهم أن يحققوها، ذلك أن القياصرة أنفســهم لا يستطيعون أن يفعلوا شــيئاً وحدهم، بــل لابد من الاعتماد على جنودهم وعلى الشعب، أليس كذلك؟

الواعظ : (يضحك) يا شــجاعة! أســلم بأنك على حق فيما يتصــل بالجنــود، فهــؤلاء يبذلون ما فــي طاقتهم. انظري إلى هؤلاء الجنود الذين يشــربون الشــراب تحــت المطر هناك، بمثل هؤلاء الشــبان أؤكد أنني أســتطيع القيام بالحرب طوال مائــة عام وأكثر، بل حربين في وقت واحد، مع أني لست قائداً حربياً.

شجاعة : إذن ألا تعتقد أن الحرب ستنتهي عما قليل؟

الواعظ : لأن القائد توفي؟ لا تكوني طفلة. فأمثاله كثيرون، والأبطال يوجدون باستمرار.

شجاعة : إني لم أسألك هذا السؤال عبثاً، ولكن لأني أسائل نفسي هل ينبغي أن أشتري بضائع، فإن من الممكن شراءها الآن بسعر مجز. أما إذا انتهت الحرب، فلن

يكون أمامي غير أن ألقي بها في الطريق.

الواعظ : أنا فاهم أنك تقصدين أمراً مهماً. أنت تعرفين أنه يوجد دائماً ناس يصيحون في كل مكان: «ستنتهي الحرب يوماً ما». ولكني أجيبهم دائماً: «سنرى.. ما إذا كانت الحرب تنتهي فعلا». يمكن أن تقوم هدنة لمدة قصيرة. والحرب يمكن أن يصيبها الهزال، بل وأن تصاب بحادث إن صح هذا التعبير. فكل شيء ممكن، ولا شيء كاملاً على هذه الأرض. إن حرباً كاملة- أمر لعله لا وجود له أبداً، حرباً يمكن المرء أن يقول عنها: هذه حرب لاعيب فيها أبداً. ولكن لابد ذات يوم من أن تصطدم الحرب بشيء غير متوقع، ويكفي أحياناً شيء تافه، أو نسيان بسيط جداً- إذ لا يمكن الاحتياط لكل شيء- ثم يبدأ الاضطراب ولابد من إقامة الحرب من جديد. ولكن القيصر والملوك والبابا يأتون لنجدة الحرب من مأزقها. وهنالك لن يكون أمامها ما تخاف منه حقاً، وتكون أمامها حياة طويلة.

جندي : (يغني أمام المنضدة العالية)

أسقني شراباً، وعجل
ليس من وقت لفارس
يبتغي الحرب لقيصر
كأساً مزدوجة، فإن اليوم عيد!



شجاعة : إذا كنت أستطيع الثقة بك...

الواعظ : فكر. إني أسألك ماذا يمكن أن يوقف هذه الحرب؟

الجندي (يغني أمام المنضدة العالية)

يـــــا فـــتـــاتـــي هـــاتـــي
أســـرعـــي كـــونـــي رشـيـقـة
لـــيـــس مـــن وقـــت لـــفـــارس
يـبـتـغـي الـسـيـر لمـيـرن[1]

الكاتب : (فجأة) والســلام، ماذا ترى فيه؟ إنني من بوهيميا وأود العودة إلى وطني.

الواعظ : صحيح تريد العودة؟ نعم، الســلام! ماذا يبقى من الثقب، إذا أكلت من الجبن؟

الجندي : (يغني من وراء)
كـــن ذكـــيـــاً يـــا رفـــيـــقـــي!
لـــيـــس مـــن وقـــت لـــفـــارس
طـــالمـــا تحـــشـــد جـــنـــود.
أيـــهـــا الـــقـــســـيـــس رتـــل!
لـــيـــس مـــن وقـــت لـــفـــارس

---

(١) ميرن Mahren مورافيا

الكاتب : لكن الحرب لا يمكن أن تدوم أبداً.

الواعظ : أريـــد أن أقول إن الحرب يوجد فيها أيضاً ســـلام. إذ فيهـــا مواضع ســـليمة. إن الحـــرب ترضي جميع المطالـــب، ومـــن بينهـــا المطالب الســـلمية، وهذا مكفول. وإلا لما استطاعت الصمود. والمرء يقضي حاجته في حالتي الحرب والسلام على السواء. وبين معركتين يمكن المرء أن يتناول قدحاً من الشـــراب. وحتى حين الزحف على العدو يمكنك أن تتعس على مرفقك في خندق أو حفرة. صحيح أنه لا يمكنك أن تلعـــب الورق أثناء الحرث؟ وبعد النصر هناك فرص عديـــدة. فقد يحدث لك أن تفقـــد أحد أطرافك أو أعضائك، ساقاً مثلا. وتبدأ تصرخ مطالباً بالانتقام، وكأن هذا نهاية كل شيء. ثم تهدأ شيئاً فشيئاً. ويدفع لك ثمن مشـــروب، ثم تستأنف السير عرجاً، غير أن هذا لا يمنع الحرب من أن تســـير كما لو كان لا يزال لك ساقان. وماذا يمنعك من الإنسان أثناء المذبحة، خلـــف كومة من التبن أو في العشـــب العالي؟ هناك تستولي الحرب على ذريتك وتعتني بها، وتستعين بها في المســـتقبل. لا، إن الحرب تجد دائماً ما يبررها. فلماذا تريد منها إذن أن تنتهي؟

(كترينة تكف عن الشغل وتنظر إلى الواعظ نظرة ثابتة).

شجاعة : إذن هذا وقت الشـــراء. إنـــي أثق بك (كترينة تلقي



بسلة الزجاجات فجأة وتجري خارجة) يا كترينة!
(ضاحكة) آه، يا إلهي! صحيح هي تنتظر السلام؛
ذلك لأني وعدتها بأن تتزوج حين يعود السلام.

(تجري وراء كترينة).

الكاتب : (وهو ينهض). لقد كسبت لأنكم انشغلتم في الكلام. أنت تدفع.

شجاعة : (وقد عادت ومعها كترينة) كوني عاقلة، إن الحرب ستستمر بعض الوقت، وهكذا نستطيع أن نكسب قليلا من المال، نستعين به في وقت السلام. اذهبي إلى المدينة ومرِّي على محل «الأسد الذهبي» لأخذ الأشياء التي هناك، ما له قيمة فقط، والباقي سنذهب لأخذه بالعربة. وسيصحبك الكاتب. إن معظم الجنود يشتركون في جنازة القائد، فلا يمكن أن يحدث لك شيء. وانتبهي حتى لا يسرق منك شيء. فكري في بائنتك، يا كترينة.

(كترينة تضع منديلا على رأسها، وتذهب في صحبة الكاتب).

الواعظ : هل يمكن أن نعهد بها للكاتب؟

شجاعة : إنها ليست من الجمال بحيث يفكر رجل في أن يعبث بها.

الواعظ : إني أعجب بك كثيراً. حين أراك هكذا تديرين أشغالك التجارية وتتخلصين من المآزق، أفهم لماذا يسمونك «شجاعة».



شجاعة : إن الفقراء في حاجة إلى شجاعة، وإلا ضاعوا. لابد لهم منها، على الأقل للنهوض في الصباح الباكر. فإن حرث الحقل في أثناء اشتعال نار الحرب، وإنجاب أولاد بينما المستقبل مظلم- كل هذا يستدعي شجاعة قاسية. وهم في حاجة أيضاً إلى الشجاعة حين يواجه بعضهم بعضاً في المعارك التي يرغمون على خوضها ليذبح بعضهم بعضاً. وأن يتحملوا الإمبراطور والبابا، هذا أيضاً يدل على شجاعة غير عادية، لأن هذين يتطلبان منهم حياتهم. (تجلس وتخرج غليوناً صغيراً من جيبها وتدخن). يمكنك أن تكسر بعض الأخشاب.

الواعظ : (يخلع سترته كارهاً، ويستعد لتقطيع الأخشاب) إنني راعي أرواح لا مقطع أخشاب!

شجاعة : ولكني لا روج عندي. وفي مقابل هذا أحتاج إلى خشب للوقود.

الواعظ : وما هذا الغليون؟

شجاعة : غليوني.

الواعظ : كلا ليس أي غليون كان، بل غليون من نوع معين.

شجاعة : صحيح؟

الواعظ : هذا غليون الطباخ، طباخ كتيبة أوكسنستيرنا.

شجاعة : وما دمت تعرف، فلماذا إذن تسأل هذا السؤال متظاهراً بالبراءة؟

الواعظ : لأني أسـائل نفسـي هل تدخنين عـن قصد بهذا الغليـون؟ إذ يمكن أنك وأنت تفتشـين فيما عندك، تقع يدك على غليون، أي غليون كان، وتأخذينه هكذا دون قصد.

شجاعة : ولماذا لا يكون الأمر كذلك؟

الواعظ : لأنـه لم يكن كذلك: إنـك تدخنين في هذا الغليون عن قصد.

شجاعة : وإذا كان الأمر هكذا فعلا؟

الواعظ : يا شـجاعة، من واجبي أن أحذرك. فهناك احتمال ضئيـل جداً أن تقابلي هذا الرجل مرة أخرى، وليس هذا بالأمر السـيئ، بل الحسـن. إنه لـم يترك في نفسي أثراً طيباً، بل على العكس.

شجاعة : صحيح؟ لقد كان رجلا طيباً.

الواعظ : آه! أنـت تصفينـه بأنه رجل طيب! أمـا أنا فليس هذا رأيي. إننـي لا أبغضه، ولكن أما أن أصفه بأنه «طيب» فكلا وألف مرة كلا. إنه ليس رجلاً طيباً، بل هو بالأحرى دون جوان، بل ودون جوان ماكر خبيث. ألا تصدقيني؟ انظري إلى هذا الغليون واعترفي بأنه يكشف عن أخلاقه.

شجاعة : إني لا أرى فيه شيئاً، إنه مستهلك.

الواعظ : إن نصفه متآكل من عض الأسنان عليه. إنه شخص قاسـي الطبع. هذا غليون شـخص قاسي الطبع لا



يرعى إلا ولا ذمة، هذا ما تستطيعين أن تتبينيه فيه إن لم تكوني فقدت كل قدرة على التمييز والحكم.

شجاعة : لا تحطم رجلي هكذا.

الواعظ : لقد قلت لك إني لســت حطاباً أقطع الأخشاب، بل أنا راعي النفوس، درســت اللاهوت والأخلاق وهنا يراد إســاءة اســتخدام مواهبي وكفاياتــي الروحية لأعمــال بدنية. والملكات التــي وهبني الله إياها لا يســتفاد منها. هذه خطيئة. إنك لم تسمعيني أعظ؛ إن في استطاعتي بموعظة واحدة أن أؤثر في كتيبة إلــى حد أن تصبح في حالة لاترى فيها جيش العدو إلا قطيعــاً مــن الحملان، وتبدو لهــم الحياة خرقة مهلهلة يلقون بهــا عن طيب خاطر إذا ما نظروا في الغاية التي يقاتلون مــن أجلها، النصر النهائي. لقد وهبني اللــه ملكة التأثير البالغ عــن طريق الكلام. إنــي أعظ وعظاً مؤثراً يمكن أن ينتزع منك الســمع والبصر.

شجاعة : لا أود أن أفقد ملكتي الســمع والبصر. وإلا فماذا سيؤول إليه أمري.

الواعظ : يا شــجاعة ! لقد قلت لنفســي مراراً: لعل أقوالك العملية المادية تخفي طبيعة حارة. إنك من الشــر، وفي حاجة إلى حرارة.

شجاعة : إننا نحصل على الحرارة في الخيمة، إذا كان عندنا الكفاية من خشب الاحتراق.



الواعظ : أصغي إليّ! يا شجاعة، شيئاً من الجد. لقد ساءلت نفسي مراراً عن نوع الحياة التي نعيشها معاً لو أننا عقدنا فيما بيننا علاقات أوثق. إن عواصف هذا العصر الحافل بالحروب قد جرتنا إلى نفس الدوامة.

شجاعة : إنـي أرى أن علاقاتنا الآن وثيقة إلى درجة كافية. فأنا أطبخ لك، وأنت تشتغل وتقطع الخشب مثلا.

الواعظ : (يقبل عليها) ألا تفهمين ماذا أقصد بقولي «وثيقة»؟ إن هذا لا شأن له بالطعام وتقطيع الخشب وأمثال ذلك من الحاجات الوضيعة. دعي قلبك يتكلم، ولا تتكلفي القسوة.

شجاعة : لا تنقض عليّ بفأسك، وإلا قطعت هذه الروابط القائمة فيما بيننا.

الواعظ : لا تحولي الأمر إلى مزاح وهزل. فإني رجل جاد، وقد فكرت طويلاً وقدرت ما قلت.

شجاعة : أيها الواعظ! كن عاقلا. إني أستلطفك، فلا تحملني على زجرك. إن كل ما أنشده هو أن نخرج من هذه المحنة على خير حال ممكنة، أنا وأولادي، وهذه العربة التي لم تعد هي أيضاً ملكا لي. وقلبي ليس فيه متسع للأمور الوجدانية. إنني الآن أجازف بشراء بضائع؛ والقائد الإمبراطوري مات، والناس جميعاً يتحدثون عن السلام. فماذا سيكون حالك، لو أنني أفلست؟ أنت ترى أنك لا تدري ماذا سيؤول

إليه أمرك. قطع لنا الخشب، حتى نشعر بالدفء في المساء، وهذا شيء بديع كاف في مثل هذه الأوقات العصيبة. ما هذا؟

(تنهض. تدخل كاترينة مبهورة الأنفاس، في جبهتها جرح وكذلك في عينيها. وتجر معها أشياء متعددة الأنواع، وحزماً وقطعاً جلدية، وطبلا، إلخ).

شجاعة : ماذا؟ هل هاجموك؟ وأنت راجعة؟ هل انقضوا عليك من الخلف؟ هل الذي انقض عليك هو الفارس الذي غاب عن وعيه عندي؟ كان ينبغي ألا أرسلك إلى هناك. اتركي هذا كله! على كل حال ليس الأمر خطيراً، فالجرح مجرد جرح في اللحم. سأضمده لك، ويندمل في أسبوع. أنت أسعد حالا من الدواب. (تضمد لها الجرح).

الواعظ : إني لا ألومهم. إنهم لا يؤذون أحداً طالما كانوا في ديارهم في سلام. إن المجرمين الحقيقيين هم أولئك الذين يدفعون بهم إلى الحرب، ويقلبون بذلك الإنسانية رأساً على عقب.

شجاعة : ألم يصحبك الكاتب في طريق العودة؟ لقد وقع هذا لأنك فتاة مهذبة، وهم لا يقيمون وزناً لذلك. إن الجرح ليس عميقاً، ولن يبقى له أثر. لقد تم الآن تضميده. سأعطيك شيئاً، اهدأي. لقد وضعته جانباً، دون أن أقول لك شيئاً، سترين.

(تخرج من حقيبة حذاء إيفيت يوتييه)



آه! مبســوطة؟ ها أنت ذي ترين. لقد كنت راغبة فيه دائماً. وها هو ذا لك الآن. البسيه حالا قبل أن أندم عليه (تساعد كاترين في لبس الحذاء) لن يبقى شيء، وحتى لو بقي فلن أتأثر من ذلك. فلا مصير أســوأ مــن مصير أولئك اللواتي يطبن لهم. إنهم يقتادونهن إلــى أن يقضي عليهن. أمــا إذا لم يطبن لهم، فإنهم يتركونهن. لقد عرفت بعض أولئك الفتيات الفاتنات اللواتي بعد قليل من الزمن صرن من البشــاعة إلى حد إخافة الذئاب نفســها. إنهن لا يستطعن المرور وراء شجرة ذلب دون أن يخفن من وقوع حادث لهن- هذه ليســت عيشة. والأمر هنا كالأمر في الأشجار: الأشجار المستقيمة القوية تقطع ليصنع منها الأعواد الخشبية. أما الأشــجار المعوجة فتترك في حالها. ولهذا يجب أن تعدي نفسك سعيدة. وهذا الحذاء لا يزال في حال جيدة. لقد دهنته قبل أن أخبئه.

(كترينة تترك الحذاء وتلجأ إلى العربة)

الواعظ : (بعــد خروج كترينة). أملي ألا يصيبها تشــويه في وجهها.

شجاعة : ستبقى دائماً آثار الجرح. لقد تبدد أملها في عودة السلام.

الواعظ : لقد دافعت عن نفســها دفاعاً مجيداً؛ ولم يســرق منها شيء.

شجاعة : لقــد كان من الأفضل ألا أكون قد نصحتها بالدفاع



عن نفســها. آه! ليتني أعرف ماذا يجري في عقلها! لــم تعد ذات مرة أثناء الليــل، مرة واحدة خلال عام كامــل. وبعد ذلك ظلت تغدو وتروح كما كانت الحال من قبل، لكنها ازدادت إقبالا على العمل. ولم أستطع أن أعرف ماذا عســى أن يكون قد جرى لها في تلك الليلة. (تجمع الأمتعة التي أحضرتها كترينة وترتبها بانفعال وغضــب) هذه هي الحرب! مصدر كســب عظيم! (تسمع طلقات مدافع)

الواعظ : الآن يدفنون القائد. هذه لحظة تاريخية.

شجاعة : اللحظــة التاريخية في نظري هي تلك التي ضربوا فيها بنتي. لقد شوهوها، وبهذا لن تجد من يتزوجها وهي المجنونــة بالأولاد. وإذا كانت خرســاء، فهذا أيضاً بســبب الحرب: فحينما كانــت صغيرة جداً، وضع جندي في فمها شــيئاً. والجبن السويسري لن أراه بعد؛ ولا يعلــم إلا الله أين الآن إيليف. يجب أن نلعن الحرب.



(٧)

الأم شجاعة في قمة أعمالها التجارية

الطريق العام

(الواعظ والأم شجاعة وابنتها كترينة يجرون العربة. البضاعة الجديدة معلقة بترتيب. الأم شجاعة تلبس في عنقها سلسلة من الفلورينات الفضية).

شجاعة : لـن تجعلني أكره الحرب. يقـال إن الحرب تحطم الضعفاء، بيـد أن الضعفاء مقضي عليهم أيضاً في السـلام. ثم إن الحرب تغذي أهلها على نحو أفضل تغني):

لـــم تـــكــن لـــلــحــرب كــفــؤا

لـــم تــنــل فـــي الـــنــصــر شيـئـا

إنمـــــا الحـــــــــرب تجـــــارة

بــــــرصــــــاص لا بــجــبــنــة

وماذا ينفعك القعود دون الاشتراك في الحرب؟ إن القاعدين هم أول من تطيح بهم الحرب، (تغني):

وكـــــــثـــــــيـــــــرون أرادوا

نـــيـــل مـــا لـــيـــس لـكـثـره

رام أن يـــحـــفـــر قـــبـــرا



حفر القبر لنفسه

كم رأيت الناس تعدو

همهم نيل الراحة

فإذا ارتاحوا استرابوا:

ما دعاهم للتعجل؟!

(يتابعون السير)



(٨)

في هذه السنة نفسها، سنة ١٦٣٢. قتل الملك جستاف أدولف، ملك السويد في معركة لوتسن. والسلام يهدد تجارة الأم شجاعة. وابنها الجسور، إيليف، يقوم بمغامرة فائقة البطولة وينتهي نهاية بائسة.

معسكر

(في صباح يوم من أيام الصيف. وأمام العربة تقف امرأة عجوز وابنها. والابن يجر غرارة كشراب فيها أدوات سرير).

صوت الأم شجاعة (من داخل العربة) أكان ضروريا أن يكون ذلك في الفجر والناس نيام؟

الشاب : لقد سرينا طوال الليل وقطعنا عشرين ميلا، ولابد أن نعود في نفس اليوم.

صوت الأم شجاعة : ماذا أصنع بريش الأسرة؟ ليس للناس بيوت.

الشاب : انتظري حتى ترينه على الأقل.

المرأة العجوز : هذا لا يساوي شيئاً. هيا!

الشاب : ماذا تظنين؟ إذا لم ندفع الضرائب المتأخرة، فسيأتون للحجز علينا. لعلها تدفع لنا ثلاثة فلورينات، إذا أضفت إليه صليبك الفضي.

(يسمع قرع النواقيس) : اسمعي يا أمي.

أصوات (من الخلف) : السلام! لقد قتل ملك السويد.

شجاعة : (مخرجة رأسها من العربة) ما معنى قرع النواقيس

هذا في وسط الأسبوع؟

الواعظ : (يخرج زاحفا من تحت العربة) بماذا يصيحون؟

شجاعة : لا تقل لي إن السلام قد أعلن، في هذه اللحظة التي اشتريت فيها بضائع؟

الواعظ : (يصيح في الخلف): هل هذا صحيح، أعلن السلام؟

أصوات : نعم، منذ ثلاثة أسابيع لكننا ها هنا لم نعلم عنه شيئاً.

الواعظ : لماذا يقرعون النواقيس إذا لم يكن ذلك إعلاناً للسلام؟

أصوات : جاء كثير من البروتستنت إلى المدينة بأمتعتهم، وهم الذين جاءوا بهذا النبأ.

الشاب : يا أمي، إنه السلام. ماذا بك!

(العجوز يغمى عليها)

شجاعة : (تعود إلى العربة): يا الله! كترينة، إنه السلام! البسي ثيابك السود. سنذهب إلى الكنيسة، ونسمع القداس، إن علينا هذا دينا للجبن السويسري. لكن هل هذا صحيح؟

الشاب : كل الناس يتناقلون هذا الخبر. لقد أعلن السلام.

(المرأة العجوز، تنهض، وهي في حالة ذهول)

سـأضع السرج من جديد. أعدك بذلك. سيكون كل شـيء على ما يرام. وسـينال أبي سـريره. هل أنت أحسـن الآن؟ هـل تقدرين على المشـي؟ (مخاطباً الواعـظ): لقـد كان ضربة مذهلة بالنسـبة إليها- السـلام. إنها لم تعد تثق بأن سـيكون ثم سلام. أما أبي فقد كان يؤمن بأن السـلام سيعود. سنعود إلى ديارنا فوراً.

(تخرجان)

شجاعة : (في العربة) أعطيها كأساً.

الواعظ : لقد ارتحلا.

صوت الأم شجاعة : ماذا يجري هناك في المعسكر؟

الواعظ : إنهم يحتشدون. سأذهب لأستطلع الأمر. ما رأيك في أن ألبس ثياب الكهنوت؟

شجاعة : يحسن بك أن تتأكد أولا من صحة هذا الخبر. قبل أن تظهر في ثوب المسـيح الدجال. إذا كان هذا هو السـلام حقاً، فإني مبسـوطة. ولا يهم إذا كان هذا السلام سيجلب عليّ الإفلاس، فإني بهذا على الأقل أكون قد خرجت من الحرب بولدين سليمين معافين. والآن أود أن أرى ابني إيليف.

الواعظ : لكن من ذلك القادم هناك من طريق المعسكر؟

يا الله، إنه طباخ القائد!



الطباخ : (رث الهيئة ومعه حزمة): من ذا الذي أرى؟! الواعظ!

الواعظ : يا شجاعة، زيارة!

(تنزل شجاعة من العربة)

الطباخ : يا إلهي ! إنه طباخ القائد! بعد كل هذه السنوات أين إيليف، أيها العجوز!

الطباخ : ظننت أني سأجده هنا. لقد ارتحل قبلي ليأتي هنا.

الواعظ : سألبس ثياب الكهنوت.

(يختلي وراء العربة)

شجاعة : إذن سيحضر بين لحظة وأخرى. يا كترينة! إيليف يعود. هات كأساً للطباخ.

(كترينة لا تخرج من العربة)

أرخي خصلة شعر عليه ولا تهتمي. إن السيد لمب صديق. (تذهب بنفسها لإحضار الكأس) إنها لا تريد أن تظهر؛ إنها تهزأ بالسلام، وهي التي انتظرته من زمن طويل جداً. لقد أصابوا عينها، والجرح غير ظاهر تماماً، لكنها تعتقد أن الناس جميعاً لا ينظرون إلا إلى هذا الجرح.

الطباخ : آه من الحرب!



(كلاهما يجلس)

شجاعة : إنك تجدني في محنة. لقد أفلست.

الطباخ : ماذا؟ هذا سوء بخت.

شجاعة : لقد قطع السـلام رقبتي. لقد اشتريت بضاعة من زمن قليـل، بناء على نصيحة الواعـظ. والآن الكل يجرون، بينما أنا قاعدة على بضائعي!

الطباخ : كيـف تركنين إلى نصائح الواعظ؟ آه لو كان عندي وقت آنـذاك! ولكن الكاثوليك جاءوا بسـرعة، إذن لكنـت حذرتك من ذلـك. إنه أفـاق؛ ولكن هل هو صاحب الكلمة الآن عليك؟

شجاعة : لقـد كان يغسـل الأوانـي، ويسـاعدوني في جر العربة.

الطباخ : هـو يجر؟ إني أعرفه، وأعرف أنه لابد أن يكون قد اكتفى بأن يقص عليك بعض حكاياته. إن فكرته عن المرأة سـيئة جداً وقد حاولت عبثاً أن أؤثر فيه. إنه ليس جاداً.

شجاعة : وأنت، هل أنت جاد؟

الطباخ : لن أكون شيئاَ، إذا لم أكن جاداً. على صحتك!

شجاعة : الجاد ليس بشـيء. ذات مـرة عرفت، ولله الحمد رجلاً جاداً. فلم أعان قسـوة في الحياة كما عانيت: فمـن أول الربيع ذهب لبيع أغطية الأولاد، ووجد أن



عزفـــي علـــى الهارمونكا أمر يتنافى مـــع الدين. أن يتصف إنسان بالجد- هذا ليس فضيلة في نظري.

الطباخ : إن على أســنانك شعراً دائماً يا شجاعة! لكنني أنا أقدر من هو جاد.

شجاعة : أرجــو ألا تقول لي الآن إنك حلمت بالشــعر الذي على أسناني!

الطباخ : نعم، نحن نجلس هنا الآن، ونواقيس الســلام تدق، وهذه ماء الحياة التي تحسنين أن تسقيها. هذا أمر مشهور.

شجاعة : إنني أســخر من نواقيس السلام هذه الآن. إذا لم يدفعوا الرواتب المتأخرة، فإني أتساءل ماذا سيؤول إليه أمرنا أنا وماء الحياة الشهير هذا الذي أقدمه. هل دفعوا مستحقاتك، أنت؟

الطباخ : (بتردد) لا. ولهذا السبب ذهب كل إنسان لحاله. وأنا قلت لنفســي: لم يبق أمامي إذن إلا أن أذهب لزيارة أصدقائي. وهذا هو السبب في مجيئي إليك.

شجاعة : وبعبارة أخرى: ليس معك مليم!

الطباخ : ألم يفرغوا بعد من تحطيم أســماعنا بنواقيســهم هــذه! إن ما أرجوه هو أن أقــوم ببعض التجارة هنا وهناك. لم تعــد لدي رغبة بعد في أن أعمل طباخاً عندهم. إنهــم يطلبون مني أن أطبخ شــيئاً بجذور الشــجر وجلود النعــال، ومع ذلك يلقون بالحســاء



الســـاخن في وجهـــي. إن حيـــاة الطباخين في هذه الأيام مثــل حياة الكلاب. وأفضــل عليها أن أقاتل، ولكنهم عقدوا الســـلام الآن. (يظهر الواعظ بثياب رجل الدين) سنتحدث في هذا فيما بعد.

الواعظ : إن هـــذا الثوب لايــزال في حالة جيـــدة، لكن فيه ثقبين من أكل العثة.

الطباخ : لماذا تكلف نفســـك كل هذا العنـــاء، ولم يعد أحد في حاجة إليك؟! اذهـــب الآن وعظ الناس أن مهنة الجنـــدي مهنة شـــريفة، وأنه من الجميـــل أن يلقي بحياتـــه للكلاب! لن يصغي إليـــك أحد. على أن لي حساباً معك: لقد نصحت هذه السيدة بشراء بضاعة لا فائدة فيها، بحجة أن الحرب ستستمر أبداً.

الواعظ : (محتداً) أريد أن أعرف ما شأنك في هذا؟

الطباخ : لأن هـــذا من البلاهة التامة. ليس من شـــأنك أن تتدخـــل في شـــؤون غيرك ولا أن تعطـــي نصائح لم تطلب منك.

الواعظ : من الذي يتدخل في شؤون الغير؟ (مخاطبا شجاعة) لم أكن أعلم أنك صديقـــة حميمة لهذا الرجل، وأن عليك أن تقدمي له حساباً!

شجاعة : لا تنفعـــل. إن الطبـــاخ لم يفعل أكثـــر من أنه أبدى رأيه الشـــخصي. ومن ناحية أخرى يجب أن تقر بأن حربك المزعومة لم تكن شيئاً.



الواعظ : يجب عليك أن تستحي من التجديف ضد السلام. وأنت ضبع ساحات القتال.

شجاعة : ماذا أنا؟

الطباخ : إذا أهنت صديقتي، فسيكون لك شأن معي.

الواعظ : إنـــي لا أكلمك أنت. إني أعــرف نواياك. (مخاطباً شــجاعة) أمــا أنت فحيــن أراك تعاملين الســلام معاملتك لخرقــة بالية عتيقة، باســتهزاء واحتقار، فإني بوصفي إنساناً أثور وأنفعل، لأني أرى من ذلك أنــك لا تريدين الســلام، بل تريديــن الحرب، لأنك تكسبين من ورائها. لكن لا تنسي المثل القديم الذي يقول: «من يرد الفطور مع الشيطان، فلا بد أن تكون معه ملعقة طويلة».

شجاعة : إني لا أحب الحرب، ولم أفد منها شيئاً يذكر. وإني لا أســمح لك بأن تقول عني «ضبع». ولهذا فإن هذا فراق ما بيننا.

الواعظ : لماذا إذن تشكين من السلام، إذا كان الناس يتوقون إليه؟ أمن أجل بعض الأمتعة البالية في عربتك؟!

شجاعة : إن بضاعتي ليست أمتعة بالية، بل إني أتعيش منها، وأنت أيضاً كنت تتعيش منها حتى الآن.

الواعظ : إذن أنت تتعيشــين من الحــرب! أها! هذا ما كنت أقوله.

الطباخ : (مخاطباً الواعظ): وأنت الرجل الناضج كان يجب



عليك ألا تقدم نصائح. (مخاطباً شـــجاعة) في هذه الظروف خير ما تفعليـــن هو أن تتخلصي من بعض هذه البضاعة بأسرع ما يمكن، قبل أن تنزل الأسعار إلى الحضيض. البسي خير ما عندك وأسرعي، ولا تضيعي لحظة واحدة.

شجاعة : هذه موعظة حسنة جداً. أعتقد أني سأفعل ذلك.

الواعظ : لأن الطباخ قالها!

شجاعة : ولمـــاذا لـــم تقلها أنت؟ هو على حق، الأحســـن أن أذهب إلى السوق (تدخل العربة).

الطباخ : نقطة بالنســـبة لي، أيها الواعظ. إنك لست حاضر البديهة. كان يجب عليك أن تقول: أنا؟ هل أســـديت لك نصيحة؟ لقد كنت أتكلم في السياسة! إنك لست من عيـــاري. وصراع الديكة هـــذا لا يليق بمن يتزيا بزيك هذا!

الواعظ : إني أحذرك بأنك إذا لم تغلق فمك، فإني سأقتلك، سواء أكان هذا يليق بزيي أو لا يليق.

الطباخ : (خالعاً نعليه وفاكّاً قطع القماش التي تربط قدميه) إذا لم تكن قد تحولت إلى وغد كافر، فإنك تستطيع الآن فـــي الســـلام أن تحصل على وظيفة قســـيس. والناس لم يعودوا في حاجة إلى الطباخين، فليس ثم شيء للطبخ، أما الإيمان فيوجد دائماً، لم يتغير منه شيء.



الواعظ : يا سيدي كمب! أرجوك ألا تطردني من مكاني هنا منذ أن أصبحت من الرعاع، أصبحت إنساناً أفضل. لم يعد في استطاعتي بعد أن أعظ الناس.

(إيفت بوتييه في ثياب الحداد، مزينة، ومعها عصا. أصبحت عجوزاً وأسمن وعليها مساحيق كثيرة. ووراءها خادم).

إيفت : سعيدة، يا جماعة، هل الأم شجاعة هنا؟

الواعظ : نعم. مع من لنا شرف التخاطب؟

إيفت : مع العقيدة اشتار همبرج. أيها الطيبون! أين شجاعة؟

الواعظ : (ينادي من العربة) إن العقيدة اشتار همبرج تود أن تتحدث إليك!

صوت الأم شجاعة : سأحضر حالا!

إيفت : أنا إيفت.

صوت الأم شجاعة : آه! إيفت!

إيفت : أتيت فقط لأعرف أخباركم! (الطباخ يلتفت مذهولا) بيتر!

الطباخ : إيفت!

إيفت : ماذا! كيف أتيت إلى هنا إذن؟

الطباخ : في العربة.

الواعظ : آه، أيعرف كل منكما الآخر؟ معرفة وثيقة؟

إيفت : أعتقد. (تتطلع في الطباخ) سمين!

الطباخ : وأنت أيضاً لم تعودي نحيلة.

إيفت : لكنـــي مســـرورة للقائك، يا بغل! الآن أســـتطيع أن أقول لك ماذا أعتقده فيك.

الواعظ : قولي ذلك بدقة، لكن انتظري حتى تأتي شجاعة.

شجاعة : (تأتي، ومعها بضائع مختلفـــة): إيفت! (يتعانقان) لكن لماذا تلبسين ثوب الحداد؟

إيفت : ألا يليـــق علـــيّ؟ لقد توفـــي زوجـــي، العقيد، منذ عامين.

شجاعة : العجوز، الذي أوشك أن يشتري عربتي؟

إيفت : أخوه الأكبر.

شجاعة : يبدو أن الأمر ليس سيئاً بالنسبة إليك. فها هي ذي على الأقل واحدة كسبت شيئاً من الحرب.

إيفت : فوق، وتحت، ثم فوق ووقفت بالنسبة إليّ.

شجاعة : لا يقدحن إذن أحدا في العقداء! إنهم يجمعون من الذهب مثل أكوام التبن.

الواعظ : (مخاطبا الطباخ) لو كنت مكانك للبســت حذائي. (مخاطبا إيفت) لقد وعدت بأن تقولي رأيك في هذا الرجل، يا سيدتي العقيدة.

الطباخ : إيفت! لا تثيري مشاكل هنا!



شجاعة : إنه صديقي يا إيفت.

إيفت : إنه هو، بطرس الغليون.

الطباخ : اتركي التنابز بالألقاب! إن اسمي لمب.

شجاعة : (تضحك) بطرس العليون! الذي جنن النساء! اسمع ! لقد احتفظت بغليونك.

الواعظ : بل ودخنته.

إيفت : إنــه لحظ سـعيد أن أكون هنــا لأحذركم منه: إنه أسـفل إنسان شـوهد مطلق السـراح على شواطئ الفلانــدر كلهــا. لقد بعث اليأس في نسـوة عدتهن بعدد أصابعه.

الطباخ : تلك قصة قديمة، ولم يعد هذا صحيحا اليوم.

إيفت : انهض على قدميك عندما تخاطبك سـيدة. آه، كم أحببت هـذا الرجل. وفي تلك الأثنـاء كان ينام مع سـمراء قصيرة معوجة السـاقين، أوقعها في محنة هي الأخرى، طبعاً.

الطباخ : أما أنت فيبدو أني هيأت لك سـبيل السعادة، كما هو ظاهر.

إيفت : أغلق شـدقيك، أيها الحطام الحزين! لكن احذري منه رغـم ذلك، فهو يظل أيضاً خطراً حتى في حال سقوطه وشقائه!

شجاعة : (مخاطبة إيفت) تعالى معي، لابد لي من أن أتخلص

مـــن كل هذا قبـــل أن تتزل الأســـعار إلى الحضيض. ولعلك تســـتطيعين أن تســـاعديني، لديك من معارف في الكتيبـــة. (مخاطبة كترينة في العربة): يا كترينة، لن نذهب اليوم إلى الكنيسة. سأذهب إلى السوق. إذا جاء أخوك إيليف، فناوليه كأسا. (تخرج مع إيفت).

إيفت : (ذاهبـــة): حينما أتذكر أن رجلا كهذا اســـتطاع أن يجعلني أنحرف عن الطريق المســـتقيم! إذا كنت قد صعـــدت المنحدر رغـــم الجميع، فإنـــي أدين بذلك لحسن طالعي فحسب. لكن إذا كنت قد وضعت الآن حداً لألاعيبك، فإني ســـأجزى عن ذلك خير الجزاء في السماء، يا بطرس الغليون.

الواعظ : أريد أن ألخص محادثتنا اليوم في هذه الجملة «إن طواحين الله تطحـــن ببطء». ثم يأتي بعد هذا رجل مثلك ويتهمني بالفجور!

الطباخ : ليـــس عندي حظ. ولكي أكـــون صريحاً أقول إنني أملت أن أجد هنا وجبة ســـاخنة، فإني أموت جوعاً. وبدلا من هذا ها أنتم تسخرون مني وتشنعون عليّ، حتى إن الأم شـــجاعة ستكون لديها عني فكرة زائفة تمامـــاً. وأعتقد أن مـــن الأفضل أن أرحـــل قبل أن تعود.

الواعظ : وأنا أرى ذلك أيضاً لك.

الطباخ : أيهـــا الواعظ! لقـــد بدأت أضيق ذرعاً بالســـلام. يجب قتل الناس بالحديد والنار، إنهم جميعا خطاة،



يرتكبون المعاصي من المهد إلى اللحد. آه! لو كان في استطاعتي بعد أن أحمر ديكاً سميناً للقائد!... والله وحده يعلم أين هو!- بصلصة خردل وبعض الجزر!

الواعظ : الكرنب! الديك يحتاج إلى الكرنب!

الطباخ : صحيح. ولكنه هو كان يريد الجزر.

الواعظ : إنه إذن لا يفهم في الطبخ شيئاً.

الطباخ : لكن هذا لن يمنعك أنت من أن تبتلع الجزر!

الواعظ : كارهاً.

الطباخ : إن شئت. لكن أعترف بأنها كانت أوقاتاً سعيدة.

الواعظ : أنا لا أنكر ذلك.

الطباخ : والآن وقد وصفتها بأنها «ضبع»، فلن تمر بأوقات سليمة هنا. ولكن لماذا تتطلع هكذا؟

الواعظ : إيليف!

(إيليف يدخل، في حراسة جنديين مسلحين بحراب. ويداه مقيدتان، ووجهه أبيض مثل الطباشير).

: ماذا بك؟

إيليف : أين الأم؟

الواعظ : في المدينة.



إيليف : لقد قالوا لي إنها هنا. وقد سمح لي برؤيتها مرة أخرى.

الطباخ : (مخاطباً الجنود): إلى أين تقتادانه؟

الجندي : لا إلى حيث يلقى خيراً.

الواعظ : أي جرم اقترف؟

الجندي : لقد نهب مزرعة، وماتت الفلاحة.

الواعظ : كيف ارتكبت فعلا كهذا؟

إيليف : لم أفعل إلا ما فعلته قبل ذلك مراراَ.

الطباخ : لكن أثناء السلم.

إيليف : أغلق فمك! هل أستطيع الجلوس حتى تحضر؟

الجندي : ليس لدينا وقت.

الواعظ : في الحرب كانوا سيكرمونه من أجل قيامه بهذا العمل، ويجلسونه إلى يمين القائد. كان ذلك يسمى بطولة! ألا يمكن التكلم مع الحاكم في هذه المسألة؟

الجندي : لا فائدة في ذلك. سلب القطيع من فلاح- أي جسارة في هذا؟

الطباخ : كانت تلك حماقة.

إيليف : لو كنت أحمق، لكنت مت من الجوع، أيها المتغوط للحكمة!



الطباخ : ولأنك كنت حكيما، فستقطع رأسك.

الواعظ : ينبغي على الأقل أن ندعو كترينة.

إيليف : دعها هناك! الأحسن أن تعطيني كأساً.

الجندي : ليس عندنا وقت لهذا- هيا!

الواعظ : وماذا عسى أن نقول لأمك؟

إيليف : قولوا لها لم يتغير شيء، قولوا لها الأمر هو هو، أو لا تقولوا لها شيئاً أصلا. (الجنديان يسوقانه أمامهما).

الواعظ : سأسلك معك طريقك الحافل بالآلام.

إيليف : لست في حاجة إلى قسيس.

الواعظ : ومن أدراك! (يتبعه).

الطباخ : (يناديهم): سأقول لها ما حدث، إنها لابد تريد أن تراه.

الواعظ : الأحسن ألا تقول لها شيئاً. أو إذا شئت قل لها إنه كان هنا وسيعود، ربما غداً. وفي تلك الأثناء أكون قد عدت وأستطيع أن أخبرها الخبر. (يخرج بسرعة. الطباخ ينظر إليهما وهو يهز رأسه، ثم يتجول حيران. وفي النهاية يقترب من العربة).

الطباخ : وأنت! ألا تريدين الخروج؟ أنا أفهم أن يسوقك السلام إلى الاختباء. وأنا في نفس الحال. أنا طباخ



القائد، هل تذكرينني؟ إني لأتســاءل هل لديك شيء أستطيع أن آكله، إلى أن تعود أمك؟ سيطيب لي مثلا أن أحصــل على قطعة من شــحم الخنزير أو رغيف خبز، قتلا للوقت. (ينظر في العربة) إنها تضع رأسها تحت الغطاء. (في الخلف، طلقات مدافع).

شجاعة : (تجــري مبهورة الأنفــاس، ومعهــا بضاعتها): يا طباخ، انتهى السلام، عادت الحرب جذعة منذ ثلاثة أيام. لما قالوا لي ذلك لم أكن قد بعت شيئاً، الحمد لله! وفــي المدينة بــدأوا يطلقــون الرصاص على البروتستنت. يجب أن نرحل فوراً بالعربة. يا كترينة، فلنحزم أمتعتنا. إنك عابس- ماذا جرى؟

الطباخ : لا شيء.

شجاعة : كلا، هناك شيء. إني أرى هذا!

الطباخ : لا بد أن ذلك هو هذي الحرب التي قد عادت. الآن ينبغي علي أن أنتظر إلى مساء الغد قبل أن ألقي في حلقي بشيء ساخن.

شجاعة : يا طباخ أنت تكذب.

الطباخ : كان إيليــف هنــا. ثم كان عليــه أن يرحل بعد ذلك فوراً.

شجاعة : كان هنا؟ لا بد أننا ســنلقاه فــي الطريق. لابد أن أرحل مع رجالنا الآن. كيف حاله؟

الطباخ : كما كان دائماً.



شجاعة : إنــه لن يتغير أبداً، والحرب لم تســتطع أن تأخذه مني. إنه ماهر. هل تساعدني في حزم الأمتعة؟ (تبدأ في الحزم) هل حكى شيئاً؟ هل هو على علاقة طيبة مع القائد؟ هل روى شيئاً من أعماله البطولية؟

الطباخ : (بتجهم): لقد كرر عملا من أعماله هذه.

شجاعة : ســتروي لي ذلك فيما بعد. لا بد أن نرحل. (تظهر كترينة) يا كترينة، انتهى السلام مرة أخرى. سنرحل. (مخاطبة الطباخ) ماذا بك؟

الطباخ : سأتطوع في الجيش.

شجاعة : وأين الواعظ.

الطباخ : في المدينة مع إيليف.

شجاعة : إذن رافقنــا جزءاً من الطريق، فإني في حاجة إلى مساعدة، يا لمب.

الطباخ : إن القصة مع إيفت...

شجاعة : هذه القصة لم تفســد فكرتــي عنك. بل بالعكس. لا دخــان بلا نار- هكذا يقول المثل. هل تأتي أيضاً معنا؟

الطباخ : لا أقول لا.

شجاعة : إن الكتيبة الثانية عشــرة قد ارتحلت. اربط نفسك فــي عريش العربة. وخذ هــذه اللقمة. لا بد من أن نأخذ لفة في الطريق لنصل إلى البروتستنت. ولعلي



أن ألقى إيليف قبل أن يرخي الليل سدوله. إنه ولدي المفضل. لقد كان سلاماً قصيراً، وعادت الأمور إلى مجراها.

(تغني، بينما كترينة والطباخ يربطان نفسيهما في عريش العربة للجر).

مـــن ثـــــرى ألـــــم لمـتـس
ثـــم مـــن ألـــــم لمـيــرن
تـــرحـــل الأم شـجـاعـة
تـطـعـم الحـــــرب فـتـاهـا
وهـــــي لا تحـتـــاج إلا
لـــبـــارود ورصـــــاص
لا، فـــلا يـكـفـي الـرصـاص
لا، فـــلا يـكـفـي الـبــارود
إنـــهـــا تحـتـــاج نـــاراً
بـــــادروا لـلـجـيـش هـيـا
بـــــادروا لـلـحـرب فـــوراً

ومضت ستة عشر عاماً والحرب الدينية الكبرى لا تزال مشبوبة الأوار. وألمانيا فقدت فيها أكثر من نصف سكانها. ومن نجا من المذبحة قضت عليه الأوبئة العنيفة. وفي الأرياف التي كانت ناضرة من قبل انتشرت المجاعة. والذئاب تتجول في المدن التي دمرتها النيران. وفي خريف سنة ١٦٣٤ نلقي الأم شجاعة في جبال فشتل الألمانية، على مبعدة من



طريق الجيش الذي تسير فيه الجيوش السويدية. وقد بكر الشتاء في هذا العام، وكان قاسياً. والتجارة كاسدة، ولا يوجد غير المتسولين. والطباخ تصله رسالة من أوترخت، ويطرد.

أمام بيت قسيس متهدم

(صباح أغبر في أوائل الشتاء. زوابع. الأم شجاعة والطباخ يلبسان جلد ماعز مهلهلا ويستندان إلى العربة).

الطباخ : لا يزال الظلام مخيماً، ولم يستيقظ أحد بعد.

الأم شجاعة : لكن هذا بيت قسيس. ولقرع الناقوس لابد للقسيس أن يستيقظ ويخرج من ريش غطائه. ثم يشرب حساء ساخناً.

الطباخ : ولمن يقرع الناقوس، إذا كانت القرية كلها قد احترقت!

شجاعة : ولكن ثمة سكاناً، لأني سمعت كلباً ينبح.

الطباخ : وإذا كان عند القسيس شيء، فهو لن يعطي منه.

شجاعة : ربما، إذا غنينا...

الطباخ : لقد ضقت ذرعاً. (فجأة) لقد تلقيت رسالة من أترخت تقول إن أمي ماتت بالكوليرا، وأن الفندق أصبح ملكا لي. وهذه هي الرسالة، إذا لم تصدقي. إن ما تذكره خالتي عني لا يهمك، ومع ذلك فإني أريك الرسالة.

شجاعة : (تقرأ الرسالة): يا لمب! وأنا أيضاً قد تعبت من



الترحل. إني أشــبه كلب الجزار الذي لا يعطي لحماً أبــداً. لم يبق لدي ما أبيعه، وليس عند أحد شــيء يشترى به هذا اللاشــيء. لقد عرض عليّ رجل في أسمال بالية لفة من البرشمان طويلة مقابل بيضتين. وفي فور تمبــورج عرض عليّ محراث بباكو ملح. لم نحرث؟ لا ينبت الآن غير الشوك. ويقال إن في بعض قرى بوميرانيا يأكل الناس الأطفال الصغار، وفوجئت راهبات وهن يقطعن الطريق ويسرقن.

الطباخ : إن العالم في سبيل الزوال.

شجاعة : إني أحياناً أتخيل نفسي أتجول في الجحيم بعربتي، وأنــا أبيع القطران؛ أو في الجنة أقدم الزاد للنفوس الشــاردة. لو وجدت مكاناً ليس فيه طلقات مدافع، فإني أود المقام فيه أنا والأولاد الباقين لي، وأعيش هناك عاماً أو عامين.

الطباخ : يمكننا أن نشغل الفندق، فتروى في هذه المسألة. لقد استقر عزمي في هذه الليلة على أن أرحل معك أو بدونك وأعود إلى أوترخت اليوم.

شجاعة : يجب أن أحادث كترينة في هذا. لقد فاجأتني، وأنا لا أســتطيع اتخاذ أي قرار حين أشعر بالبرد وحين أكون جائعة. يــا كترينة! (كترينة تنــزل من العربة) لدي أمر أريد أن أتحدث معك بشــأنه. الطباخ وأنا نريد الرحيل إلــى أوترخت. لقد ورث فندقاً هناك. وهذه ســتكون لك نقطة ارتــكاز، ويكون لنا معارف.



والبنـــت التي لها مركز، تكون مقدرة في نظر الناس. إن الجمال ليس كل شـــيء. وأنا لا مانع عندي، وأنا متفاهمـــة مع الطباخ. إنه قـــادر على إدارة الأعمال. وســـيكون لنا طعام مكفول، أليس هـــذا جميلا؟ ألا يســـرك أن يكون لك ســـرير خاص بـــك؟ وعلى كل حـــال فالتجول في الطرقات الكبرى ليس حياة. وإذا اســـتمرت حياتنا هكذا، فيمكن أن تسوء حالك؛ ولا بد من قرار نتخذه. يمكننا أن نقتفي أثر السويديين فإنهـــم يتجهون إلى الشـــمال. ولا بـــد أنهم في هذه الناحية (تشـــير ناحية اليسار). يا كترينة، نتخذ إذن قرارنا!

الطباخ : إنه! أريد أن أحدثك على حدة.

شجاعة : عودي إلى العربة يا كترينة. (كترينة تعود).

الطباخ : إني أقاطعك لأن ثمة ســـوء تفاهم من ناحيتك فيما يخيل إليّ. لقد ظننت أن بي حاجة إلى أن أقوله لك، لأنه واضح. لكن ما دمت لم تفهمي، فيجب أن أشرح لـــك؛ لا يمكن أخذ كترينة معنا. وأعتقد أنك تفهمين ذلك.

(كترينة تخرج رأسها من العربة وتنصت إلى الحديث).

شجاعة : تريد أن تقول إنني يجب أن أتخلى عن كترينة؟

الطباخ : ماذا تظنين؟ لا يوجد محل لكترينة في الفندق. إنه ليـــس محلا ذا محلات ثلاثة للشـــراب. لو أننا نحن



الاثنين اشـــتغلنا باجتهاد، فمن المحتمل أن يكفينا، أمـــا لثلاثة فلا يمكن أبداً. ليـــس أمام كترينة إلا أن تحتفظ بالعربة.

شجاعة : لقد كنت أحسب أن كترينة يمكنها أن تجد لها زوجاً في أوترخت.

الطباخ : لا تجعلينـــي أضحك! هي تجـــد من يتزوجها؟ بنت خرساء، مشوهة ذات ندوب، وفي مثل سنها!

شجاعة : لا ترفع صوتك هكذا!

الطباخ : المســـألة هكذا، ســـواء صاح المـــرء أو لم يصح. وهذا هو الســـبب في أني لا أريدها في الفندق. إن الزبائـــن لا يريدون أن يروا واحـــدة مثلها. وأنا أفهم مشاعرهم.

شجاعة : أغلق فمك. أقول لك يجب ألا ترفع صوتك هكذا.

الطباخ : في بيت القسيس نور. يمكننا أن نغني.

شجاعة : كيف تســـتطيع هي بمفردها أن تجر العربة؟ إنها تفزع مـــن الحـــرب. ولا تحتملهـــا. أي أحلام تحلم بها! إني أســـمعها تتنهد إبان الليـــل. خصوصاً بعد المعارك. ولا أدري ماذا ترى في أحلامها. إنها تتألم من الرحمة. ومنذ قليل وجدت في متاعها قنفذاً كنا دسنا عليه في الطريق.

الطباخ : إن الفندق صغير جداً. (يصرخ) أيها السيد! يا أهل البيت! سننشد لكم نشـــيد سليمان ويوليوس قيصر



وأرواح عظيمة أخرى لم تفد شيئاً من عظمتها. ونحن أيضاً لم نفد شيئاً من أمانتنا، كل ما نكسبه من تلك الأمانة هو أن نقاسي حياة شديدة، خصوصاً في الشتاء. (ينشدان):

انظر سليمان الحكيم
ماذا أصاب من الحياه
قد كان ذا عقل بصير
وبرغم ذا لعن الوجود
ورآه كلا باطلا
انظر سليمان العظيم
انظر سليمان العظيم
لم تمض رائعة النهار
حتى تبين للجميع:
ماذا أفادت حكمته!
فاحسد عرياً من حكم!

إن الفضائل كلها في هذا العالم خطر، كما يدل على ذلك نشيدنا الجميل. والأفضل أن يتعرى الإنسان منها وألا يهمل الطعام ولا الحساء الساخن مثلا. فأنا مثلا ليس عندي طعام، ولكني أود منه شيئاً. أنا جندي- ولكن

ماذا أفادتني شجاعتي في كل ميادين القتال؟ لا شيء! إني أموت من الجوع، لو كنت جباناً، لكنت في بيتي الآن. لماذا؟

أنـــظـــر شـــجـــاعـــة قـيـصـرا

مــــــاذا أفــــــاد مـــن الحـــيـــاه!

كــالــرب فـــي الــعــرش استــوى

وكــــمـــا عـــلـــمـت فـــقـــد قـتـل

فـــي أوج مــجـــد قـــد ذبـــح

قـــد صـــاح. حـتـى أنـــت يـــا بـنـي؟

لـــم تمـــض رائـــعـــة الـــنـهـار

حـــتـــى تـــبـــين لـــلـــجـمـيـع:

مـــــاذا أفـــــادت جـــرأتـــه:

فـــاحـــســـد عـــريـــاً مـــن جـــســـاره!

(بصوت خفيض): إنهم حتى لا يتطلعون!

(بصوت عال) أيها السيد! يا أهل البيت!

يقولون . هذا بين، إن الجسارة لم تطعم

صاحبها أبداً. لكن حاولوا ذلك مع الأمانة!

فلربما ملأت بطونكم أو على الأقل جعلتكم

لا تموتون جوعاً. فاسمعوا ما جرى لها:

انـــظـــر لـــســـقـــراط الأمـــين



قـــد كـــــان ديــــدنـــه الحـقـــائـق

لــــكــــنــــهــــم مــــــا قــــــــدروه

بــــــل حـــــاكـــمــــوه وعـــذبـــوه

وســـقـــوه ســـم الـــشـــو كــــران

كـــم كـــان ابـــن الــشـعــب حـقـــاً!

لــــم تمــــض رائـــعـــة الـــنــهـــار

حـــتـــى تـــبـــين لـــلـــجـمـيــع

مــــــاذا تــــفــيــــد أمــــانـــتـــه!

فـــاحــســـد عـــريــــاً مـــن أمـــانـــه!

نعم! يقولون يجب على المرء أن ينكر ذاته وأن يقتسم مع الناس ما عنده، لكن إذا لم يكن عنده شيء؟ صحيح أن محبي الخير ليست حياتهم سهلة هم أيضاً، ولكننا نحن نريد شيئاً لنعيش، والإحسان لا يفيد شيئاً، ولهذا كانت فضيلة الإحسان فضيلة نادرة.

أنـــــظــــــر لمـــــرتـــــين الـــــولـــــي

لــــم يــحــتــمــل بــــؤس الــشــقــي

فــــي الـــثـــلـــج أبـــصـــر بـــائـــســـاً

أعـــــــطــــــاه نـــــصـــــف دثـــــــار

وكــــلاهــــمــــا بــــالــــبــــرد مــــات

لـــم يـــرج فـــي الـــدنـــيـــا الـــثـــواب



لـــم تمـــض رائـــعـــة الـــنـــهـــار
حـــتـــى تـــبـــين لـــلـــجـــمـــيـــع:
مـــــاذا تـــفـــيـــد الـــتـــضـــحـــيـــة!
فـــاحـــســـد عـــريـــاً مـــن فـــداء!

وكذلك الحال معنا! نحن قوم شرفاء، نعيش في وئام، لا نسرق شيئاً، ولا نقتل أحداً، ولا نشعل حريقاً! ولهذا السبب ننحدر كل يوم، والنشيد ينطبق علينا، والحساء أصبح نادراً، ولو كنا غير ذلك، لو كنا لصوصاً وسفاكين، لشبعت بطوننا! لأن الفضائل لا تجلب مكاسب بل الرذائل هي التي تفيد- هذه حال الدنيا وكان ينبغي ألا تكون كذلك!

أنـــتـــم تـــــــرون أمـــامـــكـــم
قـــومـــاً يـــــؤدون الـــفـــروض
لـــكـــنـــنـــا لـــــم نـــســـتـــفـــد.
يـــا مـــــن بـــنـــار تـــدفـــأون
واســـونـــا نـــحـــن الـــبـــائـــســـين
كـــنـــا كـــــرامـــــاً طـــيـــبـــين!
لـــم تـــض رائـــعـــة الـــنـــهـــار
حـــتـــى تـــبـــين لـــلـــجـــمـــيـــع:
مـــــاذا نـــفـــيـــد مـــن الـــصـــلاح!
فـــاحـــســـد عـــريـــاً مـــن ورع!

صوت (من أعلى) : اســمعوا من هنــاك! تعالــوا إلى أعلــى! يمكنكم الحصول على حساء ساخن.

شجاعة : يا لمب! أنا لا أستطيع أن أبلع شيئاً. إني لا أقول إن ما تقوله ليس معقولا، لكن هل هذه كلمتك الأخيرة؟ لقد تفاهمنا جيداً مع بعضنا البعض.

الطباخ : نعم هي كلمتي الأخيرة. تروى في الأمر.

شجاعة : لست في حاجة إلى التروي. إني لن أتركها هنا.

الطباخ : ستكون هذه حماقة منك. لكني لا أملك أن أغير في الأمر شــيئاً. إني لست عديم الإنسانية، لكن الفندق صغير. والآن يجب علينا أن نصعد، وإلا أضعنا هذا أيضاً ونكون قد غنينا في البرد دون طائل.

شجاعة : سآتي بكترينة.

الطباخ : الأحســن أن تأخذي لها شــيئاً من فوق، وإلا فإذا صعد ثلاثتنا إليهم لأثرنا الفزع في نفوسهم. (كترينة تنزل من العربة ومعهــا حزمة. تتلفت حواليها لترى لعــل الأم والطباخ قد ارتحلا. ثــم ترتب على عجلة العربة بنطلوناً قديماً للطبــاخ وتنورة لأمها، الواحد إلــى جوار الآخر. بحيث تريان بســهولة. وكانت قد فرغت من ذلك وأرادت أن تذهب ومعها حزمتها، لما أن عادت الأم شجاعة من البيت).

شجاعة : (وهي تلوح بملعقة حساء) يا كترينة قفي مكانك! يا كترينة! إلى أين تريدين الذهاب ومعك هذه الحزمة؟



هــل تخلى عنك الله والملائكة أجمعون؟ (تفتش في الحزمة) لقد حزمت أمتعتك! هل ســمعت ما قلناه! لقد قلت له إننــي لا أريد الذهاب معه إلى أوترخت وفندقه الحقير. ماذا يمكن أن نعمل هناك؟ أنت وأنا لا نليق في أي فندق. إننا لم نفد بعدما يجب أن نفيده من الحرب. (تلمح البنطلــون والتنورة) أنت حمقاء. ماذا تظنين إذا أنا رأيت هذا وكنت أنت قد ارتحلت؟ (تمســك بكترينة وهــذه تريد أن ترحــل). لا تظني أني تركته يرحل وحده بســببك. بل بســبب العربة- أتفهمين؟ إني لن أفصل عن العربة التي عشت فيها. لا ليس بســببك بل بســبب العربة. إننا سنأخذ في اتجاه، وســنترك هنا أمتعة الطباخ حتى يستطيع أن يجدهــا، هذا الأحمق. (تصعد العربة. وتلقي ببعض المتاع إلى جانب البنطلون وتنزل) لقد طردته. والآن لن يدخل عملي أي أي رجل. ســنذهب وحدنا معاً. وسيمضي هذا الشــتاء، كما مضت أشتية من قبل. ضعي نفســك في عريش العربة. فمــن الممكن أن يســقط الثلج. (يأخذان موقفهما في عريش العربة، يدوران نصف دورة، ثم يمضيان ثم يخرج الطباخ من البيت، يتأمل في أمتعته مدهوشاً).

خــلال عام ١٦٣٥ بأكمله كانت الأم شــجاعة وبنتها كترينة تســلكان طرقات ألمانيا الوســطى تصحبان جيوشاً بالغة البؤس.



طريق

(الأم شجاعة وكترينة يجران العربة. يمران أمام مزرعة. وفي المزرعة صوت يغني).

الصوت :

وردة وسط الحديقة

كلها حسن ونضره،

غرسوها في أذار

وجنوا منها البديع،

عز من يقني حديقة

كلها حسن ونضرة

وإذا هبت رياح

بين أغصان الصنوبر

ما الذي منه تخاف؟!

فلنا بيت مسقف

شد من قش وطين

عز من يقني سقيفه

حين ريح الثلج تعصف

(توقفت الأم شجاعة وكترينة لتستمعا إلى الأغنية، ثم استأنفتا المسير).



يناير سنة ١٩٣٦، والجيوش الإمبراطورية تهدد هالة البروتستنتية. بدأ الحجر يتكلم. الأم شجاعة تفقد بنتها وتتابع سيرها وحدها. الحرب لا يزال أمامها وقت طويل قبل أن تضع أوزارها. (العربية، في حالة سيئة، موضوعة إلى جوار مزرعة لها سقيفة كشراب من القش، وتستند إلى جدار من الصخر. الوقت في الليل. يبرز ملازم وثلاثة جنود مدججون بالسلاح فجأة).

الملازم : لا أريد ضجة. عند أول صرخة ضربة بالحربة.

الجندي الأول : لكن لا بد أن تقرع الباب إذا كنا نريد دليلا.

الملازم : قرع البـــاب لا يحدث ضجة غير عادية. ويمكن أن يظن أنها من بقرة تتحرك في الإسطبل.

(الجنود يقرعون باب المزرعة. فلاحة تفتح. يغلقون فمها. يدخل حنديان).

(صوت رجل)

من الداخل : ماذا هناك؟

(الجنود يخرجون فلاحاً وابنه)

الملازم : (يشير إلى العربة التي تخرج منها كترينة):

: وهذه واحدة أخرى.

: (جندي يسوقها) هل أنتم كل من يسكنون هنا؟

أهل الفلاح : هذا ابننا- وهذه فتاة خرســـاء، وأمها في المدينة تشـــتري بضاعة، تتاجر فيهـــا، لأن كثيراً من الناس



يفرون، ويبيعون ما لديهم بثمن بخس. إنهما تاجران متجولان.

الملازم : إنـــي أحذركم. التزموا الهدوء؛ وإلا فإن أحدثتم أي ضجة غرســـنا الحراب في كروشـــكم. أنا في حاجة إلى شـــخص يستطيع أن يدلني على الطريق المؤدي إلى المدينة. (مشيراً إلى الفلاح الشاب) تعال أنت!

الفلاح الشاب : أنا لا أعرف الطريق.

الجندي الثاني : (مهدداً): «هو لا يعرف الطريق!»

الفلاح الشاب : إني لا أخدم الكاثوليك.

الملازم : (مخاطباً الجندي الثاني): ناوله حربة في جنبه!

الفلاح الشاب : (وقد أرغم على الجثو على ركبته، وقد هدد بالحربة) لن أفعل ذلك، ولو أدى إلى قتلي.

الجندي الأول : إنـــي أعرف وســـيلة لـــرده إلى عقلـــه. (يذهب إلى الإســـطبل) بقرتان وثور! اسمع: إذا لم تفعل، سأذبح هذا القطيع.

الفلاح الشاب : لا تمس القطيع!

الفلاحة : (باكية) يا سيدي النقيب! خل عن القطيع، وإلا متنا جوعاً.

الملازم : إذا لم يعدل عن عناده، أطحنا برأس القطيع.

الجندي : سأبدأ بالثور.



الفلاح الشاب : (للفلاحة) هل يجب أن أفعل ما يطلبونه؟

(الفلاحة تشير برأسها علامة الموافقة) إذن سأدلكم على الطريق.

الفلاحة : شكراً جزيلا، يا سيدي النقيب لأنك أبقيت علينا، شكراً إلى الأبد، آمين!

(الفلاح يمنع المرأة من الاستمرار في الشكر)

الجندي الأول : كنت أعرف أنهم أحرص على الثور منهم على الحياة!

(الملازم والجنود الثلاثة يخرجون، يقودهم الفلاح الشاب)

الفلاح : أود أن أعرف ماذا يدبرون! لابد أنه شيء غير خير.

الفلاحة : يمكن أن تكون مجرد دورية استكشاف- ماذا تريد؟

الفلاح : (مسنداً سلماً إلى السقف وصاعداً عليه): أريد أن أرى هل جاءوا وحدهم (من أعلى السلم): توجد حركة في الغابة. وهناك ناس حتى مقطع الأحجار. وهناك أيضاً مدرعون على الطريق، ومدفع. هذه أكبر من كتيبة. كان الله في عون المدينة ومن فيها.

الفلاحة : هل في المدينة نور؟

الفلاح : لا. إنهم نائمون الآن (ينزل من السلم) إذا دخلوا المدينة ذبحوا كل من فيها.

الفلاحة : ولكن مراكز المراقبة ستكشفهم في الوقت المناسب



وتعطي إشارة الخطر.

الفلاح : لا بـد أنهم ذبحوا حارس البرج، وإلا لكنا سمعنا نفيره منذ مدة.

الفلاحة : لو كنا أكثر عدداً...

الفلاح : نحن وحدنا مع ذات عاهة.

الفلاحة : تريد أن تقول إننا لا نستطيع أن نفعل شيئاً؟

الفلاح : لا شيء نستطيع أن نفعله.

الفلاحة : لا نقدر أن نعدو إلى هناك أثناء الليل.

الفلاح : وعلى طول الطريق تناثر الجنود. لا نستطيع حتى أن نعطي أي إشارة!

الفلاحة : ليصعدوا إلى هنا ويذبحونا!

الفلاح : إذن لا تستطيع أن تفعل شيئاً.

الفلاحة : (مخاطبة كترينة) صلي، أيتها المسكينة، صلي! لن نستطيع شيئاً لوقف الدم الذي سيراق. إذا كنت لا تستطيعين الكلام، فأنت تستطيعين الصلاة على الأقل. وربنا يسمع منك وإلا فمن ذا الذي يسمع إن لم يسمع هو! سأساعدك. (الثلاثة يركعون، وكترينة خلف الفلاحين). أبانا الذي في السموات! اسمع لدعانا! لا تدع المدينة وكل من فيها يرقدون دون أن يعلموا شيئاً- لا تدعهم يقتلون. أيقظهم، ولينهضوا ويذهبوا إلى الأسوار، وليبصروا الآخرين وهم ينزلون



إلى المــروج ومعهم الحراب والمدافــع أثناء الليل. (مخاطبــة كترينة خلفها): احــم أمنا ولا تجعل عين الحارس تغفل أبداً: اجعله يستيقظ، وإلا فات الأوان. وســاعد أيضاً زوج أختي، إنه في المدينة مع أولاده الأربعة. لا تدعهــم يقتلون فإنهم أبرياء، ولا يفهمون شــيئاً. (مخاطبة كترينة التي تتهدت فجأة) الأصغر عمــره عامان، والأكبر ســبعة. (كترينة تنهض فجأة مضطربة) أبانا، اســمع لدعائنا. أنت وحدك الذي تســتطيع أن تعيذنا. أما نحن فسيقضى علينا، نحن ضعاف، لاعدة لنا ولا سلاح. لا نستطيع أن نتحرك، ونحن بين يديك نحن والقطيع وكل المزرعة، والمدينة كلها بين يديك، والعدو يترصد تحت الأســوار ومعه جيش عرمرم.

(كترينة تسترق الخطى حتى العربة، وتأخذ شيئاً منها تخبئه تحت مريلتها، وتصعد على السقف بالسلم).

الفلاحة : احــم الأطفال الذين هم في خطر عظيم، والصغار منهــم بخاصة، والشــيوخ الذين لا يســتطيعون أن يتحركوا وكل الخلائق.

الفلاح : واغفر لنا خطايانا، كما نحن نغفر أيضاً للخاطئين. آمين!

(كترينة. جالسة فوق السطح، تبدأ في ضرب الطبل الذي أحضرته تحت مريلتها).

الفلاحة : يا إلهي، ماذا تفعل؟



الفلاح : هل فقدت صوابها؟

الفلاحة : أنزلها بسرعة، أسرع!

(الفلاح يحاول أن يتسلق السلم، لكن كترينة تجره فوق السطح).

الفلاحة : ستجلب لنا البلاء.

الفلاح : توقفي فوراً عن ضرب الطبل أيتها المعتوهة!

الفلاحة : سيزحف جيش الإمبراطور علينا!

الفلاح : (يبحث عن حجارة على الأرض): سأرميك بالحجارة!

الفلاحة : أليس عندك شفقة؟ أليس لك قلب؟ سيقضى علينا إذا أتوا إلينا! سيذبحوننا!

(كترينة تحدق إلى المدينة من بعيد، وتستمر في قرع الطبل).

الفلاحة : (مخاطبة الفلاح): لقد قلت لك ينبغي ألا تسمح لهؤلاء المتشردين بالمقام عندنا! ماذا يهمها، إذا أخذوا كل مواشينا!

الملازم : (يأتي هو وجنوده والفلاح الشاب): سأمزقك إرباً إرباً!

الفلاحة : يا سيدي الضابط! نحن أبرياء، لم نستطع أن نفعل شيئاً لوقفها. لقد تسلقت على غير علم منا. إنها غريبة عنا ليست منا.

الملازم : أين السلم؟



الفلاح : فوق.

الملازم : (موجهاً الـكلام إلى أعلى): آمـرك أن تلقي بهذا الطبل.

(كترينة تستمر في قرع الطبل)

الملازم : أنتـم جميعـاً متآمـرون. ما تفعلونه سـيكون فيه القضاء عليكم.

الفلاح : فـي الغابة أشـجار صنوبر مقطوعـة، فلو أخذنا شجرة وأسندناها وتسلقنا عليها...

الجندي الأول : (مخاطبـاً المـلازم): يا سـيدي المـلازم، عندي اقتـراح. (يهمس فـي أذن الملازم بكلمـات، يوافق هـذا عليها) ها هو ذا اقتراحي، وفيه مكاسـب لك: انزلي، واتبعينا حتى المدينة، ودلينا على أمك، ونحن ننقذها.

(كترينة تستمر في قرع الطبل)

الملازم : (دافعاً الجندي بشـدة): إنها لا تثق بك. وخصوصاً بصوتك هذا! (مخاطباً كترينة) أعدك بشـرفي! إني ضابط، وكلمتي كلمة شـرف! (كترينة تزيد في قرع الطبل). إنها لا يهمها شيء!

الفلاح الشاب : يا سيدي الضابط! إنها لا تفعل ذلك من أجل أمها فقط!

الجندي الأول : لـن يمضي وقت طويل حتى يسـمع الطبل من في



المدينة.

الملازم : لا بــد أن نحدث ضجة أعلى من قرع طبلها. بماذا نستطيع أن نحدث هذه الضجة؟

الجندي الأول : لكن يجب علينا مع ذلك ألا نحدث أي ضجة!

الملازم : ضجة بريئة، أيها الأحمق؛ ضجة غير حربية- هذا ما يجب أن نحدثه.

الفلاح : أستطيع أن أشق الأخشاب بفأسي.

الملازم : نعم، شــق. (الفلاح يأتــي بالبلطة ويضرب بها في الجــذع) اضــرب أكثر! أكثر! إنك تضــرب من أجل إنقاذ حياتك!

(كترينة تهدئ القرع بالطبل لحظة لتسمع. ثم تلقي نظرة جازعة على الفلاح، وبعدها تستمر في القرع على نحو أشد).

الملازم : (مخاطبــاً الفلاح) هذا ضعيف. (مخاطباً الجندي الأول) واضرب الجذع أنت أيضاً.

الفلاح : ليس عندي غير بلطة واحدة. (يتوقف عن الشق).

الملازم : يجب أن نشعل الحريق في المزرعة. سنحيلها إلى دخان.

الفلاح : هــذا لا يجدي، يا ســيدي النقيــب. إذا رأى أهل المدينة النار، عرفوا كل شيء.

(وكانت كترينة أثناء قرع الطبل تنصت؛ والآن هي تضحك).



الملازم : إنها تضحك علينا، انظروا! لم يعد في وســعي أن أصبر عليها، سأطلق عليها الرصاص، حتى لو سمع الناس وانتبهوا. هات البندقيــة. (جنديان يهرعان. كترينة تستمر في قرع الطبل).

الفلاحة : عنــدي فكــرة صائبة، يا ســيدي النقيــب. هناك عربتها. فإذا أخذنا في تحطيمها توقفت فوراً. ليس إلا هذه العربة.

الملازم : (مخاطباً الفلاح الشاب) حطمها. (مخاطباً أعلى) سنحطم عربتك إذا لم تتوقفي عن قرع الطبل.

(الفلاح الشاب يضرب العربة ضربات ضعيفة).

الفلاحة : توقفي أيتها الدابة!

(كترينة تتنهد وهي ترى مصير العربة. ولكنها رغم ذلك تستمر في قرع الطبل).

الملازم : أين هذان الوغدان مع البندقية؟

الجندي الأول : لا بد أن أهل المدينة لم يسمعوا شيئاً، وإلا لأطلقت مدافعهم النار.

الملازم : (مخاطباً كترينة) لا أحد يسمعك في المدينة...

ســتقتلين نفســك بلا موجب. آخر مرة: ألق بالطبل إلى أسفل!

الفلاح الشاب : (ملقيــاً بالعصا فجأة على الأرض)، اســتمري في قــرع الطبل! وإلا يقضى على أهــل المدينة جميعاً!



اســتمري! اضربي! (الجندي يجنــد له على الأرض ويخزه بالحربة. كترينة تبدأ في البكاء، ولكنها تستمر في قرع الطبل).

الفلاحة : لا تضربه في ظهره! يا إلهي، إنك ســتقتله! (يأتي الجنود ومعهم البندقية):

الجندي الثاني : سنقدم جميعاً للمحكمة العسكرية، إن العقيد يرغي ويزبد.

الملازم : صوب! صــوب! (مخاطباً كترينــة، بينما البندقية تصوب) لآخر مــرة! توقفي عن قرع الطبل! (كترينة تقرع بأقصى ما تستطيع من قوة، وهي تبكي) أطلقوا النار!

(الجنود يطلقون النار. كترينة وقد أصيبت، تقرع بضع قرعات ثم تسقط صريعة).

الملازم : انتهت الضجة!

(ولكن تبعت قرعة الطبل الأخيرة طلقات مدافع المدينة. يسمع من بعيد أصوات مختلطة، أصوات دق نواقيس وطلقات مدافع).

الجندي الأول : لقد أفلحت.



(١٢)

في الليل والفجر يقترب. تسمع طبول وصفارات الكتائب وهي تسير وتبتعد.

وأمام العربة تجثو الأم شجاعة بالقرب من بنتها، والفلاحون بالقرب منهما.

الفلاح (باستياء) يجب أن تمشوا من هنا يا امرأة: ستمر الكتيبة الأخيرة الآن. وأنتما لا تستطيعان السير وحدكما.

الأم شجاعة : ربما تنام.

(تغني):

هـيـا ونـامـي يـا حـبـيـبـة
فـي الـقـش هـمـهـمـة غـريـبـة
وصـغـار جـاري فـي ضـجـيـج
بـيـنـمـا صـغـاري فـي هـنـاء
وصـغـار جـاري فـي خـرق
ورداك مـن صـافـي الحـريـر
مـن ثـوب أمـلاك صـنـع
والجـار يـصـرخ مـن مـجـاعـة
ولـديـك مـوفـور الـغـطـيـر
إن كـان غـيـر مـرقـق



قـــولـــي فـــإنـــي أبـــدلـــه
هـــيـــا ونـــامـــي يـــا حـبـيـبـة
فـــي الـــقـــش هـمـهـمـة غـريـبـة

أحـــد الـــرجـــال بـبـولـــن[1]
والـــثـــانـــي لا أدري مـصـيـره

: كان يجب عليك ألا تذكري لها شـيئاً عن أولاد زوج أختك.

الفلاح : لـو لم تذهبي إلى المدينة للتجـارة المريبة، فلعل شيئاً من هذا كله لن يكون قد حدث.

شجاعة : إنها تنام الآن.

الفلاحة : إنها لا تنام؛ ينبغي أن تفهمي أنها مات.

الفلاح : وأنت، يجب عليك أن ترحلي. إن في هذه المنطقة ذئاباً؛ وإن فيها قطاع طرق أسوأ من الذئاب.

شجاعة : نعم.

(تذهب لإحضار غطاء من العربة لتغطية الميتة).

الفلاحة : أليـس لك غيرهـا؟ أليس عندك من تسـتطيعين الذهاب إليه؟

شجاعة : نعم، واحد، هو إيليف.

---

(١) بولن Polen= بولنده



الفلاح : (بينما الأم شجاعة تغطي الميتة): لا بد أن تبحثي عنــه. أما هذه فســنعنى نحــن بدفنهــا كما يجب. فاطمئني من هذه الناحية.

شجاعة : خذوا هذا المال لتكاليف دفنها.

(تعطي الفلاح نقوداً في يده. تصافحهم، ثم يأخذ الفلاح وابنه جثة كترينة).

الفلاحة : (تصافحها بانحناءة. وتقول لها): أسرعي!

الأم شجاعة : (تأخذ بزمام العربة): أرجو أن أستطيع جر العربة، هذا ميســور، إذ لم يعد فيها شــيء كثير. ولا بد أن أعود لتجارتي.

(كتيبة تمر بطبولها وصفاراتها).

الأم شجاعة : (تجر العربة): خذوني معكم!

(يسمع من الخلف غناء):

الحــرب تمـضـي بـالـسـعـادة والمـخـاطر
تمـضـي تجـر الـذيـل أعــوامــا مئة
لـم يستفد منـهـا مـن الجـمـهـور واحـد
الـزبـل مـطـعـمـه، ومـلـبـسـه الخـرق!
نـصـف الـرواتـب تستبد بـهـا الكتيبة
والـكـل قـــال: لـعـل مـعـجـزة تـقـع!

الحـــرب مـــا زالـــت تجـر ذيـولـهـا

(ترديدة)

وافي الربيع فهبوا !

هـــيـــا إذن يـــا نـــصـــارى !

الـــثـــلـــج ذاب وســـــالا

وارتـــــاح فـــي الـــرمـــس مـوتـى.

مـــن لـــم يـــزل بـــعـــد حـيـا

يـــخـــوض حـــربـــاً ضـــروســا



تحليل نقدي لمسرحية
الأم شجاعة وأولادها

بقلم أ.د. عطية العقاد

اختار بريشـــت مادة مســـرحيته من حقبة تاريخية عرفت باســـم حرب الثلاثين عاما، وأحداثها تقع في القرن السابع عشر، و تحديدا في الفترة ما بين أعوام ١٦٢٤:١٦٣٦، وهي الحرب الدينية التي كانت دائرة بين السويد وبولندا وألمانيـــا وكانت بين طائفتين، طائفة يمثلها الجيش البروتســـتنتي وطائفة أخرى يمثلها الجيش الكاثوليكي.

وقد كتب بريشـــت هذه المســـرحية من منطلق إيمانه بأن الحروب التي تخوضها الشـــعوب إنما تعمل لخدمة الســـادة ومصالحهم، وهؤلاء الســـادة يجندون بســـطاء الناس الذين ليس لهم مصلحة في هذه الحرب ويضللونهم بشعارات الفضيلة والشجاعة لكي تسوقهم وقودا لآتون الحرب التي لا تخدم إلا مصالحهم.

اتخذ بريشـــت هذه الحوادث التاريخية نموذجا لمعالجته فكرة الحرب، واختـــار ســـيدة Anna Fierling "آن فيرلينـــج" المعروفة باســـم "الأم شجاعة"، وقد اكتســـبت هذا اللقب بسبب حرصها الشديد على بضاعتها، ممـــا جعلها تخترق نيران المدافع لتنقذ خمســـين رغيفا من نيران الجيش، هذه المرأة كانت تملك عربة متنقلة تبيع للجيوش المتحاربة بضاعتها، وكان للأم شجاعة ابنان أصحاء كما كان لها بنت بكماء "تعاني الخرس".

لقد بدأت حركة بيعها إلى الجيش البروتســـتنتي، لكنها وقعت في أيدي الكاثوليك فحولت نشاطها في البيع للجيش الكاثوليكي، في الوقت نفسه كان الكاثوليك قد قبضوا على ابنها الأكبر (Eilif) «آيليف» وقتلوه رميا بالرصاص. ولم يكن نصيب الابن الأصغر أفضل من شقيقه (Schweizerkas) "الجبن السويسري"، حيث قتله الجيش البروتستنتي رميا بالرصاص أثناء الهدنة.



أما الابنة الخرساء (Katttrin) "كاترين" فقد فقدت حياتها وهي تقرع الطبلة في محاولة منها لتحذير أهل المدينة البروتستنت من هجوم مفاجئ للجيش الكاثوليكي.

هكذا عاشت الأم شجاعة هذه النهايات المحزنة بفقدانها الأبناء الثلاثة، ومع ذلك استمرت في تجارتها وفي حرصها المادي على المكاسب المادية من الحرب.

أراد بريشت تصويرها كامرأة برجماتية لا يهمها غير المكاسب بغض النظر عمن يكون المنتصر أو من يكون الطرف المهزوم.

لقد صورها امرأة أفاقة، امرأة لها أكثر من عشيق، حتى أنها تنسى أسماءهم، وصورها بأنها أم لها من كل عشيق ابن، وتاجرة انتهازية. إنها امرأة تعيش من وراء الحرب على حساب شقاء الآخرين وموتهم، فنجد الأم شجاعة في نهاية المطاف تخرج من محنة الحرب محطمة، حيث تحطمت عربتها، وخربت تجارتها، وضاع كل ما جمعته من مال، وفقدت أبناءها جميعا، واحدا تلو الآخر، فلم يبق لها إلا أن تعيش وحيدة بعد أن لفظتها الحرب كالنفاية تجر عربتها الخاوية في أعقاب الجيوش.

ومن نقاط الضعف في هذه المسرحية أن جعل بريشت الجمهور يتعاطف مع شخصية الأم شجاعة، لقد أخفق بريشت في أن يجعل الجمهور يكره هذا النموذج الإنساني، بل على النقيض من ذلك، فقد وجد أن الجمهور بعد عرض المسرحية في زيورخ يستجيب لمأساة شجاعة الملحمية النضالية بالدموع والشفقة على حالها.

فأسقطت هدف الكاتب، فبدلا من أن يهتف الجمهور بسقوط الحرب أخذ يبكي على امرأة مسكينة كادحة شجاعة تعاني عذابات فقد أولادها. تلك المرأة التي سلبتها الحرب مالها وأولادها، ومع ذلك لم تستسلم، بل ظلت مصممة بعناد على الاستمرار في الحياة.

وقد حاول بريشــت في إعادة فقرات بأكملها من المســرحية عملا على تحقيــق مزيد من الإبعاد للمشــاهدين عــن الحرب وعن شــخصية "الأم شــجاعة"،وقد أجرى عددا من التعديلات الأساســية في النص قبل عرض المســرحية مــن جديد، لكن مع الأســف كانت تعديلاتــه دون جدوى، ولم يســتطع صد المشــاهد عن التعاطف مع تلك المرأة، وللأســف فشل في تحقيق هذه المحاولة، مما أدى إلى التشــويش علــى عنصر التغريب الذي يهــدف إليه العمل وهو "حياديــة الفعل". ومع أن الفعــل واحد إلا أنه إذا ارتكبه الإنسان من أجل مصلحة السادة أو الجماعة، فإن مرتكبه يكرم وتعلّق له النياشــين ويأخذ معاني الشرف والبطولة، أما إذا ارتكب الإنسان الفعل نفســه لمصلحته الشــخصية فإنه يجرم ويعاقب عليه، مــع أن الفعل الذي ارتكبه واحد وهذا ما حدث مع أحد أبناء الأم شــجاعة. والمسرحية مبنية على أساس متابعة الأم شجاعة ورحلتها في هذه الحرب

المســرحية مكونة من اثنتي عشرة لوحة،وفيها سبع وعشرون شخصية. وتقع أحداث اللوحة الأولى في ربيع عام ١٦٢٤م. تبدأ أحداث اللوحة الأولى بشــخصية النقيب الذي يحضر جنوده للغزو على بولندا، وتأتي معلومة في شــكل خبري بأن الأم شــجاعة تفقد أحد أولادها. وهذه المعلومة تلخص أحداث المشهد بأكمله.

أما المنظر فكما هو معتاد في مسرح بريشت الملحمي، لوحة بلا تفاصيل «طريق بالقــرب من المدينة»، يقــف في زمهرير البــرد العريف والجياش يثرثران وهما يرتعدان من شــدة البرد وقســوته ويتحدثان بمنطق العسكر الذي تم برمجتهما على أكليشــهات محفوظة: بأن السلام هو الرقاعة، أما الحــرب فهي التي تخلق النظام. وأثناء ثرثرتهما تمر الأم شــجاعة بعربتها يجرها اثنان من أولادها الشــبان بينما هي تجلــس فوق العربة هي وابنتها الخرساء.



وعن طريق حيلة درامية متقنة يسألها العريف عن نفسها من تكون و إلى أي فريق تنتمي في الحرب الدائرة، وهنا تصلنا معلومات عن سبب تسميتها باسم الأم شجاعة فتروي له الأم شجاعة عن سبب التسمية:

شـجاعة: إنني أدعى «شـجاعة» لأنني توجسـت خوفا من الدمار، أيها العريف، واخترقت نيران ريجا ومعي خمسـون رغيفا في عربتي، وكانت قد بدأت في التعفن ولم يكن ثم مفر.

ثم يشـمل اسـتجواب العريف لها عن أبنائها فتعرفه الأم شـجاعة عن أسـماء أبنائها وأنهم من آباء مختلفين. ويعرض عليها جياش تجنيد أبنائها ولكنها ترفض، بينما يتنحى جياش بابنها ويقنعه بالدخول في معسكر الجيش وبذلـك يختفـي عن عينيها وتفقده الأم شـجاعة ولم يبق لها سـوى الابن الأصغر الذي يدعى «الجبن السويسـري، وكاتريـن لجر عربتها وتتصرف. وتنتهي هذه اللوحة بحكمة يلقيها العريف: « كل من يبغي من الحرب مكاسب ينبغي أن يدفع السعر لها».

وننتقـل إلى اللوحة الثانيـة وأحداثها تقع خلال عامـي ١٦٢٥، ١٦٢٦، وكعادة بريشـت فإنه يصـدر لوحاته بمقولة تلخص أحـداث اللوحة، كانت الأم شـجاعة تصاحب موكب الجيوش السويدية خلال حرب بولندا. وأمام حصن «فلهوف» تجد ابنها. وتعقد صفقة بيع ديك موفقة، ويعد يومًا مجيدًا لابنها.

المنظر في هذه اللوحة خيمة القائد بالقرب من المطبخ، لا يفصل بينهما فاصل، فخشبة المسرح أظن أنها عارية تماما من أي فواصل. الطباخ الذي يساوم الأم شجاعة على شراء الديك – بينما نسمع ضرب المدافع – ونجد الطباخ يتنازع مع الأم شـجاعة على صفقة بيع ديك. فالطباخ يريد شـراء الديـك بثلاثين درهما، بينما تصـر على بيعه له بخمسـين درهما، وأثناء مسـاومتها مع الطباخ تسمع صوت ابنها التي لم تره من سنتين، وتسمع كم



يحتفي به القائد ويقربه منه ويناديه بالألقاب التالية» يا آيليف يابني! أدخل عند قائدك. واجلـس على يميني، لأنك ناضلت نضال الأبطال الأتقياء. إن ما فعلته قد فعلته في سبيل الله في هذه الحرب المقدسة.

وهذه هي الشـعارات التي يؤكد عليها بريشـت في معاني الحرب لأنهم بهذه الشعارات يخدعون البسطاء الذين ليس لهم مصلحة في الحرب. والأم شـجاعة تستغل حاجة الطباخ لإطعام سـيده القائد وضيفيه للضغط على الطباخ لشراء الديك بالسعر الذي تريده.

وأهم ما جاء في هذا المشـهد هو سـطو آيليف على عشـرين ثورا من الفلاحين البسطاء:

القائد :.... والآن يـا آيليف يابني، بأية حيلة خبرني احتلت على هؤلاء الفلاحين وآخذت عشرين ثورا ؟». وبوسيلة خادعة استطاع أن يحصل آيليف على الثيران بعد أن قتل أصحابها، ويقاطع آيليف الحوار بالغناء بناء على طلب قائده.

بينما الأم شجاعة ترهف سمعها إلى حديث الابن لقائده وفي الوقت نفسه تجري مساومتها مع الطباخ، وكلما شعرت باحتياج الطباخ إلى تقديم الطعام لضيفيه كلما زادت في السعر حتى أوصلت ثمن الديك إلى «فلورين».

ويلتقـي آيليف بأمه التي تخبره بأن أخاه أصبح جنديا هو الآخر لكنه لا يشترك في القتال، حيث يعمل أمين صندوق في الكتيبة الثانية.

اللوحة الثالثة : تقـول اللوحة: إنه بعد مضي ثلاث سـنوات حيث وقعت الأم شـجاعة أسـيرة هى وباقي الكتيبة الفنلندية، بينما نجحت في إنقاذ عربتها، لكنها فقدت ابنها الأمين.هكذا يستهل بريشت لوحاته بأخبار، ثم تأتي تفاصيل الخبر في أحداث اللوحة. وكعادة الأم شجاعة تساوم مدير

إمداد الكتيبة على شـــراء زكيبة من الذخيرة، وكعادتها أيضا تكسب الصفقة بالسعر الذي تحدده هي. ويظهر الجبن السويسري كأمين للصندوق.

يقاطع المشـــهد غناء فتاة تعمل غانية تدعى «آيفت»، ومن ثم يأتي إليها الواعــظ الذي كان ضيفا على القائد مــع ابنها آيليف وفي صحبته الطباخ. جاء الواعظ يحمل رسالة لها من ابنها آيليف. ونلاحظ هنا الأكليشهات التي يتلوها الواعظ عن الحرب عندما يتوجه بحديثه إلى الطباخ: «إن الحرب في هذه الحالة نعمة لا نقمة. لماذا؟ لأن هذه الحرب لا تشـــبه ســـائر الحروب، لأن الناس يقاتلون فيها في ســـبيل الله، في ســـبيل دينهم. إنها جهاد، حرب مقدسة، يرضى عنها الله».

ويـــدور بينهم حديث عـــن الحرب وكل يدلو بدلـــوه. ويقبض على الجبن السويسري بعد أن أخفي صندوق الرواتب عن جيش العدو ويقاطع المشهد غنـــاء الواعظ. وهنا تتحرك عاطفة الأمومة فتقرر الأم شـــجاعة أن ترهن عربتها لتســـتطيع دفع رشـــوة للعريف الذي قبض على الجبن السويسري، لكنها لم تستطع إنقاذ ابنها الذي أمطروه بإحدى عشرة رصاصة.

ووضع بريشـــت الأم شـــجاعة في أزمة عاطفية، وزاد على ذلك أنهم أي جيـــش العدو عـــرض عليها جثة ابنها لتتعرف عليه لكنها كتمت مشـــاعرها فأنكرت معرفتها به وكتمت مشاعرها وأحزانها وهي عملية غاية في القسوة وتستدر عطف المشاهدين عليها بالضرورة.

اللوحة الرابعة: الأم شجاعة تغني أغنية الاستسلام الكبير.

المنظر أمام خيمة ضابط، الأم شـــجاعة تنتظر كاتب الكتيبة لأنها تصرُّ على تقديم شـــكوى ضد الجيش الكاثوليكـــي الذي دمر لها عربتها، وأخذوا منهـــا غرامـــة فينصحها كاتب الكتيبة أن تغلق فمهـــا لأن الكتيبة تحتاج إلى صاحـــب مقصف ولذلك سيســـمحوا لها بممارســـة تجارتها ومن أجل ذلك



تتنازل عن موضوع الشكوى.ويقاطع أحد الجنود حديث الأم شجاعة بنشيد غنائي.

اللوحة الخامسة: بعد مرور عامين وقد اتسع نطاق الحرب وفي خلال هذين العامين انتقلت الأم شـجاعة إلى بلـدان متعددة من مورانيا وبافاريا وإيطاليا ثم العودة مرة أخرى إلى بافاريا. وفي سـنة ١٦٣١، انتصر الجيش وقد كلف هذا الانتصار الأم شجاعة أربعة قمصان لضباط تَمّ أخذهم منها بلا مقابل. تصاحب الأم شجاعة في هذه الرحلة ابنتها الخرساء كاترين.

في هذه اللوحة يسـتعرض بريشـت مفهوم الحرب عند الجنود. فنجد أحد الجنود يتحدث عن المكاسـب التي تعود على الجنود: «ولكني أريد أن أشرب. لقد وصلت متأخرا فلم أستطع النهب والسلب. القائد ضحك علينا فلم يطلق لنا حرية السـلب والنهب في المدينة إلا ساعة واحدة. وقال: إنه رجل إنساني لا بد أن يكون أهل المدينة قد رشوه واشتروه.

وفي اللوحة نفسـها تظهر قسوة قلب الأم شجاعة التي لا تأخذها رحمة أو شفقة بأحد، ولا تعتد بالاعتبارات الإنسانية، عندما يدخل عليها الواعظ متعثرا:

الواعظ : لا زال هنـاك بعض الجرحى في فناء الحقل. إنهم أسرة الفلاح ساعدوني. أنا في حاجة إلى شاش.

وكاتريـن تنفعل وتحاول أن تقنع أمها بإعطائه شاشـا. فنرى مدى برود شجاعة مع الجرحى الذين ينزفون دمًا.

شجاعة : ليس عندي شـاش. لقد بعت آخـر ما كان عندي من الشاش للكتيبة، ولن أمزق قمصان الضباط التي عندي من أجل هؤلاء الناس».

وفي اللوحة السادسة، المنظر أمام مدينة أنجو لشـتاد في بافاريا وقد



انتقلت بالأحداث إلى ســنة ١٦٣٢م. في هــذه اللوحة وصف لجنازة القائد الإمبراطوري، نرى الجنود يهربون من تشــييع الجنازة ليســتمتعوا بالشراب والسكر. ونجد شجاعة وهي تخاطب الواعظ قائلة: « إن القياصرة أنفسهم لا يســتطيعون أن يفعلوا شــيئا وحدهم، بل لا بد من الاعتماد على جنودهم وعلى الشعب».

وكما هو معتاد في كل لوحة نجد أحد الجنود يقاطع حديث الأم شجاعة مع الواعظ عن الحرب بأغنية. في ختام هذه اللوحة ترســل شجاعة ابنتها كاترين تبتاع لها بضاعة وتعود الفتاة جريحة.

اللوحة السابعة. الأم شجاعة في قمة أعمالها التجارية المنظر الطريق العام. انضم الواعظ إلى قافلة الأم شــجاعة، وأصبح يعمل تحت إمرتها هو وابنتها في جر العربة من مكان إلى آخر. تقول في مطلع اللوحة: لن تجعلني أكره الحرب»، ثم أردفت تقول: «وماذا ينفع القعود دون الاشتراك في الحرب ؟ إن القاعدين هم أول من تطيح بهم الحرب». ثم تدخل في الغناء ففي هذه اللوحة يطرح بريشت وجهة نظر الأم شجاعة في الحرب.

اللوحــة الثامنــة. يأتي خبر قتل ملك الســويد ســنة ١٦٣٢ جســتاف أدولف، في معركة و لوتســن عن طريق السرد. وأصبح السلام يهدد تجارة الأم شجاعة، وآيليف يقوم بمغامرة فائقة البطولة، وينتهي نهاية بائسة.

ســارت شائعة بأن السلام قد عم البلاد ورغم تهديد تجارة الأم شجاعة ومع أن هذه الشائعة تعلن عن بوار بضاعتها إلا أنها حمدت الله على الخروج من الحرب بســلام هي واثنين من أبنائها، غير أن الرياح تأتي بما لا تشتهى الســفن، ففي الوقت الذي تذهب فيه الأم شــجاعة لبيــع بضاعتها قبل أن تنزل الأســعار يأتي آيليف الابن في حراسة جنديين مسلحين بحراب ويداه مقيدتان. وفي هذه اللوحة يؤكد بريشت مرة أخرى على حيادية الفعل، حيث ارتكب آيليف فعل السرقة الذى قام به من قبل في اللوحة الثانية، ولكن هذه



المرة ارتكبه لمصلحته هو الشخصية: فعومل كمجرم: ففي اللوحة الثانية نرى القائد يكرمه ويقربه منه:

وهنا يسأل الطباخ الجنود الذين يكبلون آيليف عن سبب اقتياده بهذه الصورة:

الطباخ : «مخاطبا الجنود» إلى أين تقتادونه ؟

الجندي : لا إلى حيث يلقى خيرا.

الواعظ : أي جرم اقترف؟

الجندي : لقد نهب مزرعة، وماتت الفلاحة.

الواعظ : كيف ارتكبت فعلا كهذا؟

آيليف : لم أفعل إلا ما فعلت قبل ذلك مرارا.

الطباخ :لكن أثناء السلم.

الواعظ : في الحرب كانوا سيكرمونه من أجل قيامه بهذا العمل، ويجلسونه إلى يمين القائد».

وتأكيد بريشت على حيادية الفعل تأتي من هنا إدانته لفكرة الحرب، فإذا ارتكب إنسان جريمة مثل السلب والنهب عُدّ بطلاً وكُرِّم ومُنح شرف البطولة، أما إذا ارتكب الإنسان الفعل نفسه ولكن لمصلحته الشخصية فإنه يصبح في نظرهم مجرما يستحق العقاب، وبعد ذهاب ابنها إلى مصيره تعود الأم شجاعة تزف لهم خبر انتهاء السلام. وتنتهي اللوحة بغناء الأم شجاعة.

في اللوحة التاسعة. بعد مضي عشر سنوات ولا تزال الحرب الدينية الكبرى مشبوبة الأوار، حيث فقدت ألمانيا في هذه الحرب أكثر من نصف



سـكانها، كما انتشـرت المجاعة في الأرياف، وفي سـنة ١٦٣٤م تلقى الأم شجاعة في جبال فشتل الألمانية.

المنظر : أمام بيت قسيس متهدم، الزمان: صبيحة يوم أغبر أوائل الشـتاء. تتضـح صورة الدمـار على كل أهل القريـة، فالقريـة بكاملها قد احترقت حسـب قول الطباخ. والأم شـجاعة أصبحت في حالة عوز وفقر لأنـه لم يعد لديها ما تبيعه واضطرت إلى التسـول هي والطباخ، فالمجاعة انتشرت في البلاد حتى أن بعض الراهبات أصبحن يقطعن الطريق ويسـرقن. وصلت رسالة للطباخ تخبره بأنه ورث فندقا صغيرا عن أمه، وأراد أن يصحب معه الأم شـجاعة ليعيشا معا، ولكن بشرط ألا تأخذ ابنتها معها.

وأصبحت الأم شـجاعة تتسـول بالغناء هي والطباخ معًا، وهناك يصدر صوت من المنزل يدعوهما لتناول وجبة سـاخنة وقد سمعت كاترين حديث الطباخ لأمها فقررت الرحيل وحدها، ولكن الأم شـجاعة - لحسـن الحظ - تلحـق بها وتقرر عدم الاسـتغناء عن ابنتها وتتـرك الطباخ يمضي لحال سبيله.

نلحظ هنـا أنّ عاطفة الأمومة هذه هي التي جعلـت الجمهور يتعاطف معها ضد إرادة المؤلف.

اللوحـة العاشـرة. في هذه اللوحة يقفز بنا قفـزة تاريخية أخرى حتى نصل مـع الأحداث إلى عام ١٦٣٥. الأم شـجاعة وابنتها كاترين تسـلكان طرقات ألمانيا الوسـطى. وبينما يمران أمام مزرعة يسـمعان صوتا يغني. توقفت هي وكاترين لتستمعا إلى الأغنية ثم استأنفتا السير. نلحظ أن هذه اللوحة بلا أحداث فهى مجرد سرد تاريخي.



اللوحة الحادية عشرة. تصل بنا هذه اللوحة إلى سنة ١٦٣٦م، والجيوش الإمبراطورية تهدد حال البروتستانت. والأم شجاعة تتابع سيرها في خضم هذه المعارك وحدها.

يدخل جنديان وملازم إلى بيت أحد الفلاحين المكون من ابن شاب والأب وامرأته ومعهم كاترين، يهدد الضابط أسرة الفلاح إذا لم يدله أحد منهم على طريق المدينة فسوف يقوم بذبح القطيع الذي تتعايش منه أسرة الفلاح وتحت ضغط الضابط يستجيب الابن الشاب لينقذ قطيع العائلة فيرشده إلى طريق المدينة. وعندما صعد الفلاح إلى سطح منزله اكتشف أنها جيوش غفيرة معدة للقضاء على أهل المدينة كلها.

أخذ الفلاح يدعو الرب وخلفه زوجته وكاترين لإنقاذ أهل المدينة قبل أن يأخذهم على غرة، وإذا بكاترين تتسلل وتحضر طبلة أخفتها في مريلتها من عربة أمها وصعدت إلى أعلى السطح، وسحبت السلم حتى تمنع أي أحد من الصعود إليها وأخذت تدق الطبل. وفشلت كل الطرق لمنعها من قرع الطبلة، ولم تستجب لتهديدات العسكر والضابط، فاقترحت الفلاحة تحطيم عربة أمها لتكف عن قرع الطبلة، ولكنها لم تتأثر، بل زادت في قرع الطبلة، فاضطر الضابط لإسكاتها بأن أمر بإطلاق النار عليها، وهنا أصيبت كاترين ومع ذلك واصلت قرع الطبلة ثم أسلمت الروح، وفي آخر طلقة صوبت تجاهها سمع صوت طلقات المدينة، وهذا يعني أنها نجحت في إنقاذ المدينة.

اللوحة الثانية عشرة والأخيرة. الزمان: أثناء الليل ومع اقتراب السحر.

تبدأ اللوحة بأغنية للأم شجاعة التي كانت تظن أن ابنتها نائمة بينما هي قد ماتت، و تظن أن ابنها آيليف مازال حيا، فينصحها الفلاح أن تذهب للبحث عنه وأنهم سوف يتولون دفن ابنتها. وتعطيهم تكاليف الدفن وتأخذ بزمام العربة وتقرر أنها لا بد أن تعود للتجارة. وعندما تسمع الأم شجاعة



صفارات وقرع طبول إحدى الكتائب تنادي عليهم خذوني معكم. ثم تشـرع في الغناء الختامي.

نلاحظ من هذا السياق أن الحبكة قد تأثر بها من التعبيرية ومن كتابات شيللر خصوصا مسـرحية جان دارك «عذراء أورليان». ومن قفزات زمانية وتمزيق الحبكة التي مشـى على دربها في مسـرحه الملحمي، فنلاحظ أن الرابط الوحيد بين هذه اللوحات هي شـخصية الأم شجاعة، أما كل لوحة فهي موضوع مستقل بذاته.

كما نلحظ أن بناء المسرحية البريشتية يبدأ من نقطة عدم اهتمام بالبناء الدرامي المعهود بالتماسـك، وإنما نجد البناء مفككا، يدخل عالم السـرد للحكاية في عدد من اللوحات، التي يمكن أن تستقل كل منها بذاتها.

الكوميديا البريشتية

قبل أن نتعرض لكوميديا «السـيد بنتيلا وخادمه ماتي» علينا أن نكشف عن وجه مجهول عن بريشـت، وبالرغم من كثرة هذه الدراسات التي تناولت أعمال بريشت إلا أنها أهملت جانبا ما يزال مجهولا عن «بريشت»، ولا ندرى لذلك سببا، هل جاء ذلك عن عمد أو غيبة في المعلومات، أو لأسباب أخرى نجهلهـا. ذلك الجانب الـذي يمثل الوجه الآخر والمجهول لـ«بريشـت» في منطقتنا العربية ويتمثل في محاولاته الأولى التي كتبها في ريعان شبابه وهو ما يزال يتلمس طريقه نحو المسرح، فلنتعرف أولا على العوامل إلى أثرت في «الكوميديا البريشتية»، خاصة في المسرحية ذات الفصل الواحد، ولاسيما أن الآراء قـد تعددت حول هذه النقطة، فهناك من يعتقدون أن «بريشـت» قد نشـأ وترعرع في أحضان النزعة التعبيرية، بينما طبيعة النصوص التي كتبهـا فـي بداياته بدءًا من عام ١٩١٨/١٩١٩ تنبئ بأنه لم يكن له أسـلوب



محـــدد وإنما هو قد تمرس على مختلف الأســـاليب. وفريق آخر من النقاد يعتقــد بأنه قد تأثر بـ « كارل فالنتين» (١٨٨٢ – ١٩٤٨) مؤســـس مســـرح المقهى في ألمانيا الذي كان يقدم مسرحياته القصيرة في صالات الشراب والمقاهي وكان يغلب على أعماله طابع الاسكتش. التقى «فالنتين» بتلميذته «ليزل كارلشـــتات» واشتركت معه في تأليف أعماله المسرحية حتى الحرب العالمية الأولى، قدم حوالي ٤٠٠ اســـكتش وفارس (Farce) بعضها تحول إلى أفلام سينمائية. ويعد "كارل فالنتين" من أكبر الممثلين الفكاهيين في عصره، كما برع في الخدع وحيل التنكر.

وذهـــب النقاد في زعمهم إلى أن "بريشـــت" اتخذ "فالنتين" هذا قبلته ومثله الأعلى، وأنه اقتدى به في كتاباته وحذا حذوه في الاستعانة بالعناصر الشعبية في مسرحه، وأن هذا التأثر يظهر بوضوح في ديالوجاته واستخدامه للجروتسك والسخرية اللاذعة، وأن هذه العناصر تشكل قاسمًا مشتركًا في أعمالـــه ذات الفصل الواحد. وربما ترســـخ هـــذا الاعتقاد في أذهان بعض النقاد، لأن "بريشـــت" كان دائم المديح لـ"فالنتين" وإظهار غرامه بأسلوبه حتى أنه ذكر في إحدى المرات أنه قد اســـتفاد منه أكثر مما اســـتفاد من "جـــورج بشـــنر" (١٨١٣ – ١٨٣٧)، و"فرانك فيداكنـــد" (١٨٦٤ – ١٩١٨)، وإن كان "بريشـــت" قد كتب فـــي عام ١٩٢٢ بأنه لم يأخـــذ عن "فالنتين" بشـــكل مباشر في الكتابة والإخراج، وإنما هو قد استفاد منه دون أن ينسخ أســـلوبه. والواقع أن بريشت لم يجاف الحقيقة في قوله، فقد استبعد فعلا كثيرا من عناصر أسلوبه وأضاف عناصر أخرى. استبعد على سبيل المثال الاستعارات والتورية وتلك النكات الدموية شديدة القسوة في نقد المجتمع وخاصة الطبقة الوسطى. ومن المعروف لدارسي الأدب الألماني أن مسرح "فالنتيـــن" يدور غالبا حول مواقف الحياة اليومية العادية، ويعتمد في بنائه على النكات الدامية التي تنتهي دائما نهاية حزينة. كما اســـتبعد "بريشت" أيضا الكوميديـــا الميتافيزيقية الموجودة عند "فالنتين"، ولم يســـتخدمها



حتى في أعماله المبكرة، وبهذا استطاع "بريشت" أن تكون له خصوصيته. لكن على الرغم من كل ما سبق فإن تأمل مسرحيات "بريشت" يجعلنا نميل إلى أنها أقرب إلى الكوميديات الصغيرة الشعبية التراثية، وكذلك أقرب إلى ما أنجزه الطبيعيون والتأثيريون أكثر منها تأثرا بـ"فالنتين". والحقيقة أن تراث المسرح الأوروبي عرف أشكالا كثيرة يمكن أن تصنف اليوم ضمن مصطلح "المسرحية ذات الفصل الواحد"، وأغلب هذه المسرحيات قد عولجت كمشاهد تمثيلية ثم أصبحت بعد ذلك تندرج تحت مفهوم "الكوميديا القصيرة". من هذه الأشكال مشاهد الدجالين المدعين للطب، والتمثيليات التي كانت تؤدى قبل الصيام أو في الليلة السابقة على الصيام ثم أصبحت تؤدى ثلاث أو أربع ليال قبل الصيام والتي عرفت باسم (Fastnachtspiele). وهي أقدم التمثيليات الدنيوية، وكان يمثلها الشبان مستخدمو الأقنعة. وقد ظهرت للمرة الأولى في الدور الخاصة، وكانت تهتم بتصوير الخلافات والنزاعات العائلية أو بعض الأحداث والمحاكمات أو ما يصور حياة السكان اليومية، ثم تحول التمثيل من دور الأسر والعائلات إلى المقاهي والشوارع والميادين وفيها يطلق العنان للهو والمجون تأهبا للدخول في الصوم والانقطاع بعدها للعبادة والاعتكاف، وكانت تقتصر على الأحداث المحلية في الحياة العامة ويبرزونها في قالب هزلي مضحك.

وهكذا نبتت المرحلة الأولى للكوميديا الألمانية. كذلك عرفت أوروبا الفارس والمسرحية الهزلية القصيرة التي كانت تعتمد على المأثور الشعبي، بالإضافة إلى التمثيليات التي عرفتها أسبانيا واشتهر بها سيربانتس



(١٥٤٧- ١٦١٦) والتــي كان يطلق عليهــا (entremeses)، والتي يرادفها في ألمانيا (zwischenspiel). وهي مســرحيات قصيرة كانت تؤدى بين الفصول أو قبل العرض أو بعده، وكانت في الأغلب الأعم ترتجل، يضاف إلى ذلــك التمثيليات الغنائية والفودفيل والدعابات الشــعبية الهزلية التي تميل إلى المجون. كل هذه الأشــكال هي التي شــكلت نواة المسرحية الكوميدية ذات الفصل الواحد. وتعد مسرحية "ليسنج" (١٧٢٩ – ١٧٨١) " فيلوتاس" (١٧٥٩)، بشــير المســرحية ذات الفصل الواحد الحديثة، وبعد عام ١٨٨٠ قــاد ازدياد أزمة الدراما كثيرا من المؤلفين لكتابة المســرحية ذات الفصل الواحــد حتى أننا نجد "ســترندبرج" (١٨٤٩ – ١٩١٢)، يكتب في مقال له حول المســرحية ذات الفصل الواحد (١٨٨٩). "من المحتمل أن تصبح هي الشــكل الدرامي المقبل". وفي تلك الفترة ظهر عدد كبير من المسرحيات ذات الفصل الواحد، حوالي إحدى عشــرة مســرحية لـ "سترندبرج" وحده من ســنة ١٨٨٨م حتى ١٨٩٥، منها "الآنسة جوليا"، "الدائنون"، "الأقوى"، "النشــوة"، "المنبوذ"، "قبل الموت". و "ارتور شنتسلر" (١٨٦٢ –١٩٣١)، كتب "سلســلة الأناضول" (١٨٩٣)، "الببغــاء الأخضر" (١٨٩٩)، و"فرانك فيداكند" كتب "المغنى" (١٨٩٩)، "الموت والشيطان" (١٩٠٦)، "الموسيقى والرقابة" (١٩٠٨). و"هوجو فون هوفمنشتال" (١٨٧٤ – ١٩٢٩)، "الأمس"، "مســرح في أبيات"، "موت تيــزان"، "البوابة والمــوت". وكذلك "موريس ميترلنك" (١٨٦٢ – ١٩٤٩)، "العميان"، (١٨٩٠) "الداخل" (١٨٩٤).

هذه الأعمال هي التي شــكلت الملامح العامة للمســرحية الحديثة ذات



الفصل الواحد كدراما مستقلة لها بداية ونهاية، وتمتاز بالتركيز الشديد وتعرض الإنسان في موقف محدد. وفي القرن العشرين أخذ الكتاب الوجوديون هذا الشكل، وكذلك كتاب العبث، وظهر عدد من المسرحيات ذات الفصل الواحد، على سبيل المثال مسرحيات "لويجي بيرانديللو" (١٨٦٧ – ١٩٣٦)، "الرجل ذو الوردة في فمه" (١٩٢٧)، "جان بول سارتر" (١٩٠٥ – ١٩٨٠)، "خلف الأبواب المغلقة" (١٩٤٤)، "جان جينيه" (١٩١٠–١٩٨٦)، "الخادمتان" (١٩٤٧)،"تحت الرقابة" (١٩٤٩). و"هاينر كيبهارت" (١٩٢٢ – ١٩٨٤)، "الفرار" (١٩٥٣). ثم فولفجانج هيلدهمير(١٩١٦)، "مسرحية مسائية" (١٩٦٣). ولا يخلو الأمر من خطورة في حالة إخضاع هذا النوع من المسرحيات لوظيفتين، كما فعل "جان كوكتو"(١٨٩٢– ١٩٦٣) في مسرحية "الصوت الإنساني" (١٩٣٠)،إنها مسرحية ذات فصل واحد وفي الوقت نفسه مونودراما، كذلك "صمويل بيكت" (١٩٠٦ – ١٩٨٩)، " الشريط الأحمر" (١٩٥٩)، ومسرحيات أخرى لـ "يونسكو" (١٩١٢ – ١٩٩٣) كتب مسرحيات ذات الفصل الواحد وفي الوقت نفسه لا مسرحية (Antiplay) مثل "المغنية الصلعاء" (١٩٥٠)، "الدرامات المضحكة"، "الدرس الخصوصي" (١٩٥١)، أو "المهازل المأسوية"، "الكراسي" (١٩٥٦)، "المستأجر الجديد" (٥٧/١٩٥٦)، "يموت الملك" (١٩٦٢).

وشأن "بريشت" شأن هؤلاء قد استلهم أعماله القصيرة من الصياغات الشعبية الهزلية التي عرفتها أوروبا في نهاية العصور الوسطي وتباشير عصر النهضة، وأعمال "بريشت" تؤكد معرفته الوثيقة بهذه الأشكال،

خاصة المشـــاهد التي كانت تتم بين الفصول. والواقع أن المجهودات التي بذلت لتصبح المســـرحية ذات الفصل الواحد جنســـا أدبيا مســـتقلا بدأت تقريبـــا حوالي عام ١٨٩٠م وكان يهدف منها أن تصبح طراز العصر مع ميل واضح نحو الطبيعة، وقد تُفّهم أيضا على أنها مســـرحية طليعية، خصوصا وأنها قد تخلت عن الأحوال النفســـية ويســـهل التعامل معها من حيث وحدة المكان والزمان.

واستمد بريشـــت مادة أعماله من الحواديت الشعبية (المأثور الشعبي) كذلك بعض مســـرحياته الطويلة مثل المسرحية التي بين أيدينا " مسرحية "السيد بنتيلا وخادمه ماتي".





مسرحية

السيد بنتيلا وخادمه ماتي

ترجمة: **د. عبدالرحمن بدوي**

تقديم ودراسة نقدية: **أ.د. عطية العقاد**





العنوان الاصلي للمسرحية

Bertolt Brecht
Herr Puntila
und sein Knecht Matti
Volksstiick

Suhrkamp Verlag





شخصيات المسرحية

بنتيلا Puntila

يوهان بنتيلا: مالك ضيعة ببنتيلا في لامي Lammi

القاضي فريدرك

غلام فندق الحديقة في تفستهوس Tavasthus

ماتي ألتونن: سائق وخادم للسيد بنتيلا Matti Altonen

إيفا بنتيلا: ابنة السيد بنتيلا Eva Puntila

إينو سيلكا: ملحق دبلوماسي في سفارة Eino Silakka

أما تاكينائين: «أما المهربة» Emma Takinainen

الطبيب البيطري

ماندا: آنسة تعمل في الصيدلية Manda

ليسو جكارا: راعية بقر Lisou Jackara

ساندرا: عاملة تليفون

رجل بدين: مالك أراض، مثل بنتيلا

عامل

عامل أنمش

عامل بائس

لاينا: طباخة Laina



سركلا القرمزي   Surkkala

هلا: ابنته الكبرى   Hella

ثلاثة أولاد آخرون لسركلا

فيما: خادمة بنتيلا Fina

ناظرة ضيعة بنتيلا

بكا: المحامي   Pekka

القسيس:

زوجة القسيس

تجري المسرحية في فنلندة



استهلال

(تلقيه الممثلة التي ستقوم بدور راعية البقر)

أيها الجمهور الكريم! إن الكفاح مرير

لكن الحاضر يضيء

لكن من لا يضحك بعد لم يرق الجبل

ولهذا ألفنا رواية ضاحكة

لكن، أيها البيت الكريم!

مالنا أن نزن الفكاهة بميزان الصيدليّ

بل علينا أن نزنها بالقنطار، مثل البطاطس

ولنستعن في عملنا أحيانا بالمعول.

في هذا المساء سنقدم إليكم نوعا من الحيوان الذي ينتسب إلى عصر ما قبل التاريخ يسمى مالك الضياع وهو حيوان عرف بشراهة الافتراس وبأنه لا فائدة فيه أبدا.

وحينما لا يزال يوجد ويقاوم بإصرار

فإنه يمثل طامة على الأرض هائلة

سترون هذا الحيوان ينطلق حرا

في منطقة جميلة طيبة العنصر

فإن لم يظهر من بين الكواليس

فستتبينونه من نصنا هنا:

وعاء لبن يرفّ تحت أشجار الشربين الفنلندية

صيف بلا ليل على الجدول الرقيق

قرى حمراء يوقظها ديك الصباح

أبخرة كابية تصاعد من سقف مصنوع من ألواح.

هذا، فيما نرجو، هو الإطار
الذي في داخله تحدث أحداث مسرحيتنا هذه عن السيد بنتيلا[١]
بنتيلا يعثر على رجل

(بهو صغير في فندق الحديقة بمدينة تفستهوس. بنتيلا، والقاضي، وغلام الفندق، القاضي يسقط غائبا عن الوعي من على كرسيه).

بنتيلا : منذ كم نحن هنا؟

الغلام : منذ يومين، يا سيد بنتيلا

بنتيلا : (مخاطبا القاضي بلهجة التأنيب): يومان صغيران هل سمعت؟ ومع ذلك فأنت تتراخى وتتظاهر بأنك متعب، وهذا حين أريد أن أحدثك قليلا عن نفسي، ونحن في سبيل شرب كأس من الشراب، وأن أشرح لك كم أشعر بأنني مهجور، وأعرض أفكاري عن البرلمان! لكنكم جميعا تنهارون من أقل مجهود، لأن الروح قوية، ولكن الجسد ضعيف. أين الطبيب الذي بالأمس كان لا يزال يتحدى الدنيا بأسرها؟ لقد رآه ناظر المحطة يخرجونه، لكنه حوالي الساعة السابعة أسلم الروح بعد معركة بطولية. وحين كان لا يزال يتمتم، كان الصيدلي لايزال قائما: لكن أين هو الآن؟ هؤلاء هم كبار الشخصيات في الإقليم! يا للشقاء!

(١) الأسماء المؤلفة من ثلاثة مقاطع في هذه الرواية تحمل النبرة الصائتة على المقطع الأول (هكذا: بنتيلا، كرجلا، إلخ).



(يلتفت إلى القاضـي الذي غلبه النعاس) وأي قدوة لشعب تفسـتلاند Tasastland: قاضي تفستلاند عاجز عن الصمود في فندق قائم على حافة الطريق! لو كان عندي خادم كسلان مع المحراث مثلما أنت مع زجاجة المشـروب، لطردته على الفور ولقلت له «يا حيوان، سأريك كيف تؤدي واجبك بهذا الاستخفاف! ألا تسـتطيع أن تفكر، يا فريدرك، فيما ينتظر منك، وأنت رجل مثقف، مرموق، أن تكون قدوة تحتذى، أن تصمد، أن تشعر بمسؤولياتك. حاول إذن أن تسترد نفسك، أنت لا تستطيع أن تبقى جالسا معي وتتكلم، أيها الشخص البائس؟ (مخاطبا الغلام): في أي يوم نحن؟

الغلام : السبت، يا سيد بنتيلا.

بنتيلا : هذا يدهشني. يجب أن يكون اليوم يوم الجمعة.

الغلام : ألف معذرة، ولكن اليوم هو السبت.

بنتيلا : أنت ترد عليّ؟ تريـد أن تكون غلاما ظريفا! وأنت ثقيل.. قليل الأدب! ستجعل كل زبائنك يهربون، هات كأسا أخرى! افتح أذنيك ولا تعد إلى التخليط: كأس، ويوم الجمعة. فهمت؟

الغلام : نعم، يا سيد بنتيلا.

(يخرج بسرعة)



بنتيلا : (مخاطبا القاضي) اصح، يا ميت. لا تتركني هكذا وحدي. تستسلم أمام زجاجتين أو ثلاث لم تكد تضع أنفك فيها! تجندلت في الزورق، وحين جدفت بك على ماء الحياة لم تجرؤ حتى أن تتطلع من فوق الزورق، ألا تخجل؟ انظر إليّ، أنا أخرج، وألقي بنفسي على الشراب. (يقلد بحركات)، وأتنزه على سطحه. فهل أنا أغرق؟ (يلمح ماتيّ سائقه، وكان واقفا بالباب منذ مدة) من أنت؟

ماتيّ : أنا سائقك، يا سيد بنتيلا

بنتيلا : (بارتياب) من أنت؟ أعد!

ماتيّ : أنا سائقك.

بنتيلا : يستطيع كل إنسان أن يقول هذا. أنا لا أعرفك.

ماتيّ : ربما لم تتطلع أبدا في وجهي، وأنا لم ألتحق بخدمتك إلا منذ خمسة أسابيع.

بنتيلا : ومن أين أتيت هكذا؟

ماتيّ : من الخارج. أنا أنتظر في العربة منذ يومين.

بنتيلا : في أية عربة؟

ماتيّ : عربتك، الأستوديو بيكر Studebaker

بنتيلا : هذا مضحك. هل تستطيع إثبات ذلك؟

ماتيّ : وليس في نيتي أن أنتظرك في الخارج أطول من



ذلك، أعلم هذا. لقد وصل بي الأمر إلى هذا الحد!
لا ينبغي معاملة إنسان بهذه الكيفية.

بنتيلا : ما معنى هذا: إنسان؟ هل أنت إنسان، أنت؟ لقد قلت منذ قليل إنك سائق. هذا تناقض، أعترف بهذا!

ماتيّ : سأبرهن لك، يا سيد ماتيّ، إنني إنسان. لن أدع أحدا يعاملني معاملة الدواب، ولن أنتظرك في الشارع حتى تتفضل بالخروج.

بنتيلا : إنك قلت منذ قليل إنك لا تتحمل هذا.

ماتيّ : تماما. ادفع إليّ الـ ١٧٥ ماركا المستحقة لي. وسأبحث عن شهادتي في بنتيلا.

بنتيلا : أنا أعرف صوتك هذا. (يتلفت حواليه ويتأمله كأنه حيوان عجيب). صوتك يرنّ كأنه صوت إنسان. اجلس وتناول قدحا من ماء الحياة: لا بد أن يتعرف كلانا الآخر.

الغلام : (يدخل ومعه زجاجة) الذي طلبته، يا سيد بنتيلا، واليوم هو يوم الجمعة.

بنتيلا : تمام. (مشيرا إلى ماتيّ) هذا صديق لي.

الغلام : نعم، هذا سائقك يا سيد بنتيلا.

بنتيلا : إذن أنت سائق؟ كنت أقول دائما إنه في أثناء الأسفار يلتقي المرء بالناس الشائقين. صب!



ماتيّ : لا أعرف ماذا تريد بعد؟ لا أعرف هل أشـــرب من شرابك هذه؟

بنتيلا : أنت رجـــل قليل الثقة بالناس أليـــس كذلك؟ أفهم هذا. ينبغي على الإنسان ألا يشارك غرباء في مائدة واحـــدة. فمتى ما نعس الإنســـان ربما ســـرقوه. أنا المالك بنتيلا من لاميّ Lammi، وأنا رجل شريف، وعندي تسعون بقرة. ومعي تستطيع أن تشرب، وأنت مطمئن آمن، يا أخي.

ماتي : حسن، أنا ماتي التونن، وأنا سعيد بمعرفتك.

(يشرب)

بنتيلا : كل الســـعادة لي أنا. انظر كم قلبي طيب: ذات مرة انتشلت جعرانا من الطريق ووضعته في الغابة حتى لا يطأه أحد، وواضح أن هذا من جانبي فيه شيء من المبالغـــة ولقد جعلته يصعد على عصا. وأنت أيضا قلبـــك طيب، أنا ألمح هذا فيـــك. وأنا لا أحتمل أن تكتب «أنا» بحرف «أ» كبيرة. هذا يســـتحق الضرب. وهنـــاك ملاك كبـــار يأنفون من تقديـــم الطعام إلى المســـتخدمين عندهم. أما أنـــا فبودي ألا أقدم إلى رجالـــي إلا اللحم المحمـــر. إنهم ناس هم الآخرون، ويحبـــون أن يأكلوا من أطايب الطعـــام مثلي تماما، وهذا حقهم، ألا تعتقد هذا؟

ماتي : تماما.



بنتيلا : هل صحيح أنني تركتك في الخارج تنتظر؟ كان هذا مني أمرا غير لائق، وإني لألوم نفســـي عليه تماما. وإذا فعلــت ذلك مرة أخرى، فخذ المفتاح القلاووظ واضربني. على أم رأسي ! ماتي. هل أنت صديقي؟

ماتي : لا.

بنتيلا : شـــكرا. كنت أعرف ذلك. ماتــي، تتطلع فيّ: ماذا ترى؟

ماتي : بودي أن أقول: شخص ضخم مثل البرميل.

بنتيلا : انظر كم الظواهر تخدع. أنا غير هذا تماما. ماتي، أنا رجل مريض.

ماتي : مريض جدا.

بنتيلا : هذا يســـرني. هناك من لا يلاحظـــون ذلك. حين يرونني هكـــذا، لا يدركون حالتي. (بتجهم وهو يحد النظر إلى ماتي): تنوبني نوبات.

ماتي : لا تقل هذا.

بنتيلا : حقيقـــة، ليـــس هذا مزاحا. وهـــذا يحدث لي مرة على الأقل كل ثلاثة أشهر. وأفيق فجأة وأنا في تمام وعيي. فما قولك في هذا؟

ماتي : نوبات الإفاقة هذه تنتابك بانتظام؟

بنتيلا : بانتظام. وفيما عـــدا ذلك أظل طبيعيا، كما تراني فـــي هذه اللحظـــة: في تمام قـــواي العقلية، ضابط



لحواسـيّ. ثم تأتي النوبة. تبدأ هكذا: يحدث لعينيّ شـيء، فبدلا من أن أرى شـوكتين (يرفع شوكة) لا أعود أرى غير شوكة واحدة.

ماتي : (فزعا) إذن تكون نصف أعمى؟

بنتيلا : لا أرى غيـر نصف العالم. والأسـوأ من هذا أنني أثناء هـذه النوبات مـن الإفاقة التامـة المجنونة، أنحط إلى مسـتوى البهيمة. لا يسـتطيع شـيء أن يوقفني. ومـا أفعله في مثل هذه الحالة، يا أخي، لا لوم عليّ فيه، أبدا، إذا كان عند الناس قلب وتذكروا أنني مريض. (بفزع في صوته): حينئذ أكون مسؤولا تمام المسـؤولية عن أفعالـي. أتعرف معنى هذا، يا أخي، «مسـؤول عن أفعاله»؟ إن الرجل «المسـؤول عن أفعاله» رجل يتوقع منه أي شـيء. مثلا، لا يكون قادرا على السهر على سعادة ابنه، ولا يشعر بمشاعر الصداقة، ويكون مسـتعدا لأن يمر من فوق جثته هو نفسـه. وفي هذه الحالة، كما يقول المحامون، يكون مسؤولا عن أفعاله.

ماتي : ألا تعمل شيئا ضد هذه النوبات؟

بنتيلا : بلـى، يا أخي، أفعل كل ما أسـتطيعه. كل ما يمكن عمله من الناحية الإنسانية. (يمسك بكأس الشراب): هذا هو علاجـي الوحيد، أعب منـه عبّاً متواصلا دون أن أقطـب وجهي، صدقني، أعـب عبا لا على نحو الشـرب بالملعقة. وكل ما أستطيع أن أقوله هو



أننــي أناضل برجولة ضد هــذه النوبات من الإفاقة الحمقاء. لكن ما الفائدة؟ في كل مرة تصرعني هذه النوبات. انظر مثلا كم أســأت التصرف معك، وأنت رجل ثمين جدا! هذا ظهري، عليك فاضربه! أود أن أعرف أي صدفة سعيدة جعلتك تشتغل عندي.

ماتي : فقدت عملي السابق. لكن لم يكن الذنب ذنبي.

بنتيلا : ماذا حدث؟

ماتي : كنت أشاهد أشباحا.

بنتيلا : حقيقة؟

ماتي : (هــازا أكتافه) كان ذلك في ضيعة الســيد بپمان Pappmann. لــم يكن أحد يعــرف من أين جاءت حكايــة هذه الأشــباح، وقبل مجيئي لــم يكن يوجد أشــباح أبدا. وإذا شــئت أن تعرف، ففــي رأيي أن السبب هو أن الطعام كان رديئا. فحين تكون العجائن ثقيلة في البطون، يضطرب النوم، وتأتي الكوابيس. وأنا لا أتحمل الطعام الرديء. فكرت في اســتعفائي من عملي، لكن لــم يكن أمامي عمل آخر، فأصابني القنــوط، فرحت أقص حكايات مخيفة في المطبخ. ولــم يمض وقت طويل وإذا ببنــات المطبخ بدورهن يشــاهدن في المساء رؤوس أطفال على السياجات، فطلبن إعفاءهــن من عملهن. وبعــد ذلك خيل إليّ أن كرة رماديــة خرجت من الإســطبل وهي تتحدر على الأرض، وكانت تشــبه الرأس. وحين رويت هذا



للناظـــرة، مرضت. والخادمة هي الأخرى اســتعفت في الليلة التي رأت فيها عند المســاء رجلا أســود البشــرة يتجول في الحمام وهو يحمل رأســه تحت ذراعــه وقد طلب منـــي نارا لإشــعال غليونه. فراح الســيد ببمان يصيح في كل مكان أنني المسؤول عن هذا. وأنني أجعل الناس يهربون من الضيعة، وأنه لا يوجد في ضيعته أشــباح. لكن حين قلت له إنه على خطــأ، وإنه مثلا في المدة التـــي كانت فيها المدام في المستشفى للولادة، شاهدت في ليلتين متواليتين شــبحا أبيض يقفز من نافذة غرفة الناظرة ويدخل مـــن نافذة غرفة الســيد ببمان نفســه، لم يدر ماذا يقول. لكنه طردني. وقد قلت وأنا راحل أن من رأيي أنه لو اهتم بتحســين الطبيخ فـــي الضيعة لالتزمت الأشباح الهدوء: فرائحة اللحم، مثلا، لا تروق لها.

بنتيلا : فاهم! أنت فقدت شــغلك لسبب واحد لأنهم كانوا يقتّرون في طعام الذين يشتغلون عندهم. أنت تحب الأكل الجيد، حســن، هذا لا ينقــص من قدرك في نظري، طالما كنت تحسن سوق جراري وتؤدي عملك بنشــاط وتعطي لبنتيلا ما هو لبنتيلا. بهذه الكيفية نســتطيع أن نكون متفاهمين وكل إنسان يستطيع أن يتفاهم مع بنتيلا.

(يغني):

ما دام نحن على السرير على وفاق؟!



فيم الـنـزاع، حبيبتي، فيم الـنـزاع

إن بنتيلا يود أن يقطع أشجار الشربين معك، ويزيل الأحجار من الحقول، ويسرق الجرار! لكن هل تركوه هادئا؟ لقد وضعوا حول عنقي بنيقة صلبة، استهلكت لحيي. لا يليق ببابا أن يسوق المحراث، ولا يليق به أن يداعب الفتيات، ولا يليق به أن يشرب القهوة مع العمال! لكن كفى من هذا الذي «لا يليق»؛ وأنا سافرت إلى كورجلا وعقدت خطبة ابنتي على الملحق الدبلوماسي، وبعد هذا أجلس إلى المائدة وأنا بالقيمص دون أن يلومني أحد: وأنام مع السيدة كلينكمن Klinckmann وكفى.. سأزيد في مرتبك، لأن العالم الكبير وعندي غابة، وهذا يكفيك ويكفي أيضا سيد بنتيلا.

ماتي : (يضحـــك كثيرا ولوقت طويل، ثم) فيما يتعلق بهذا اطمئـــن. ولنوقظ القاضي الكبير، لكـــن برفق، وإلا انتابه الخوف وحكم علينا بمائة سنة سجنا.

بنتيلا : أود أن تأكد أنه ليس هناك هوة فيما بيننا. قل إنه لا يوجد بيننا هوة!

ماتي : أمرك يا سيد بنتيلا، لم يعد هناك هوة.

بنتيلا : يا أخي، يجب أن نتكلم عن الفلوس.

ماتي : طبعا.

بنتيلا : لكن من الحقارة التحدث عن الفلوس.

ماتي : إذن فلا نتكلم عن الفلوس.

بنتيلا : هذا غلــط. ولماذا لا نكون حقراء؟ ألســنا رجالا أحرارا؟



ماتي : كلا.

بنتيلا : آه، إذن! وما دمنا أحرارا، ففي استطاعتنا أن نفعل مـا نريد. إذن فلنكن حقـراء. إذ لا بد لي من العثور على ما يمكنني من جمع بائنة لابنتي الوحيدة، وهذا يحتاج إلى تفكير هادئ وذكاء ونشـوة، أرى حلين: أن أبيع غابتي أو أبيع نفسي. فبماذا تنصح؟

ماتي : أنا لو كانت عندي غابة، لما بعت نفسي.

بنتيلا : مـاذا؟ أبيع الغابة؟ لقـد خيبت أملي فيك يا أخي. هل تعرف مـا هي الغابة؟ هل هـي فقط ١٠,٠٠٠ حمل من الخشـب، أو سرور نضير للإنسان؟ وتريد أن تبيع السرور النضير للإنسان؟ عار عليك!

ماتي : إذن خذ الحل الثاني.

بنتيلا : حتى أنت يا بروتس؟ أتريد حقا أن أبيع نفسي؟

ماتي : وماذا ستفعل لتبيع نفسك؟

بنتيلا : السيدة كلنكمان.

ماتي : في كورجلا، حيث نذهب؟ عمة الملحق؟

بنتيلا : إنها تستلطفني.

ماتي : ولها تريد أن تبيع جسدك؟ يا للهول!

بنتيلا : أبدا. لكن ماذا ستصير الحرية، يا أخي؟ أعتقد مع ذلك أنني سأضحي بنفسي: على كل حال. من أنا؟

ماتي : هذا صحيح.



(القاضي يفيق من نومه ويبحث فوق المنضدة عن جرس غير موجود ولكنه يهزه).

القاضي : هدوء في القاعة!

بنتيلا : إنه يتصور نفسه في المحكمة لأنه نائم. يا أخي، لقد حللت مسألة معرفة ما هو الأفضل: غابة مثل غابتي، أو رجل مثلي أنا. أنت غلام عجيب مدهش. خذ حافظة نقودي، وارفع ثمن القوارير وضعه في جيبك لأني أضيعه باستمرار. (مشيرا إلى القاضي): احمله! أضيع كل شيء، ولا أريد أن أملك شيئاً، وأفضل هذا أن النقود بلاء. أعلم هذا. وحلمي هو ألا أملك شيئا، وأن أذرع فنلنده الجميلة على قدميّ، أو بعربة صغيرة ذات مقعدين. ولن يرفض الناس إعطاءنا قطرة صغيرة من البنزين، ومن وقت لآخر، حين نكون متعبين، يقيم المرء في فندق مثل هذا. ويكسب المرء ثمن كأسه بشق الخشب. وهذا أمر سهل بالنسبة إليك تستطيع إنجازه بيدك اليسرى!

(يذهبون. ماتي يحمل القاضي).



(٢)

إيفا

(مدخل ضيعة كركلة. إيفا بنتيلا تنتظر أباها وهي تأكل شوكولاته. والملحق الدبلوماسي إينو سيلكا يظهر في أعلى السلم، وقد غلبه النعاس).

إيفا : لا بد أن السيدة كلنكمان متضايقة.

الملحق : عمتي لا تتضايق وقتا طويلا. تكلمت بالتلفون مرة أخرى لأعرف أخبارهم. في القرية شوهدت سيارة فيها رجلان يضحكان ويصيحان.

إيفا : لا بد أنهم هم. فإني أتعرف أبي بين آلاف. إذا جرى إنسان وراء خادم ومعه كرباج ماشية، أو يهدي سيارة إلى أرملة مستأجر، فمن المؤكد أن هذا الإنسان هو أبي.

الملحق : لكنه هنا ليس في بيته. أنا لا أخاف إلا الفضيحة. ربما ليست عندي ملكة الأرقام، فأنا أعجز عن معرفة كم من لترات اللبن نستطيع أن نرسل إلى كوناس، وأنا لا أشرب اللبن أبدا، لكن عندي حدسا دقيقا بما يمكن أن يؤدي إلى فضيحة. فحينما قال ملحق السفارة الفرنسية في لندن، بعد أن شرب ثماني كؤوس، أقول حينما صاح ونحن على المائدة في وجه دوقة كارتمبل Catrumple إنها سيئة، تنبأت في الحال أنه ستحدث فضيحة. وكنت على



صواب. وفي هذه المــرة أعتقد أنهم واصلون. غير أني متعب بعض التعب. فإذا سمحت، فإني ذاهب.

(يخرج بسرعة. باب الدخول ينكسر بضوضاء شديدة، وبنتيلا يدخل الفناء بسيارته الأستوديبيكر وفي السيارة يجلس القاضي وماتي).

بنتيلا : ها نحن أولاء قد وصلنا. لكن لا داعي للرســميات. لاتوقظي أحدا، سنشرب زجاجة أخرى ونحن جماعة صغيرة ثم نذهب إلى الفراش. هل أنت سعيدة؟

إيفا : نحن في انتظارك من ثلاثة أيام.

بنتيلا : تعوقنا في الطريق، لكننا أحضرنا كل شيء. ماتيّ، أخرج الحقيبة. أرجو أن تكون أمسكت بها جيدا على ركبتيك وإن لم ينكســر شــيء، وإلا متنا جميعا من العطش. لقد أسرعنا لأننا حسبنا أنك تنتظريننا.

القاضي : هل أستطيع أن أقدم إليك التهاني، يا إيفا؟

إيفا : بابــا، أنت مصيبة. لقد بقيت هــا هنا ثمانية أيام وليــس معي غير قصة قديمة، والملحق وعمته، وأنا أتضور من الملال.

بنتيلا : لقد أسرعنا، وكنت أحثهم، وأقول: «يجب ألا نتأخر، فلا يــزال أمامي أن أتناقش مع الملحق في موضوع الخطبة.. على كل حال أنا كنت مبسوطا لأني أعرف أنــك كنت مع الملحق، على الأقل كان معك إنســان تتسلين معه أثناء غيبتنا. انتبه للحقيبة، يا ماتي، وإلا حدث لها حادث.



(ينزل الحقيبة بمساعدة ماتي، محتاطا كل الاحتياط).

القاضي : هل تشاجرت مع الملحق، حتى تشكي من تركك وحدك معه؟

إيفا : أوه، لا أعرف. إنه رجل من المستحيل التشاجر معه.

القاضي : يا سيد بنتيلا! ابنتك لا تبدي أي حماسة. وتأخذ على الملحق بأنه لا يمكن التشاجر معه. ولقد مرت بي قضية طلاق، تشكو فيها الزوجة من أنها حين ترمي زوجها بالمصباح على أم رأسه، فإن زوجها لا يبدي أي ضيق. لقد كانت تشعر بأنه يهملها ولا يحفل بها.

بنتيلا : هكذا! لي الحظ مرة أخرى. حين يتدخل بنتيلا، يسير كل شيء. ماذا؟ لست سعيدة؟ أفهم ذلك. فإن طلبت مشورتي، فإني لا أحبذ لك الملحق زوجا. إنه ليس رجلا.

إيفا : (لأن ماتي قائم هناك يبتسم بخبث) لقد قلت فقط إنني غير واثقة من أن الملحق يكفي للترفيه عني.

بنتيلا : وهذا ما أقوله. خذي ماتي. فمعه تتسلى كل الفتيات.

إيفا : بابا، أنت رجل مستحيل. لقد قلت فقط إنني غير واثقة. (مخاطبة ماتي) احمل هذه الحقيبة إلى فوق!



بنتيلا : لحظــة! لنخرج أولا زجاجــة أو زجاجتين. وعندي بعد كلام معك، إنني أتســاءل هل الملحق يناســبنا. هل عقدت الخطبة معه؟

إيفا : لا. لــم أعقد خطبة معه، ولم نتحدث معا في هذا. (مخاطبة ماتي): دع هذه الحقيبة مغلقة!

بنتيلا : ماذا؟ لا خطبــة؟ طوال ثلاثة أيام؟ لكن ماذا فعلت إذن؟ هــذا لا يعجبني في الناس. إنني أعقد خطبتي في ثلاث دقائــق. احضريه ها هنا. وأنا اســتدعي فتيات المطبخ وأريه كيف أني أعقد خطبتي في لمح البصر. اخرجي زجاجة شراب أولا.

إيفا : لا، لن تشــرب منذ الآن! (مخاطبــة ماتي): احمل الحقيبة إلى غرفتي، وهي الثانية عن يمين السلم.

بنتيلا : (فزعا وقد شاهد ماتي يرفع الحقيبة) لكن يا إيفا ليس هذا لطيفا منك. إنك لا تســتطيعين أن تمنعي أباك من العطش. وأني لأعــدك بإفراغ زجاجة في هدوء مع الطباخة أو الخادمة وفردريك، وهو الآخر عطشان: كوني إنسانية.

إيفا : لقد بقيت ساهرة حتى أمنعك من إيقاظ الطباخات من نومهن.

بنتيلا : أنــا واثق أن الســيدة كلنكمن- أيــن هي الآن؟ تود أن تمضــي بعض الوقت معي، وفردريك متعب، لهذا يمكنه الذهاب لينام. وأنا أتحدث مع السيدة كلنكمن،



وكانت نيتي معقودة على هذا، وكلانا يستلطف الآخر دائما.

إيفا : كن هادئاً، أرجوك. إن السيدة كلنكمن كانت غاضبة لأنك حضرت متأخرا ثلاثة أيام. وأشك في أنك ستستطيع رؤيتها غدا.

بنتيلا : سأقرع بابها، وسأرتب كل شيء. وأنا أعرف كيف أعاملها! أما أنت فلا تحسنين من هذا الأمر شيئا يا إيفا.

إيفا : ما أعلمه على كل حال هو أنه لا توجد امرأة تود أن تبقى معك وأنت في الحال التي أنت عليها! (مخاطبا ماتي) أنت، احمل هذا الحقيبة إلى فوق! وكفتني أيام التأخير الثلاثة.

بنتيلا : إيفا! كوني عاقلة. إذا كنت تريدين مني ألا أصعد، فاذهبي وأحضري المرأة البدينة القصيرة وأعتقد أنها ربة البيت، فلي كلام معها.

إيفا : بابا، لا تتجاوز الحدود، إذا كنت لا تريد مني أن أحمل بنفسي الحقيبة إلى أعلى وربما تفلت من يدي إهمالا.

(بنتيلا ينهض فزعا. ماتي يحمل الحقيبة. إيفا تتبعه ببطء).

بنتيلا : (بهدوء) هكذا تعامل البنت أباها! (يلتفت ويعود ويصعد في السيارة): فردريك! اركب!

القاضي : ماذا تريد أن تفعل يا يوهان؟



بنتيلا : سأرحل من هنا. أنا هنا غير مبسوط. انظر! أصل متأخرا في الليل. وتأمل كيف أستقبل بأذرع مفتوحة! هذا يذكرني بحكاية الابن الضال يا فردريك، لكن لم يذبحوا من أجلي العجل السمين، ولم أتلق غير اللوم. أنا راحل.

القاضي : إلى أين؟

بنتيلا : لا أفهم بأي وجه تسألني هذا السؤال. ألا ترى كيف أن ابنتي ابنتي أنا، تحرمني من الشراب؟ لابد لي أن أجري في الليلة لأعثر على زجاجة أو اثنتين.

القاضي : كن عاقلا يا بنتيلا. لن تستطيع الحصول على الشراب في الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل. ثم إن بيع الشراب بدون تذكرة الطبيب ممنوع بحسب القانون.

بنتيلا : وأنت أيضا تتخلى عني؟ لن أحصل على شراب مرخص، قانونا هكذا تقول؟ سأريك كيف أستطيع الحصول عليه، على الشراب المرخص، في النهار أو في الليل.

إيفا : (تعود، تنادي من السلم) انزل من السيارة فورا يا بابا.

بنتيلا : أنت عاقلة يا إيفا، وتكرمين أبويك ليعيشا طويلا في هذه الدنيا! (يعتدل غاضبا في سيارته) يا له من بيت جميل، تترك فيه أمعاء الضيوف لتجف على



الحبال! ولن أحصل على امرأة! سأريك إذا كنت لن أحصل عليها، وفي وسعك أن تقولي للسيدة كلنكمن إنني متنازل عن الاجتماع بها. إنني أعدها مثل العذراء المجنونة التي لا زيت في مصباحها. والآن، لندس على البنزين إلى آخر درجة ولتتزلزل الأرض، ولتستقم كل المنحنيات خوفا وفزعا! (يخرج بسرعة بالسيارة وهي تسير إلى الخلف)

إيفا : (تخاطب ماتي، وهي تنزل السلم) امنع السيد، امنعه.

ماتي : (يظهر خلفها) فات الوقت. إنه سريع جدا.

القاضي : أظن أني لن أنتظره. فإني لست بعد شابا، يا إيفا. لن يحدث له شيء، وهو رجل محظوظ دائما. أين غرفتي؟

(يصعد)

إيفا : الثالثة في أعلى السلم. (مخاطبة ماتي) والآن علينا أن نبقى هنا لمنعه من تناول الشراب مع الخدم والاختلاف معهم.

ماتي : هذه الألوان من الاختلاط والألفة مؤذية دائما. لقد عملت في مصنع ورق. ثم ماذا؟ طلب البواب إعفاءه من العمل لأن المدير سأله عن حال ابنه.

إيفا : إنهم يستغلون أبي باستمرار، لأن فيه نقطة ضعف وهي أنه طيب القلب أكثر من اللازم.



ماتي : نعم، لحسن حظ من يخالطونه أنه يشرب في بعض الأحيـــان، وهنالك يصبح رجلا ممتـــازا، وتتراءى له فئـــران بيض يود أن يربت عليها ويلاطفها، إذ يصير في غاية الطيبة.

إيفا : لا أحـــب أن تتكلم عن ســـيدك بهذه اللهجة. وأريد منـــك ألا تأخذ ما يقوله، مأخذ الجد، مثلا ما يقوله عن الملحق. ولا أريد أن تشـــيع بين الناس ما يقوله على سبيل المزاح.

ماتي : إن الملحق ليس رجلا؟ ومن هو الرجل؟ الآراء كثيرة حول هـــذا الموضوع! لقد كنت فـــي خدمة صاحبة مصنع شـــراب ، ولهـــا بنت. وذات يـــوم نادتني هذه البنـــت وهي فـــي الحمام لأحضر لها برنســـا، لأنها كانت محتشـــمة جـــدا. قالت: «أحضر لي برنســـا!» وكانت واقفة وتشـــبه كف اليد، أردفت: «ربما يراني الناس وأنا أغوص في الماء».

إيفا : لا أفهم ماذا تقصد بهذا.

ماتي : لا أقصد شـــيئا. إنما هو مجـــرد كلام لقتل الوقت ولإجـــراء الحديـــث. وأنا حين أتكلم مع ســـادتي، لا أقصـــد أن أقول شـــيئا على الإطـــلاق وليس عندي أي رأي، لأنهـــم لا يحتملون هذا من المســـتخدمين عندهم.

إيفا : (بدل صمت قصيـــر) الملحق رجل معتبر جدا في السلك الدبلوماسي، وأمامه مستقبل زاهر، هذا أمر

أحب أن يعرفه الجميع. إنه من أحسن الرؤوس في الجيل الجديد.

ماتي : فاهم.

إيفا : وما أردت أن أقوله منذ قليل هو فقط إنني لم أستمتع كما ظن والدي. على كل حال، أن يكون الإنسان مسليا، أو غير مسل، فهذا أمر لا أهمية له.

ماتي : عرفت شخصا لم يكن مسليا أبدا، ومع ذلك فقد استطاع أن يربح مليونا في تجارة الزبدة الحيوانية والنباتية (المارجرين) والدهنيات.

إيفا : مشروع خطبتي قديم. وقد عرف كل منا الآخر وكلانا طفل. وربما أن مزاجي حاد سريع جدا، ولهذا فإني أملّ بسهولة.

ماتي : إذن أنت مترددة في الخطبة.

إيفا : لم أقل هذا. ولا أفهم لماذا لا تريد أن تفهمني. لابد أنك متعب. فلماذا لا تذهب لتنام؟

ماتي : أريد أن أكون في صحبتك.

إيفا : لا داعي لهذا. أردت أن أقول فقط إن الملحق رجل ذكي رقيق الحاشية. لا ينبغي الحكم عليه من مظهره. ولا تبعاً لما يقوله أو يفعله. وهو شديد الحرص على إرضائي ويستبق كل رغباتي. ولم يصدر عنه أي كلمة نابية أو أي حركة تتجاوز حدود الأدب. وليس هو من



النوع الذي يتباهى ويختال عُجْباً أمام النســاء. وإني أقدره كثيراً. لكن ربما أنت في حاجة إلى النوم.

ماتي : اســتمري... إذا كنت أغلق عينــي، فذلك من أجل تركيز انتباهي وإصغائي.

(٣)

خطيبات بنتيلا الصباحية

(الصباح الباكر في القرية. بيوت صغيرة من الخشب. على واحد منها مكتوب: «بريد»، على ثان: طبيب بيطري، وعلى ثالث «صيدلية» وفي وسط الميدان عمود تلغراف. اصطدم بنتيلا بعربة الأستوديبيكر في العمود وراح يسبه)

بنتيلا : افسحوا الطريق في تفستلاند! مكانك في الصف، أيهــا العمود القــذر، ولا تعترض طريــق بنتيلا! من أنت؟ هل عندك غابة، وقطعان ماشــية؟ إذن، انظر جيــدا، تقهقر! لو كلمت في التلفون مدير الشــرطة وطلبت إليه أن يعتقلك بتهمة أنك قرمزي، فســتندم على هذا. (ينزل من السيارة.) كان عليك أن تتحرف منذ مدة!

(يذهب إلى أحد البيوت الصغيرة ويقرع النافذة. أما Emma المهربة تلقي نظرة من النافذة).

بنتيلا : صباح الخير يا ســيدتي العزيزة. كيف كان نومك،



يا سـيدتي العزيـزة؟ أريد أن أقول كلمتين للسـيدة العزيزة أنـا المالك بنتيلا من لمـى Lammi وأنا شـارد فريسة لأقسـى أنواع العذاب: ذلك أنني في حاجة إلى كحول مرخص به من أجل بقراتي المصابة بالحمـى القلاعية. فأين أجد في قريتك هذه منزل الطبيب البيطري وإذا لم تدليني على منزل الطبيب البيطري فسأنسف كوخك هذا نسفا.

إما المهربة : سـيدي! لماذا كل هذا الغضب؟ ها هو ذا أمامك، منزل الطبيب البيطري. لكني أظن أنك تريد شرابا؟ أنـا عندي شـراب جيد عظيـم، وأنا التـي أصنعه بنفسي.

بنتيلا : إليـك عني، أيتهـا المرأة! كيـف تجرؤين على أن تعرضي عليّ شـرابا غير مرخص به؟ أنا لا أشـرب إلا من الشراب المرخص به، أما الآخر فلا ينزل في حلقي. الموت أفضل من مخالفة القوانين الفنلندية؟ إنـي أمتثل لها بـكل دقة. وحين يحلو لـي ان أنهال ضربا بالسوط على أحد، فإني أفعل ذلك في حدود القانون، وإلا فلا.

إما المهربة : يا سـيدي العزيـز، إن شـرابك المرخص به هذا سـيجلب لك الأمراض. (تختفي فـي البيت. بنتيلا يهرع إلـى بيت الطبيـب البيطري ويـدق الجرس. الطبيب البيطري يتطلع في الخارج).

بنتيلا : يا حضـرة الطبيب البيطري، يـا حضرة الطبيب



البيطـري، أخيرا وجدتك! أنا المالك بنتيلا من لمّى Lammi، وعندي ٩٠ بقرة، وهذه البقرات التسعون مصابة بالحمى القلاعية. ولهذا فأنا في حاجة فورا إلى شراب مرخص به.

الطبيب البيطري : أخطأت العنوان، استمر في طريقك يا رجل!

بنتيلا : أيها الطبيب البيطري، أنت خيبت أملي. لست طبيبا بيطريا حقا، وإلا لعرفت ماذا يعطي لبنتيلا في كل تفستلاند Tavustland حينها تصاب أبقاره بالحمى القلاعية. إني لا أكذب. لو قلت إن عندها رُعاماً، لكان ذلك كذبا، لكن حين أقول إنها مصابة بالحمى القلاعية، فهذا سيم متفق عليه بين الناس الأفاضل.

الطبيب البيطري : وإذا كنت لا أفهم السيم؟

بنتيلا : حينئذ ربما أقول إن بنتيلا هو أكبر متشاجر في تفستلاند. وتوجد أغنية في هذا الموضوع. وضميره مثل من قبل ثلاثة أطباء بيطريين. هل فهمت الآن، يا سيدي الدكتور؟

الطبيب البيطري : (ضاحكا) نعم، الآن فهمت. إذا كنت رجلا بكل هذه القوة، فستحصل على التذكرة. لو كنت فقط متأكدا من أن الأمر يتعلق فعلا بالحمى القلاعية.

بنتيلا : يا دكتور، إن عليها بقعا حمراء، بل واثنتان منها عليهما بقع سوداء. أليست هذه هي أخطر مراحل



هــذا المــرض؟ والصداع الــذي يصيبهــا ويجعلها تهيم طول الليــل دون أن تنام، ودون أن تفكر إلا في خطاياها؟

الطبيب البيطري : فــي هذه الحالة، فإن واجبي طبعا هو أن أهيئ لها الراحة وأن أخفف عنها.

(يرمي له بتذكرة طبية).

بنتيلا : ابعث كشــف الحســاب إلى لاميّ، بعنــوان ضيعة بنتيلا.

(يهرع بنتيلا إلى الصيدلية ويدق الجرس بعنف. وأثناء انتظاره، تخرج إمّا Emma المهربة من بيتها الصغير).

أما المهربة : (تغني وهي تغسل الزجاجات):

فــي مــوســم قــطــف الــبــرقــوق
ظــهــرت فــي الــقــريــة مــركــبــة
فــي الــصــبــح الــبــاكــر، قــد جــاء
مــن صــوب شــمــال غــرنــوق

(تدخل بيتها. من نافذة الصيدلية تنظر فتاة الصيدلية).

فتاة الصيدلية : لا تقلع الجرس!

بنتيلا : قلع الجرس أهون مــن الانتظار! كوت، كوت كوت، تب، تب، تب! أريد شرابا لتسعين بقرة، أيتها الجميلة البضة!



فتاة الصيدلية : أعتقد أنك تحتاج مني أن أدعو الشرطي.

بنتيلا : يا بنية، يا بنية! الشرطة لرجل مثل بنتيلا الذي من لمّي! ما الفائدة في شرطي واحد؟ يلزم على الأقل شرطيان. لكن لماذا الشرطة؟ أنا أحب الشرطة، إن لهم أكبر أقدام في العالم، وخمسة أصابع في كل رجل، لأنهم يحافظون على النظام، وأنا أحب النظام (يعطيها تذكرة الطبيب).

وهذا، يا حمامتي، هو القانون والنظام!

(فتاة الصيدلية تذهب لإحضار الشراب. وبينما بنتيلا ينتظر، وتعود إمّا Emma المهربة وتقف أمام منزلها).

إمّا المهربة (تغني):

في موسم قطف البرقوق

استلقى الرجل على العشب

لحيته كانت في شقره

وغدا يستطلع ما حوله

(تعود إلى بيتها. فتاة الصيدلية تحضر الشراب)

فتاة الصيدلية : (تضحك) هذه زجاجة. وأرجو بعد هذا أن تجد لبقراتك ما يكفيها من سمك الرنجة.

(تعطيه الزجاجة)

بنتيلا : جلوك، جلوك، جلوك! يا لها من موسيقى فنلندية،



أعــذب ما في الدنيا يا إلهي! لقد كنت على وشــك أن أنســى... عندي الآن شــراب ولكــن ليس عندي نســاء! وأنت عندك شراب وليس عندك رجل! أيتها الصيدلانية الجميلة، أود أن أعقد خطبتي عليك!

فتاة الصيدلية : شــكرا يا ســيد بنتيلا الــذي من لامــيّ، لكني لا أعقد خطبتي إلا بالطريقة القانونية، بخاتم وجرعة شراب.

بنتيلا : موافــق، ما عليك إلا أن تعقدي خطبتك عليّ. لكن لا بــد لــك أن تعقدي خطبتك، فقــد آن الأوان منذ مدة. كيف عشــت حتــى الآن؟ قولي لــي، حدثيني كيف عشت؟ لابد لي من معرفة ذلك لأعقد خطبتي عليك.

فتاة الصيدلية : أنا؟ هذه هي حياتي: درســت في المدرسة طوال أربع سنوات، والصيدلي يدفع لي مرتبا أقل من مرتب الطباخة. ونصف مرتبي أرســله إلى أمي التي تقيم في تفستهوس Tavasthus وفي قلبها ضعف، وأنا أيضــا قلبي ضعيف بالوراثة عنهــا. وأقوم بالخدمة الليليــة ليلة كل ليلتين. وزوجــة الصيدلي غيور لأن الصيدلي يعاكســني. والطبيب خطه رديء، ويحدث أحيانا أن أخلط بين التذاكر الطبية. والأدوية تحرق الملابــس، يضاف إلى هذا كلــه أن الملابس غالية جدا. ليــس لي أصحاب، فرئيس الشــرطة، ومدير الجمعيــة التعاونية الاســتهلاكية وصاحب المكتبة



كلهم متزوجون. لا أجد الحياة سارة.

بنتيلا : أرأيـــت؟ إذن رتبي أمورك مع بنتيلا. هيا اشـــربي جرعة.

فتاة الصيدلية : لكن أين الخاتم؟ لا بد من جرعة شراب وخاتم.

بنتيلا : أليس عندك حلقات ستارة؟

فتاة الصيدلية : هل تريد واحدة أو أكثر؟

بنتيلا : حلقـــات كثيرة، فواحـــدة لا تكفـــي. كذلك فتيات كثيرات. لا بد من كثير لبنتيلا. ففتاة واحدة بالنسبة إلى بنتيلا ليست بشيء. فاهمة؟ (بينما فتاة الصيدلية ذهبت لتبحث عن حمالة ســـتارة، تخرج إمّا المهربة مرة أخرى من بيتها).

أمّا المهربة (تغني):

أثـــنـــاء طـبـيـخ الـبـرقــوق
انـطــلــق المـــــازح فـــي المـــزح
مـبـتـسـمـا يـــولـــج اصـبـعـه
فـــي أعـــمـــق أعـــمـــاق الـــقـــدر

(فتاة الصيدلية تعطي بنتيلا حلقات حمالة الستارة)

بنتيلا : (وهو يضع في إصبعها حلقة) تعالي إلى بنتيلا يوم الأحد القادم، فستعقد خطبات رسمية.



(يستمر في طريقه. راعية البقر ليسو Lisou تجيء ومعها جردل لبن).

بنتيلا : قفـــي، يا يمامتي! إنـــي أريدك! إلى أين أنت ذاهبة في هذا الصباح الباكر؟

راعية البقر : لحلب البقرات.

بنتيلا : كيــف، أليس لديك غير الجردل بين ســاقيك؟ ألا تريدين زوجــا؟ يا لها من حياة تلــك التي تحيينها! قصيّ عليّ قصة حياتك، فأمرك يهمني.

راعية البقر : هذه هي حياتي: أصحو في الساعة الثالثة والنصف صباحا لإزالة الروث من الإســطبل وتمشيط البقر. بعــد هذا عليّ أن أحلب، ثم أن أغســل جرادل اللبن بالصودا وأشياء حامضة، وهذا يحرق الأيدي. وعليّ بعد ذلك أيضا حمل الروث، وبعد ذلك أشرب القهوة، لكنهــا قهوة رديئة جدا. وآكل قطعة خبز، وأنام نومة خفيفة. وبعــد الظهر أطبخ بطاطــس بالمرقة، أما اللحــم فــلا أراه أبدا. وفي بعــض الأحيان تعطيني المســتأجرة بيضــة، أو أعثر أنا علــى بيضة. وبعد هذا يســتأنف نفس العمل: أكنس الروث، وأمشــط البقر، وأحلب وأغســل أوعية اللبن. وعليّ أن أحلب ١٢٠ لترا في اليوم. وفي العشــاء أتناول خبزا ولبنا، ولي الحق في لترين في اليوم، لكن إذا أردت أشــياء غير هذه، فعليّ أن أشــتريها من المزرعة. وأحصل علــى إجازة يــوم الأحد من كل خمســة آحاد. لكني



في المســـاء أذهب غالبا للرقص، وإذا تدخل ســـوء الحظ، التقطت ولدا. وعندي فستانان، وعندي أيضا دراجة.

بنتيلا : وأنا عندي مزرعة وطاحونة بخارية وورشـــة لنشر الأشجار، لكن ليس عندي امرأة! فهل يناسبك هذا، يـــا حمامتي! هـــاك خاتما، وستشـــربين جرعة من الزجاجة، ويتم كل شيء. تعالي إلى بنتيلا يوم الأحد القادم. موافقة؟

راعية البقر : موافقة!

(بنتيلا يواصل طريقه)

بنتيلا : لنستمر في نزول الطريق. وعندي شوق إلى معرفة من هو الذي اســـتيقظ في هذه الساعة المبكرة. إن من العسير مقاومة إغرائهن حين ينهضن من السرير وعيونهن ترف بالخطيئة، والعالم لا يزال شابا.

(يصل إلى مبنى البريد والبرق والهاتف. وهناك يجد ساندرا، عاملة التلفون).

بنتيلا : صباح الخير، أيتها الســـاهرة! أنت المرأة العليمة ببواطـــن الأمور، عاملـــة التلفون الصغيرة! ســـلام عليك!

عاملة التلفون : صباح الخير، يا سيد بنتيلا. ماذا جرى لك في هذا الصباح الباكر؟



بنتيلا : أنا أبحث عن امرأة.

عاملة التلفون : أهو أنـــت إذن.. لقد طلبتك بالتلفون مرات عديدة طوال الليل.

بنتيلا : نعـــم، أنت عارفة بكل شـــيء. وأنت أمضيت نصف الليلـــة ســـاهرة وحدك. وأود أن أعـــرف أي نوع من الحياة تحيين.

عاملة التلفون : أستطيع أن أذكر هذا لك، ها هي ذي حياتي: أتقاضى ٥٠ ماركا، لكن منذ ثلاثين سنة، وممنوع عليّ مغادرة المكتب. ووراء المبنى قطعـــة أرض صغيرة لزراعة البطاطس، وأنا أستخرج منها ما يكفيني، لكن لا بد لـــي إلى جانب هذا من أن أدفـــع ثمن الرنجة، ثم إن ســـعر البن يزيد باستمرار. وأعرف كل ما يجري في القرية وفي خارجها أيضا، وســـتدهش مما أعرف. ولهذا الســـبب لم أتزوج. وأنا الأمينـــة العامة للجنة العمـــال، وكان أبي إســـكافيا. توصيـــل المكالمات التلفونيـــة، وحمـــل رقائق بالبطاطـــس، ومعرفة كل الأخبار- تلك هي حياتي.

بنتيلا : آن الأوان لتغييرها. وبسرعة. ابعثي برقية في الحال إلـــى المكتب المركزي وقولي فيها إنك ســـتتزوجين بنتيلا من لاميّ! وهذا هو الخاتم، وهذه هي القطرة، وكل شيء على ما يرام، ويوم الأحد القادم تأتين إلى بنتيلا.

عاملة التلفون : (ضاحكـــة) ســـأحضر. وأنا أعرف أنك ســـتحتفل

بخطبة بنتك.

بنتيلا : (مخاطبــا إمّا المهربة) لقــد فهمتني: أنا أخطب هنا خطوبة جماعية يا ســيدتي العزيــزة، وآمل ألا تتخلفي.

امّا المهربة وفتاة الصيدلية (يغنيان):

- وأكـلـنـا مـربـى الـبـرقـوق
لـكـن المـــازح قــد رحــلا
لــم نـنـس الــولــد الـغـرنـوقـا
أبــدا لــم نـنـس الـغـرنـوقـا

بنتيلا : حســن. ســأواصل ســيري، ومتجاوزا المستنقع، والغابــة، حتى أبلغ ســوق الاســتخدام[1] في الوقت المناســب. كوت، كوت، كوت، تب، تــب، تب! لتحيا فتيات تفســتلند اللواتي كن يســتيقظن منذ الفجر من أجل لا شــيء! لكن جاء بنتيلا، وســينال كل هذا جــزاءه! تعالــي، أنتــن اللواتي تشــعلن الأفران في الصباح وتجعلن الســقوف ينبثق منهــا الدخان! إن العشــب النضر ســيعرف أرجلكن العارية وسيسمع وقعها بنتيلا!

(١) أي السوق التي يعرض فيها الخدم والعمال ومن يتولون تشغيلهم في خدماتهم لمن يريدون استخدامهم.



(٤)

سوق الاستخدام

(سوق الاستخدام في ميدان مدينة لاميّ. بنتيلا وماتي يختاران فعلة. موسيقى ريفية، أصوات عديدة).

بنتيلا : لقد عزّ عليّ أنك تركتني أرحل وحدي من كوركلا، لكن الشيء الذي لست على استعداد لنسيانه هو أنك لم تسهر حتى أعود، وأنه كان عليّ أن أقتلعك من الفراش للذهاب إلى سوق الاستخدام. مثلك مثل الحواريين على جبل الزيتون! ويل لك! الآن عرفت أنه يجب عليّ أن أراقبك. لقد شربت كأسا أكثر مما ينبغي، وإذا بك تستغل هذا لتسير وفق أهوائك.

ماتي : نعم، يا سيد بنتيلا.

بنتيلا : لا أريد الشجار معك، فأنا متضايق جدا. وأقول هذا لمصلحتك، فلا تحزن لهذا، كن متواضعا. يبدأ الأمر بالتشهي، وينتهي في المطبخ. الخادم الذي يتحرق حسدا أمام طعام سادته، هذا أمر لا يحتمل. أما الشخص الذي يضبط نفسه، فإنهم يحتفظون به. وإذا شوهد أنه يستهلك نفسه في العمل، يغمضون أعينهم. لكن إذا أراد الراحة طوال الوقت وأراد لحوما مقلية كشراب مثل أغطية «الكابينيه»، فإنه يثير الاشمئزاز ويطرد من البيت! لكن لا تفهم الأمر على هذا النحو.



ماتي : نعم، يا سـيد بنتيـلا. ذات مرة قـرأت في ملحق الأحـد لجريدة «هلسـنكي سـانومات» أن التواضع علامة التهذيب. وحين يكون المرء متحفظا وضابطا لشهواته، فإنه يحقق غايات بعيدة. ويقال إن كوتيلاينن Kotilainen وهو صاحب ثلاثة مصانع ورق بالقرب من فيبرج Viborg هو التواضع مجسداً. هل نقوم الآن بالاختيار، قبل أن يستولوا على أحسن العمال؟

بنتيلا : أريد رجالا أشـداء. (ينظر إلى شخص طويل قوي البنية). لا بأس به، هذا. وقامته مناسبة. لكن أقدامه لا تعجبني. أنت تحب الجلوس، أليس كذلك؟ ذراعاه ليسـتا أطول من ذراعي الآخر، وهذا مع ذلك أقصر منه: وذاك، ذراعاه طويلتان جدا! (مخاطبا القصير) في مناجم الفحم النباتي، كيف تشتغل؟

رجل بدين : ألا ترى أنني أتفاوض مع هذا الرجل؟

بنتيلا : وأنا أيضا أتفاوض معه، وأرجوك ألا تزعجنا.

الرجل البدين : من الذي يزعج الآخر؟

بنتيلا : لا أسمح بالأسئلة الوقحة، فأنا أتضايق جدا منها. (مخاطبـا العامل) في بنتيلا أنا أعطي نصف مارك على اسـتخراج المتر المكعب من الفحـم النباتي. يمكنك الحضور يوم الإثنين. ما اسمك؟

الرجل البدين : يـا للوقاحـة! أنا هنـا أناقش في كيفية إسـكان هذا الرجل هو وأسـرته، وتجـيء أنت لتصطاد في



مائي. هناك ناس ينبغي ألا يسـمح لهم بدخول هذه السوق.

بنتيلا : آه، عنـدك أسـرة؟ عندي عمل للجميـع، زوجتك يمكنها العمل في الحقـول، هل هي قوية البنية؟ كم عدد أولادك، وما عمرهم؟

العامل : ثلاثة. ثماني، وإحدى عشـرة، واثنتا عشـرة سنة. وأكبرهم بنت.

بنتيلا : ستشـتغل فـي المطبخ. كأنكم خلقتـم من أجلي. (مخاطبا ماتي، بحيث يسمع الرجل البدين) هل ترى كيف يتصرف الناس في هذه الأيام؟

ماتي : هذا يقطع نفسي.

العامل : والمسكن؟

بنتيلا : مسـكن أمراء! سأنظر في صحيفة عملك وأنا في المقهى. قف هناك بحذاء الحائط! (مخاطبا ماتي) والآخر الذي هناك سـآخذه لقامته، لكن سـرواله جميل جدا، وهذا لا يناسب. لابد من توجيه الاهتمام إلى الملابس: إذا كانت جميلة جدا، فإن صاحبها لا يريد إفسـادها بالشغل، وإذا كانت رديئة جدا، فإنها تكشـف عن سـوء الخلق. أنا أحكم على الشـخص بنظـرة واحدة. ولا تهمني السـن، فإن كبار السـن يقومون بالعمل مثل الشباب، إن لم يكن أحسن منهم، وهم لا يريدون أن يطردوا. المهم عندي هو الرجل.



يكفي ألا يكون معوجا تماما. أما الذكاء فلا أحرص عليه أبدا، لأنهم في هذه الحالة يقعدون ويحسبون ما قاموا به من ساعات عمل، وأنا لا أحب هذا. بل أريد أن أكون على علاقات صداقة مع الذين في خدمتي! ولقد أردت أيضا الحصول على راعية بقر، أنا أتذكر هذا. لكن قبل هذا، ابحث لي عن عامل آخر أو اثنين حتى يكون أمامي مجال للاختيار. ولابد لي أن أتكلم في التلفون (يتوجه نحو المقهى. ماتيّ يتوجه إلى عامل أنمش) نحن في حاجة إلى عامل في بنتيلا، من أجل استخراج الفحم النباتي. أنا لست إلا السائق، وليست لي كلمة في الموضوع، والرجل قد ذهب للتكلم في التلفون.

العامل الأنمش : كيف حال الشغل في بنتيلا؟

ماتي : متوسط. أربعة لترات لبن في اليوم، وهذا حسن. كذلك هم يعطونك بطاطس، بحسب ما قيل لي. والغرفة ليست كبيرة.

العامل الأنمش : وكم المسافة بينها وبين المدرسة؟ إن عندي بنتا.

ماتي : مقدار ساعة وربع مشي.

العامل الأنمش : هذا ليس شيئا إذا كان الجو جميلا.

ماتي : لكن في الصيف لا.

العامل الأنمش : (بعد لحظة صمت) هذه الشغلة أريدها، وأنا لم أجد حتى الآن أفضل منها، وستغلق السوق بعد قليل.



ماتي : سأكلمه. سأقول له إنك متواضع، فهو يحب هذا، وأنك لست معوجا، وسيكون في تلك الأثناء قد فرغ من محادثته التلفونية وسيكون ألين عريكة. ها هو ذا.

بنتيلا : (وهو منشرح الصدر، يخرج من المقهى) هل وجدت شيئا؟ لا بد لي أيضا من شراء خنزير لبني في حدود ١٢ ماركا، أنا أذكر هذا.

ماتي : هذا الرجل لا بأس به. لقد تذكرت ما قلته لي وسألته بعض الأسئلة. هو يحسن رفو السراويل (البنطلونات)، لكن لم يكونوا يعطونه خيطا.

بنتيلا : هو يعجبني، إنه مملوء حماسة وحرارة. إنه شعلة. تعال إلى المقهى، سنتفاوض.

ماتي : لا بد من الانتهاء من هذا فورا، يا سيد بنتيلا، لأن السوق ستقفل بعد قليل، لن نجد شيئا آخر.

بنتيلا : ولماذا لا ينتهي الأمر، بين الأصدقاء؟ سأوكل الأمر إلى نظرتك يا ماتي، وأنا مطمئن. أنا أعرفك وأقدرك. (مخاطبا عاملا بائسا) وهذا رجل ربما لا بأس به، فإنه تعجبني نظرته. أنا محتاج إلى ناس للعمل في استخراج الفحم النباتي، ومحتاج كذلك لمن يشتغلون في الحقول. تعال، سنتكلم في الموضوع.

ماتي : يا سيد بنتيلا، لا أريد التدخل في هذا الأمر، لكني



أقول إنه لا يصلح لك، لأنه لن يتحمل الشغل.

العامل البائس : هذا كثير. من أين عرفت أنني لن أتحمل الشغل؟

ماتي : إحدى عشرة ساعة ونصف ساعة شغلا في الصيف أردت فقط أن أجنبك خيبة الأمل، يا سيد بنتيلا. وعليك بعد هذا أن تطرده إذا لم يتحمل الشغل، أو تراه غدا.

بنتيلا : هيا بنا إلى المقهى!

(العامل الأول، والعامل الأنمش، والعامل البائس يتبعون بنتيلا وماتي أمام المقهى، ويجلسون جميعا على مقعد طويل).

بنتيلا : هات قهوة! قبل أن أبدأ، يجب أن أنتهي من مسألة مع صديقي. ماتي، لقد لاحظت أنني أوشكت أن أصاب بنوبة من نوباتي (أنت تعرف، فقد أخبرتك بها). لو أنك ضربتني ضربة محكمة لما كلمتك وأنا في مثل تلك الحالة، لكنت قد فهمت تصرفك تماما. فهل تصفح عني يا ماتي؟ إذ من المستحيل عليّ أن أتفرغ لهذه المسألة وأنا أعرف أنه بقي شيء فيما بيننا.

ماتي : لقد نسيت هذا منذ مدة طويلة. والأفضل ألا ننشغل بهذا بعد. إن هؤلاء الرجال يريدون الحصول على عقود عمل معك، إذا أردت أن نبدأ بهذا.

بنتيلا : (يكتب على بطاقة فيما يخص العامل الأول) أنا فاهم ما تريد أن تقوله يا ماتي. أنت تتصرف عني

وفي نفسك شـــيء. وتتخذ معي اللهجة الباردة التي ينبغي اتخاذها في الشغل. (مخاطبا العامل الأول) أنا أســجل ها هنا ما اتفقنا عليه، وبالنسبة إلى زوجتك أيضا. أنا أزودك باللبن والدقيق، وفي الشتاء أزودك بالباقلاء.

ماتي : والآن، العربون، وإلا لا يكون هناك عقد.

بنتيلا : لا تدفعنـــي. دعنـــي أشـــرب قهوتـــي فـــي هدوء. (مخاطبـــا الخادمة) هاتي قهـــوة أخرى، أو بالأحرى هاتـــي كنكـــة قهوة كبيرة، وســـنصب نحن لأنفســـنا بأنفســـنا. تتطلع في هذا الشـــخص العجيب! أنا لا أحب سوق الاســـتخدام هذه. حين أريد شراء خيول أو أبقار، أذهب إلى الســـوق مستريح البال. أما أنتم فأنتم رجال! وتباعون وتشترون كالسلعة في السوق؟ ينبغي ألا يكون هذا! أليس هذا صحيحا؟

العامل البائس : مؤكد.

ماتي : اسمح لي يا سيد بنتيلا أن أخالفك في هذا الرأي. هـــؤلاء يبحثون عن عمل، وأنت تعرض عليهم العمل: وهذا تعامل تجاري. فأن يتم هذا في الســـوق أو في الكنســـية فهو سوق على كل حال. وأود أن ننتهي من هذا بسرعة.

بنتيلا : أنت رديء حقا اليوم، بمعارضتي في أمر كهذا واضح كل الوضوح! هل أنت تتطلع فيّ أنا، لتعرف كيف صنع قدماي، كما تفحص فرسا بأن تفتح فمه؟



ماتي : (يضحــك) كلا، أنا آخــذك وأنا واثــق كل الثقة! (يتحــدث عن العامل الأنمش): هــذا له زوجة، لكن بنته لاتزال تذهب إلى المدرسة.

بنتيلا : هــل هي لطيفــة؟ انظر، ها هــو ذا الرجل البدين مــرة أخرى. مجــرد طريقته في المشــي تجعل دم العمال يغلي، لأنه يتخذ سمت السيد دائما. وأراهن أنــه في الميليشــيا الوطنية وأنه يرغــم رجاله على القيام بالتمرينات العسكرية يوم الأحد تحت إمرته، ليحاربوا الروس. ألا تعتقد هذا؟

الرجل الأنمش : زوجتي تســتطيع الغسل. وتســتطيع أن تؤدي منه في نصف نهار ما لا تستطيعه غسالة أخرى في يوم كامل.

بنتيلا : يــا ماتي، أنا ألاحظ أنه لم ينس كل شــيء ويدفن فيمــا بيننا! احــك لهم حكايتك عن الأشــباح فإنها ستفرحهم.

ماتي : فيما بعد. لننته أولا من العربون! الوقت تأخر، قلت لك. أنت تضيع وقتهم.

بنتيلا : (يشرب) لا. لا أريد أن أصير غير إنساني. أريد أن أقترب من رجالي قبل أن يرتبط كل منا بالآخر. عليّ أن أقول لهم أولا أي نوع من الرجال أنا، ليعرفوا هل سيكونون على وفاق معي. المسألة كلها تتوقف على هذا: أي نوع من الرجال أنا؟



ماتي : يا سـيد بنتيلا، اسـمح لي أن أؤكد لك أنه لا أحد يريـد أن يعـرف هذا : إن كل مـا يريدونه هو عقد . وأنصحك بأن تسـتخدم هذا (مشيرا إلى الأنمش)، وسيحسن القيام بالمطلوب، وتستطيع أن تتحقق من هذا بنفسك. وأما أنتما فإني أنصحكما بالبحث عن عمل آخر: لأنكما لن تكسـبا ما يكفي حتى لشـراء خبز جاف إذا عملتما في استخراج الفحم النباتي.

بنتيلا : ها هو ذا سـوركلا يمر من هنـاك. ماذا يعمل في سوق الاستخدام؟

ماتي : يبحث عن شـغل. لقد وعدت القسيس بطرده لأنه يقال عنه إنه قرمزي.

بنتيلا : من؟ سـوركلا؟ المسـتأجر الذكي الوحيد من بين المسـتأجرين عنـدي؟ اذهب وأعطه فورا عشـرة مـاركات ويجب أن يحضر إلى هنا، وسـنأخذه معنا في السيارة الأسـتوديوبيكر، وسنربط دراجته بحبل فوق السيارة، ولا داعي لأن يبحث عن عمل. إن لديه أربعة أولاد هو الآخر، فماذا عسـى أن يظن بي؟ أما القسيس فيمكنه أن يذهب في داهية، إنه رجل خال من الرحمـة، ولن يضع قدميه فـي بيتي منذ الآن. سوركلا عامل ممتاز.

ماتي : سـأذهب إليه فـورا. ولا حاجة إلى الإسـراع في السـير، فإن ما اشـتهر عنه لن يمكنـه من أن يجد شـغلا. غير أني أود منك أن تنتهي مع هؤلاء الناس.



يبدو لي أنك لا تريد أن تفعل شيئا، كل ما تريده هو إزجاء الوقت.

بنتيلا : (وهو يبتسم بألم) آه، هكذا تحكم عليّ يا ماتي إذن أقــول لك إنك لم تفهمني أبدا، رغم كل الفرص التي أتحتها لك.

العامل الأنمش : ربما تســتطيع أن تكتب عقــدي الآن؟ وإلا فقد آن الوقت كي أبحث عن عمل آخر.

بنتيلا : أنت تجعل الناس يهربون أمامك، يا ماتي، تصرفاتك المستبدة ترغمني على التصرف على عكس طبيعتي. لكنـي ســأفلح في إقناعك أن بنتيلا رجل آخر. حين أشــتري رجالا، فأنا لا أفعل هذا بقلب بارد، أريد أن أعطيهم بيتا في بنتيلا، أليس كذلك؟

العامل الأنمش : إذن الأفضــل لي أن أذهــب. إذ إني في حاجة إلى شغل.

(يذهب)

بنتيلا : قف! ها هو ذا رجل. هذا رجل كان يمكنني الإفادة منه. لا يهمني بنطلونه، لأني أنظر إلى بعيد. لا أحب عقــد الصفقات حين أكون قد شــربت، ولو كأســا واحــدة. لا صفقات حين أريــد أن أغنيّ، فما أجمل الحياة ساعتئذ. حين أفكر في الطريق الذي سنسلكه للعــودة! في المســاء خصوصا أحــب أرض بنتيلا، بســبب أشجار الشربين. سأشــرب مرة أخرى. هيا



ولتشـــرب معي، ولتكن مسرورا مثل بنتيلا، أنا أحب هـــذا ولا أفكر أبدا في النفقـــات حين أكون مع قوم لطيفين. (يعطي بســـرعة لكل واحد ماركا. يخاطب العامل البائس) لا تتأثر، إنه يريد بي شرا، أنت قادر على العمل، ســـأعينك في الطاحونـــة البخارية في عمل سهل.

ماتي : ولماذا إذن لا تكتب له عقدا؟

بنتيلا : لمـــاذا؟ مادمنا صرنا متعارفين. كلمة شـــرف، كل شيء سيرتب. أتعرف معنى كلمة مالك في تفستلند؟ يجـــوز أن ينهار جبل هتلمـــا Hatelma صحيح أن هـــذا غير محتمل، ولكنه جائز على كل حال. وقصر تفســـتهوس Tavasthus يمكن أن ينهار- لكن كلمة فـــلاح في تفســـتلند تبقى راســـخة، هـــذا معروف. تستطيع أن تأتي.

العامل البائس : أشكرك يا سيد بنتيلا، سأحضر بالتأكيد.

ماتي : بدلا من الهرب! يا سيد بنتيلا، لا أحمل في نفسي شيئا ضدك، وإنما أنا أراعي أمر هؤلاء الناس.

بنتيلا : (بلهجـــة عميقـــة) هذه كلمة جميلة يـــا ماتي. كنت أعرف أنك لســـت حقـــودا. وأنا أقـــدر طيب نيتك واهتمامك الدائم بالدفاع عن مصلحتي. لكن بنتيلا يجوز له أن يســـير أحيانا ضد مصلحته، لتعلم هذا أولا. وبـــودي يا ماتـــي أن أعرف رأيك باســـتمرار. عدني بهذا. (مخاطبا الآخرين): لقد فقد عمله في



تمرســـفورس Tammersfors، للسبب الآتي: قال للمدير، وهو يســـوق وقد جعل مضابط السرعة تئز أزّاً عنيفا إنه كان الأولى به أن يشتغل جلادا.

ماتي : كانت هذه حماقة مني.

بنتيلا : (بجد) إني أقدرك بسبب مثل هذه الحماقات.

ماتي : (ينهض) لنذهب إذن. وسوركلا؟

بنتيلا : ماتي، ماتي، يا قليل الإيمان! ألم أقل لك إننا سنعود به معنا، وإنه عامل ممتاز وذو شـــخصية مســـتقلة؟ هـــذا يذكرني بذلك الرجل البديـــن الذي رأيناه منذ قليل والذي أراد أن يســـلبني رجالي. لا يزال عندي كلام أقوله له، إنه نموذج الرأسمالي الكامل.

(٥)

فضيحة في بنتيلا

(فناء ضيعة بنتيلا، مع تخشيبة للحمامات يمكن النظر إلى داخلها. الصباح. على عتبة مبنى الضيعة الطباخة لاينا Laina والخادمة فينا Fina تسمران لافتة كتب عليها: «مرحبا بكم في احتفال الخطبة». بنتيلا وماتي يأتيان من الباب الكبير مع بعض الحطابين، ومنهم سوركلا القرمزي).

لاينا : مرحبـــا بعودتك إلى بنتيلا! الآنســـة إيفا والســـيد الملحق الدبلوماســـي والسيد القاضي في المحكمة العليا قد وصلوا، وهم يتناولون طعام الإفطار.



بنتيلا : أول شـــيء أريـــد أن أفعلـــه هو أن أتقـــدم إليك يا سوركلا بالاعتذار لك أنت ولأسرتك وأريد أن أطلب منك أن تذهـــب لإحضار أولادك الأربعة جميعا، كي أعبر لهم بشـــخصي عن أسفي على ما أصابهم من جزع وقلق بسبب غلطتي أنا.

سركلا : ليس هذا ضروريا، يا سيد بنتيلا.

بنتيلا : (بجد) بلى، هذا ضروري. (يخرج ســـركلا) هؤلاء السادة ســـيبقون هنا. قدمي إليهم يا لاينا الشراب، فإني أريد استخدامهم لقطع الأشجار في الغابة.

لاينا : كنت أظن أنك تريد بيع الغابة؟

بنتيلا : أنـــا؟ لا، لن أبيـــع الغابة ابنتي عندهـــا بائنتها بين ساقيها، أليس كذلك؟

ماتي : أظن أنه يمكننا أن نعطيهم مقدم الرواتب على الفور، يا سيد بنتيلا، وبهذا تستريح من هذه المسألة؟

بنتيلا : أنا ذاهب إلى حمام الســـونا[1]. فينا Fina، قدمي الشراب إلى هؤلاء السادة، وحضري لي قهوة.

(يذهب إلى حمام السونا)

العامل البائس : هل تظن أنه سيستخدمني؟

ماتي : لا. حينما يفيق من سكره ستتبين له حالك.

---

(١) هو حمام بالبخار، شائع في فنلندة، ومنه انتقل إلى سائر بلاد العالم. ويطلق لفظ السونا على الحمام وعلى مكان الاستحمام بالبخار الناشئ عن ماء يجري على أحجار ساخنة



العامل البائس : لكنه حيـن يكون غائباً هن الوعـي لا يكتب عقدا أيضا .

ماتي : لقـد قلت لك لا تأتي إلى هنـا دون الحصول على عقد (فينا Fina تحضر، وكل عامل يتناول كأسا).

العامل : لكن كيف هو، فيما عدا ذلك؟

ماتي : كثير الألفة جدا . أنتم لا يهمكم هذا ، لأنكم ستعملون في الغابة، أما أنا ففي السيارة، تحت تصرفه، وقبل أن يتلفت يصبح إنسانيا . لا بد لي من الاستعفاء من العمل.

(سوركلا يعود ومعه أولاده الأربعة. والبنت الكبرى تحمل الولد الأصغر).

ماتي : (بصوت منخفض) بحق السـماء ألا مضيت. فبعد أن يتنـاول حمامه ويشـرب قهوته سـيفيق تماما، والويل لك إذا رآك بعـد في فناء الضيعة. أنصحك بألا تظهر في طريقه خلال الأيام القادمة. (سوركلا يشير إشارة الموافقة ويتهيأ للمضي مع أولاده).

بنتيلا : (وكان يصغي وهو يخلع ملابسـه، لكنه لم يسـمع آخر الـكلام، يلقي بنظرة خارج كابينة الاسـتحمام ويلمح سـوركلا ومعه أولاده) سأحضر إليك حالا! يا ماتـي، أدخل فأنا محتاج إليك لتصب على جسـمي الماء. (مخاطبا العامل البائس) وتستطيع أنت أيضا أن تحضر، لأني أود أن أعرفك معرفة أكبر.



(ماتي والعامل البائس يتبعان بنتيلا في كابينة الاستحمام. ماتي يصب الماء على جسم بنتيلا. سوركلا يتسرب مسرعا وهو وأولاده).

بنتيلا : يكفي إبريق، فأنا أكره الماء.

ماتي : تحمــل أباريق أخرى، ثم اشــرب بعد ذلك قهوتك ورحب بمدعويك.

بنتيلا : يمكنني أن أرحب بهم بدون هذا. أنت لا تســعى إلا لمضايقتي.

العامل البائس : أعتقد أنــا أيضا أن هذا يكفي- الســيد بنتيلا لا يتحمل الماء، هذا ظاهر.

بنتيلا : هل ســمعت يا ماتي! هكــذا ينبغي أن يكون الكلام حيــن يرغب المرء في الخيــر. حدثني كيف أوقفت الرجل البدين عند حدوده في ســوق الاســتخدام. (تدخــل فينا) آه! ها هــي المخلوقة الذهبية ومعها القهوة! هل هي غليظة؟ أريد شرابا معها.

ماتي : لماذا إذن تشرب القهوة؟ لن تحصل على شراب.

بنتيلا : أنا أعــرف، أنت لاتزال غاضبا علــيّ لأنني أترك النــاس ينتظرون، أنت على حق. لن أحكي لي حكاية الرجــل البدين. فينا تســتطيع أيضا أن تســمعها. (يحكي): ها هي ذي: كان هناك شخص سمين ثقيل ذو ملابس بزرائر، شخص رأسمالي حقيقي، أراد أن ينتزع مني عاملا. تشــاجرنا. لكــن حين وصلنا إلى ســيارتي، كانت عربته ذات الحصــان الواحد واقفة



إلــى جانب. احك الباقــي، يا ماتي، لأنــي أريد أن أشرب قهوتي.

ماتي : اشــتاط غضبــا حينما رأى الســيد بنتيلا، فأخذ سوطه وانهال ضربا على فرسه حتى جعله يجمح.

بنتيلا : وأنا لا أحتمل إساءة معاملة الحيوان.

ماتي : أخذ الســيد بنتيلا الفرس من لجامه وهدأه، وعبر للرجــل البدين عن رأيــه في الأمر. وخيــل إليّ أن هذا الرجل كان على وشــك أن يضرب السيد بنتيلا بالسوط، لكنه لم يجرؤ لأننا كنا الأكثرية. فتمتم بعض عبــارات عن الناس غير المهذبين، ولعله ظن أننا لن نســمعه. لكن أذن السيد بنتيلا تكون مرهفة حين لا يتحمل شــخصا. فســأله فورا هل هو من التهذيب بحيث يعرف أن السمين قد يموت من ضربة دم.

بنتيلا : احــك كيف صــار أحمر مثل الديــك الرومي، في غضبه لم يجد ما يجيب به أمام الناس.

ماتي : صار أحمر كالديك الرومي، وقال له الســيد بنتيلا إنه ينبغي عليه ألا يغضب وأن هذا لا يفيده بســبب شــحمه الخبيث، وأنه إذا كان أحمــرّ، فما ذلك إلا لأن الــدم قد صعد إلى فمه، وهو أمر يجب عليه أن يتجنبه إذا كان يفكر في ذريته.

بنتيلا : انتبــه! لــك أنت خاصــة قلت: «يجب عــدم إثارة أعصابه، لابد من الرأفة به». وهذا هو الذي ضايقه



خصوصا، هل لاحظت ذلك؟

ماتي : كنا نتحدث عنه وكأنه غير موجود، فازداد الناس في الضحك، وازداد هو في الاحمرار. هنالك فقط صار شبيها بالديك الرومي، أما قبل هذا فقد كان أشبه ما يكون بحجر قديم متهشم. وكان هذا لصالحه. لم يكن له أن يضرب فرسه. ذات يوم رأيت في جناح مزدحم بعربة السكة الحديد شخصا يحرك قبعته لأنه أضاع تذكرته وكان قد وضعها تحت شريطها.

بنتيلا : قطعت خيط الحكاية. قلت له أيضا إن كل مجهود عضلي، مثل ضرب الفرس بسوط، قد يؤدي إلى وفاته. ومن أجل هذا يجب عليه ألا يسيء معاملة الحيوان. وخصوصا هو.

فينا : هذا شيء لا ينبغي أبدا فعله.

بنتيلا : هذا، هذا يستحق كأسا، يا فينا. اذهبي واحضريها.

ماتي : إن لها قهوتها. لابد أنك الآن على حال أحسن. يا سيد بنتيلا؟

بنتيلا : أشعر بأن حالي ازدادت سوءا.

ماتي : ازداد تقديري حقا للسيد بنتيلا لما رأيته يلقن ذلك الشخص درسا. وكان في وسعه أن يقول لنفسه. هذا أمر لا يعنيني، ولا أريد أن أخلق لنفسي أعداء، من بين الجيران.



بنتيلا : (وهو يفيق) أنا لا أخاف من أي عدو.

ماتي : هــذا صحيح. لكن من ذا الذي يســتطيع أن يقول هذا؟ أنت وحدك. لأنك تستطيع أن تبعث بفرسانك إلى مكان آخر.

فينا : لماذا يبعث بالفرسات إلى مكان آخر؟

ماتي : لأننــي ســمعت أن هــذا الرجل البديــن هو الذي اشــترى منذ قليل ضيعة سمالا Summala، وفيها يوجد الحصان الوحيد الممكن لتلقيح فرســاتنا في منطقة محيطها ٨٠٠ كيلو متر.

فينا : آه، أهو المالك الجديد لضيعة سومالا؟ ولم تعرف ذلك إلا من بعد؟

(بنتيلا ينهض، ويمضي إلى الخلف، ويصب إبريقا آخر من الماء على رأسه)

ماتي : لم نعرف ذلك إلا فيما بعد. بل الســيد بنتيلا كان يعــرف ذلك من قبل. بل إنه صــرخ في وجه الرجل البديــن قائلا إن حصانه قد أصابه من الضربات ما جعله غير صالح بعد لفرساتنا. كيف قلت هذا إذن؟

بنتيلا : (باختصار) هكذا، كيفما اتفق.

ماتي : لا، ليس كيفما اتفق، لقد كان عجيبا هذا.

فينا : لكن ســيكون شاقا إرسال الفرســات بعيدا هكذا



للقاح.

بنتيلا : (متجهما) قهوة أخرى.

(تقدم إليه القهوة)

ماتي : حب الحيوان أهم صفة عند الفلاحين في تفستلند، فيما يظهر. ولهذا السبب فإن هذا البدين أدهشني جدا. ولقد سمعت أنه صهر السيدة كلنكمن. وأنا واثق أنه لو كان السيد بنتيلا قد عرف ذلك، لزاد في إهانته.

(بنتيلا يلقي إليه بنظرة)

فينا : هل كانت القهوة غليظة؟

بنتيلا : لا تلقي بأسئلة غبية كهذا السؤال. لقد رأيت أنني شربتها. (مخاطبا ماتي) وأنت، هناك، لا تظل واقفا هناك لا تعمل شيئا. امسح الأحذية، اغسل السيارة، لابد أنها لا تزال تشبه عربة الزبالة. لا ترد عليّ، وإذا أمسكت بك وأنت تشيع الشائعات أو تسيء الكلام عني في غيبتي، فسأسجل هذا على شهادتك، تأكد تماما من هذا.

(يذهب، كئيبا، بلباس الحمام).

فينا : ولماذا تركته يصنع صنيعه هذا مع مالك سمّالا؟

ماتي : وهل أن ملاكه الحارس؟ لو فعل فعلة كريمة شريفة، أعني حمقاء وتتعارض مع مصلحته الخاصة فهل



من شـــأني أنا أن أمنعه؟ لا أستطيع. حين يغيب عن الوعي تعتلج في نفســه نـــار حقيقية. إنه يحتقرني، وحين يغيب عن الوعي أريد ألا يحتقرني.

بنتيلا : (ينادي من الخارج) فينا!

(فينا تتبعه بملابسه)

بنتيلا : (مخاطبا فينا) اسمعي ما قررت، وإلا شوهت أقوالي كالعادة. (وهي تشير إلى أحد العمال) هذا كان بودي أن أســتخدمه، لأنه لا يحب التظاهر. ويريد الشغل، لكننـــي فكرت فـــي الأمر وقررت لا أســتخدم أحدا منهــم. وعلى كل حال فإني ســأبيع الغابة. ويمكنك أن تشكري على ذلك هذا الموجود في الداخل. لقد تعمد أن يجعلني أجهل شــيئا كان علــيّ أن أعرفه، ياله من وغد! هذا يجعلني أفكر.. (يصيح) يامن في الداخل! (ماتي يخرج من الكبينة) نعم، أنت! أعطني ســترتك! ستعطيني ســترتك، هل ســمعت! (ماتي يعطيها إياه.) أمسكت بك، أيها الوغد! (يريه حافظة النقود) هذا ما أجده في جيب ســترتك. كنت أعرف ذلك، ومن أول نظرة أدركت أنك صيد للسجن. هذه حافظة نقودي، صحيح أم لا؟

ماتي : نعم، يا سيد بنتيلا.

بنتيلا : الآن ضعت، عشرة أعوام سجنا، ما عليّ إلا أن أبلغ تلفونيا قسم الشرطة.



ماتي : نعم، يا سيد بنتيلا.

بنتيلا : لكنني لن أمنحك هذه اللذة. من أجل أن تبدي عن خبثك في الزنزانة ولا تعمل شيئا وتفترس خبز دافعي الضرائب، أليس كذلك؟ ربما هذا يناسبك، الآن خصوصا، ونحن في معمعان موسم الحصاد. لتستعرض نفسك أمام الجرار. سأسجل هذا في شهادتك، فاهم؟

ماتي : نعم، يا سيد بنتيلا.

(بنتيلا يذهب غاضبا في اتجاه بيت الضيعة. عند العتبة تقف إيفا وفي يدها قبعة من الخوص. وقد سمعت ما قال)

العامل البائس : هل أجيء أنا أيضا يا سيد بنتيلا؟

بنتيلا : لست في حاجة إليك، لن تكون قادرا على الشغل.

العامل البائس : لكن سوق الاستخدام قد أغلقت أبوابها.

بنتيلا : كان عليك أن تقول هذا لنفسك منذ مدة، ولا تحاول أن تستغل استعداداتي الطيبة. وأنا أسجل كل الذين يسيئون استخدامها.

(يدخل، مكتئبا، في بيت الضيعة)

العامل : هكذا هم. يبدأون بأن يأتوا بك في سيارة، وبعد ذلك يتركونك تقطع تسعة كيلو مترات مشيا على الأقدام لتعود. وبدون عمل. هذا ما يحدث حين يغتر الإنسان بلطفهم.



العامل البائس : سأبلغ عنه.

ماتي : لمن؟

(العمال الساخطون يغادرون الضيعة)

إيفا : لماذا لا تدافع عن نفسك؟ المعروف أنه يعطي دائما حافظة نقوده إلى الآخرين ليدفعوا حين يكون غائبا عن الوعي.

ماتي : لن يفهم هذا. لقد لاحظت أن السادة لا يحبون أن يدافع الخدم عن أنفسهم.

إيفا : لا تتخذ سمت الرجل القديس الوضيع. ليس عندي اليوم مزاج للمزاح.

ماتي : صحيح، ستخطبين اليوم إلى الملحق.

إيفا : لا تكن وقحا هكذا. الملحق رجل لطيف، لكنه ليس صالحا للزواج.

ماتي : هذه الحالة كثيرة الحدوث. إن المرأة لا تستطيع أن تتزوج كل إنسان لطيف أو كل الملاحق لابد من الاختيار.

إيفا : أبي يترك لي مطلق الحرية، كما تعرف. وقد قال لي إن في وسعي أن أتزوج بمن أريد، وحتى بك أنت. لكنه وعد بتزويجي إلى الملحق، ولا يريد أن يقول الناس عنه إنه لا يحفظ الوعد. وهذا هو السبب الوحيد الذي يجعلني أتردد كثيرا وربما يحملني على



المواففقة.

ماتي : أنت في مأزق جميل.

إيفا : لست في مأزق، كما تقول بوقاحة. وإني أسائل نفسي كيف أتناقش معك في مثل هذه الأمور الدقيقة؟

ماتي : المناقشة عادة إنسانية جدا. وبها نمتاز عن الحيوان. لو أن البقر يستطيع أن يتناقش مع بعضه البعض، لأغلقت المذابح منذ وقت طويل.

إيفا : ليس هناك أي علاقة. لقد قلت فقط إنني من المحتمل ألا أصبح سعيدة إذا تزوجت الملحق، أن عليه هو أن ينسحب. لكن أنّى لي أن أفهمه هذا؟

ماتي : لا يكفيه وتد، لا بد له من سارية.

إيفا : ماذا تقصد؟

ماتي : أقصد أنني أنا الذي يجب أن يتولى هذه المهمة، فأنا جلف.

إيفا : لنفرض أنني تشجعت بالكلمات الرقيقة التي أفلتت من السيد بنتيلا وهو غائب عن الوعي، حين قال إن الأولى بك أن تتزوجيني أنا. ولنفرض أنك انجذبت بقوتي الوحشية (فكري في طرزان)! وفاجأنا الملحق وقال: إنها لا تليق بي، إنها تعبث مع سائق.

إيفا : لا أستطيع أن أطلب هذا منك.



ماتي : سـيكون هذا جزءا من عملي، مثل غسل السيارة. يلـزم ربع سـاعة فقط لهـذا. يكفـي أن نريه أننا متفاهمان معا.

إيفا : وكيف هذا؟

ماتي : يمكنني أن أدعوك باسمك أثناء حضوره.

إيفا : مثلا؟

ماتي : «إيفا، بلوزتك ليست مغلقة عند الرقبة».

إيفا : (تمـر يدها على رقبتها) بلـى، هي مغلقة! آه، لقد كنت تمثل الدور! لكنه لن يحفل بهذا.

ماتي : حينئـذ أسـتطيع، بنوع من التغافـل، أن أخرج من جيبي أحـد جواربك في نفس الوقـت مع منديلي، وأعمل حتى يراه.

إيفا : هذا أفضل، لكنه سـيقول لنفسه إنك لم تفعل أكثر من أنك التقطته حينما لم أكن موجودة، لأنك تعبدني سرا (وقفة) يبدو أنك في هذا المجال لست ضعيف الخيال.

ماتي : أنا أجتهد ما وسـعني، يا آنسة إيفا. إني أتخيل كل المواقف الممكنة فيما بيننا، حتى أكثرها مخاطرة، لأجد حلا مناسبا.

إيفا : لا، كف عن هذا.

ماتي : حسن، لنترك هذا.



إيفا : إذن ماذا؟

ماتي : إذا كان مرهقا بالديون الباهظة..، لا أقل من هذا. وإلا فسيجد دائما تأويلا ليبدو الأمر بريئا. مثلا، فسيقول إنني خرجت عن طوري لأنني لم أتمالك أمام جمالك، وهكذا.

إيفا : لا أعرف أبدا متى تمزح، وأخشى دائما أن تسخر مني من وراء ظهري. معك لا يمكنني أن أكون واثقة مطمئنة أبدا.

ماتي : ولماذا تريدين أن تكوني واثقة مطمئنة؟ العملية ليست عملية استثمار رؤوس أموال. عدم الاطمئنان أمر إنساني جدا، كما يقول السيد والدك. أنا أحب النساء، ولكن بدون ضمانات.

إيفا : هذا لا يدهشني منك.

ماتي : انظري! أنت أيضا لست ضعيفة الخيال.

إيفا : قلت فقط إنه معك لا يعرف الإنسان إلى أي شيء تريد أن تصل.

ماتي : كذلك مع طبيب الأسنان لا تستطيعين أن تعرفي إلى أي شيء يريد أن يصل حين تجلسين على كرسيه؟..

إيفا : حين تتكلم هكذا يتبين لي أن حكاية الحمام مستحيلة معك، أنا متأكدة من أنك ستسيء استخدام الموقف.



ماتي : الآن هناك شـــيء مؤكد. إذا بقيت تحسبين طويلا الحجــج المؤيدة والحجج المعارضة، فســأفقد كل رغبة في توريطك، يا آنسة إيفا.

إيفا : الأفضل أن تفعل ذلك دون أي رغبة. اســمع! فيما يتعلق بالحمام أنا موافقــة، وأوكل الأمر إليك. وهم عما قليل سيفرغون من إفطارهم، وحينئذ سيقومون بجولة على الشرفة للمناقشة في الخطبة. ولهذا فإن الأحسن هو أن ننفذ هذا الأمر على الفور.

ماتي : اسبقيني، وأنا ذاهب لإحضار أوراق اللعب.

إيفا : لماذا أوراق اللعب؟

ماتي : وكيــف تريديــن أن نقتــل الوقــت في تخشــيبة الحمامات؟

(يدخل البيت. وهي تتوجه ببطء إلى الحمامات. تأتي الطباخة ومعها سلة).

الطباخة : صباح الخير يا آنسة بنتيلا. أنا ذاهبة لقطف بعض الخيار. هل تأتين معي؟

إيفا : لا، عندي بعض الصداع. سآخذ حماما.

(تدخل. الطباخة تبقى في الخارج وتهز رأسها. من المنزل يخرج بنتيلا والملحق الدبلوماسي، وهما يدخنان سيجارا).

الملحق : يــا بنتيــلا، إنــي أرغب في أن أســافر مــع إيفا



إلى الريفييرا Riviera[1] وسأطلب من البارون «فوريا» Vaurien[2] أن يعيرني سيارته الرولز رويس Rolls Royce وهذا سيؤدي دعاية لفنلندج والهيئة الدبلوماسية الفنلندية. وفي هذه الهيئة يوجود قليل جدا من السيدات الممتازات.

بنتيلا : (مخاطبا ناظرة الضيعة) أين ذهبت ابنتي؟ لقد خرجت.

ناظرة الضيعة : إنها في الكابينة يا سيد بنتيلا، لقد أرادت الاستحمام لأنها تشعر بصداع.

(تخرج)

بنتيلا : لها دائما نزوات من هذا النوع. منذ متى يستحم الإنسان ليعالج صداعه؟

الملحق : هذا طريف، لكنك تعرف يا بنتيلا أننا لا نستفيد من حماماتنا الفنلندية كما ينبغي. لقد تحادث في هذا مع مدير المكتب، لما كانوا بصدد إصدار قرض. لابد من العثور على طرق جديدة لنشر الثقافة الفنلندية. لماذا لا توجد حمامات فنلندية في بكادليّ؟

بنتيلا : قل لي، هل وزيرك عازم حقا على الحضور إلى

---

(١) يقصد الريفير الفرنسية الكوت دازير Cote d.Azur حيث يمضي كبار الأغنياء أشهر العسل والعطلات.

(٢)فوريان Vaurien= لا يساوي شيئا. والتهكم هنا واضح.



بنتيلا لشهود حفلة الخطبة؟

الملحق : لقد وعدني بذلـك وعدا صريحا. لقد صار ممتنا لي منذ أن عرفته بـآل لهتنن Lehtinen أصحاب المصرف العام للتجارة، ذلك أنه يهتم بالنيكل.

بنتيلا : أود أن أتكلم معه.

الملحق : إنه يعزني، كل الناس يقولون هذا في الوزارة. وقد صـرح لي قائلا: «أنت، أنت، يمكن إرسـالك في أي مكان، أنت لا تفشي سـرا، أنت لا تهتم بالسياسة». وهو يعتقد أنني ممثل دبلوماسي كفء جدا.

بنتيلا : أنـت رجل حصيـف رصين يا إينو. وسـيكون من أعجب العجائب ألا تحصل على مناصب دبلوماسية رفيعـة. لكن لا تنس حضور الوزيـر حفلة الخطبة، فأنا أحسب حسابا قويا لحضوره. وعلى هذا يتوقف تقديري لتقديرهم إياك.

الملحق : بنتيلا، فيما يتصـل بهذا أنا مطمئن تماما. عندي حظ دائما. بهذا يضرب المثل في الوزارة: إذا فقدت شـيئا. عثرت عليه دائما أبدا. (يصـل ماتيّ، وعلى كتفه فوطة. ويتوجه نحو الحمامات).

بنتيلا : (مخاطبـا ماتي) ماذا تعمـل هناك، أنت يا ...؟ لو كنت فـي محلك لكنت أتصبب عرقا خجلا من عدم عمل شيء، ولتساءلت نفسي كيف أكسب المال الذي يعطونني. لن تحصل على شهادة. سينتهي بك الأمر



أن تتعفن مثل سـمكة الهادوك، التي سقطت بجوار برميل فلا يريد أحد أكلها.

ماتي : نعم، يا سيد بنتيلا.

(بنتيلا يعود إلى الملحق. ماتي يتوجه بهدوء نحو الحمامات. بنتيلا في هذه اللحظة لا يفكر في أي شر. وفجأة يتذكر أن إيفا لابد أنها في الحمامات هي الأخرى، فيتابع بعينيه ماتي دهشا)

بنتيلا : (مخاطبا الملحق) إلى أين وصلت مع إيفا؟

الملحق : أنا معها حسـن. هي تبدو باردة بعض الشيء معي، لكن هذا هو طبعها. وأستطيع أن أقارن هذا بموقفنا مع روسـيا. وبلغة دبلوماسـية نقـول إن العلاقات سليمة. تعال، أريد أن أقطف طاقة من الورد الأبيض لإيفا، ما رأيك؟

بنتيلا : (يذهـب معه ويلقي نظرة ناحيـة الحمامات) نعم: أعتقد أن هذا هو الأحسن.

ماتي : (في التخشيبة) لقد رأياني أدخل. كل شيء على ما يرام.

إيفا : عجيب أن أبي لم يوقفك، لأن الناظرة قالت له إنني في داخل الحمامات.

ماتي : لقـد تبين له هذا بعد فوات الأوان. لابد أنه غائب عن الوعي هذا الصباح. لحسـن الحظ لأن النية في توريطك لا تكفي، بل لابد من حدوث شيء بيننا.



إيفا : أسائل نفسي هل سيفكران في شيء. في الضحى، هذا صعب.

ماتي : لا تقولـــي هذا. هذا يدل على حب عنيف. نلعب الـ ٦٦؟ (يعطيهـــا أوراق اللعـــب). في فيبورج Viborg كان لي سيد يستطيع أن يأكل في أي وقت من أوقات النهار. ففي ســـاعة العصر، قبـــل تناول القهوة، كان يأمـــر بتحميـــر دجاجة. الأكل كان شـــهوته الكبرى. وكان عضوا في الحكومة.

إيفا : ما وجه المقارنة؟

ماتي : كيـــف؟ في الحب أيضا هناك من عندهم مثل هذا النوع من الشـــهية. ابدئي اللعـــب. أتظنين أنهم، في الإســـطبل ينتظرون دائما حتى يرخي الليل سدوله؟ الوقت وقت الصيف، والنفـــس متهيئة تماما. ثم إنه يوجـــد ناس في كل مكان. لهذا يقوم المرء بدورة في الحمامـــات. الجو حار. (يخلع جاكتته) تســـتطيعين أيضـــا أن تتجردي علـــى هواك، فلن آكلـــك بعيني. أقترح أن نلعب بنصف درهم.

إيفا : أســـائل نفســـي عما إذا لم يكن هذا أمر غير لائق، كل هذا الذي تقوله. تذكر، أرجوك، إنني لست راعية بقر.

ماتي : لا اعتراض عندي على راعيات البقر.

إيفا : ليس عندك أي احترام.



ماتي : كثيرا ما قالوا لي هذا. فالسائقون معروف عنهم أنهم متمردون، خالون من احترام علية الناس. والسبب في هذا راجع إلى كوننا نسمع علية الناس يتحدثون وهم جالسون على مقاعد السيارة الخلفية. معي ٦٦، ماذا معك؟

إيفا : عند الراهبات في بروكسل كان الكلام في غاية الحشمة واللياقة.

ماتي : أنا لا أتكلم عن اللائق وغير اللائق، أتكلم عن حماقتهم. عليك أنت ترمي، لكن ارفعي، حتى لا يحدث غلط.

(يعود بنتيلا والملحق، الملحق يحمل طاقة من الورد)

الملحق : إنها خفيفة الروح جدا. أقول لها: «كنت ستكونين كاملة، لو لم تكوني غنية هكذا». فتجيبني في الحال: «رأى أنه شيء لطيف أن يكون الإنسان غنيا!» ها، ها، ها! هل تعرف يا بنتيلا أن الآنسة روتشلد أجابت بنفس الإجابة، لما قدموني إليها في منزل البارونة فوريان؟ إنها هي الأخرى خفيفة الروح جدا.

ماتي : اضحكي كما لو كنت دغدغتك، وإلا لمروا أمامنا دون أن يتأثروا. (إيفا تضحك قليلا وهي تلعب الورق.) هذا لا يدل على كثير سرور.

الملحق : (يتوقف) أليست هذه هي إيفا؟

بنتيلا : مستحيل. من المؤكد أنها غيرها.



ماتي : (بصـوت عال وهـو يلعب الورق) لكنك حساسـة للدغدغة!

الملحق : اسمع!

ماتي : (بصوت خفيض) دافعي عن نفسك قليلا!

بنتيلا : إنه السواق في الداخل. أعتقد أن الأحسن أن تودع طاقتك في البيت.

إيفا : (بصوت عال، تستمر في اللعب) لا، لا.

ماتي : بلى!

الملحق : أتعرف يا بنتيلا، أقسم إن هذا صوت إيفا.

بنتيلا : أرجوك، لا تلق بهذه الإهانة.

ماتي : الآن، وقـد صرنـا نتخاطب بألفـة دعك من هذه المقاومة التي لافائدة فيها.

إيفا : لا، لا، لا! (بصـوت خفيـض) مـاذا ينبغـي أقول أيضا؟

ماتي : قولي إنني ليس لي الحق! العبي دورك إذن.

إيفا : آه، لا! لاحق لك في هذا.

بنتيلا : (وهو يزمجر) إيفا!!

ماتي : استمري! استمري! في الهذيان! (يرفع الورق، بينما يوحيـان بمنظر غرامي) لـو دخل، فيجب أن يقترب كلانا من الآخر، لابد.

إيفا : لا، لا أريد.

ماتي : (قالبا برجله مقعدا) بعد هذا تخرجين، ولكن مبتلة



مثل الكلب.

بنتيلا : إيفا!

(ماتي يشق بيده شعر إيفا بعناية، حتى يبدو شعرها في غاية الاضطراب، وهي تحمل زرارا في عنق بلوزتها. ثم تخرج)

إيفا : هـل ناديت عليّ يا بابا؟ لقد أردت تغيير ملابسي للذهاب للسباحة.

بنتيلا : ماذا بك حتى تتسكعي هكذا بين الحمامات؟ هل تحسبين أننا صم لا نسمع؟

الملحق : لا تغضب هكذا يا بنتيلا، إن لإيفا الحق في أن تستحم.

(ماتي يخرج بدوره، ويبقى واقفا وراء إيفا)

إيفا : (دون أن تتنبه إلى وجود ماتي، وهي في شيء من الخوف) لكن ماذا سمعت يا بابا؟ لم يكن ثم شيء.

بنتيلا : إذن أنت تسمين هذا لا شيء؟ تلفتي قليلا.

ماتي : (وهو يتظاهر بالارتباك) يا سيد بنتيلا، أنا لم أفعل غير أني لعبت دور الـ ٦٦ مع الآنسة. وهذه هي أوراق اللعب، إذا كنت لا تصدقني. أنت فريسة وهم.

بنتيلا : أغلق فمك! أنت مطرود. (مخاطبا إيفا:) ماذا عسى اينو أن يظن بك؟

الملحق : يا بنتيلا، إذا كانوا قد لعبوا لعبة الـ ٦٦، فنحن



فريســتا وهم. ذات مرة الأميرة بيبسكو Bibesco غضبــت غضبة هائلة وهي تلعب الروليت إلى درجة أن عقد اللؤلؤ على صدرها انفرط. لقد أتيتك بورد أبيض، يــا إيفا. (يعطيهــا الورد). تعال يــا بنتيلا، ولنلعب البلياردو. (يشد بنتيلا من كمه)

بنتيلا : (وهو مملوء غضبا) ســنعود إلى الكلام في هذا، يا إيفا! وأنت، يا شــاطر، إذا تجاســرت على أن توجه كلمة واحدة إلى ابنتي، إذن فعليك أن تحزم أسمالك الباليــة. وخير لك أن تخلــع طاقيتك القذرة، وتقف مســتقيما وتحمر خجلا وأنت تفكر في أذنيك غير المغســولتين- لا تفه بكلمة واحــدة! واجبك هو أن ترفــع عينيك نحو ابنة ســيدك كمــا ترفعهما نحو مخلوق من جوهر سام إلى هذا العالم. دعني يا إينو، أتظن أنني أتســامح في مثل هذه الأمور؟ (مخاطبا ماتي:) كرره: ما هو واجبك؟

ماتي : واجبــي هو أن أرفع عينــي نحوها كما أفعلها نحو مخلوق من جوهر سام هبط إلى هذا العالم، يا سيد بنتيلا.

بنتيلا : وأمــام منظر كهذا، ســتفرك عينيك في دهشــة هائلة.

ماتي : سأفرك عيني في دهشة هائلة، يا سيد ماتي.

بنتيلا : أمــام هذه المعجــزة من البراءة، ســتحمر خجلا كالحلزون من كونك أجلت في نفســك خواطر دنيئة



قبل تناولك الأول، وستتنابك الرغبة في أن تختفي تحت التراب. هل فهمت؟

ماتي : فهمت.

(الملحق يقتاد بنتيلا نحو البيت)

إيفا : صفر يا حضرة!

ماتي : إن عليه من الديون أكثر مما كنا نظن.

(٦)

محادثة بخصوص الحلازن

(مطبخ ضيعة بنتيلا. المساء. من حين إلى آخر يسمع صوت موسيقى قادمة من الخارج. ماتي يقرأ الجريدة).

فينا : (تدخل) الآنسة إيفا تريد أن تتكلم معك.

ماتي : حسن. سأنتهي أولا من شرب قهوتي.

فينا : لا تحسب أنك ملزم بالفراغ من شربها، من أجل أن تجعلني أعتقد أنك لست مستعجلا. إنك تتوهم أشياء، لأن الآنسة إيفا تهتم بك. لكن السبب في هذا هو أنها لا تجد من تصحبه في هذه الضيعة، فلابد لها من أن تشاهد وجه إنسان بين الحين والحين.

ماتي : في أمسية كهذه، يتوهم المرء أشياء عن طيب خاطر. فمثلا لو كانت عندك رغبة، يا فينا، في



مشاهدة النهر معي، ففي هذه الحالة أكون لم أسمع بأوامر الآنسة إيفا وأرحل معك.

فينا : لا أعتقد أن عندي هذه الرغبة.

ماتي : (يفتح الجريدة) أنت تفكرين في المدرس؟

فينا : ليس بيني وبينه شـــيء. لقد أبدى عن لطف، وأراد تعليمي، وأعارني كتابا.

ماتي : يا للخسارة! أنه يتقاضى أجرا ضئيلا لقاء التدريس. أنـــا أتقاضى ٣٠٠ مارك، والمـــدرس يتقاضى ٢٠٠، صحيح أنه يلزم أن أعرف خيرا منه. فلو أن المدرس لا يعرف شـــيئا أبدا، فأســـوأ ما يمكن أن يحدث هو أنـــه يوجد أحد في القرية قادر على قراءة الجريدة. وفـــي الزمان الماضي كان هـــذا تخلفا، أما اليوم... فما الفائدة فـــي قراءة الجرائد؟ ليس فيها شـــيء، بسبب الرقابة. بل أذهب إلى أبعد من هذا وأقول لو ألغوا كل المدرســـين في المدارس، فلن تكون هناك حاجة إلى الرقابة وســـتوفر الدولة مرتبات الرقباء. أما أنـــا، فاذا تعطلت بي الســـيارة في الطريق، فإن هؤلاء الســـادة سيخوضون في الوحل ويسقطون في الخنادق ميتين.

(ماتي يشير إلى فينا، فتجلس على ركبتيه. القاضي والمحامي يصلان. والفوط على الأكتاف قادمين من حمام البخار).

القاضي : أليس عندك شـــيء تقدمه إلينا؟ قشدة جيدة مثل



التي شربناها ذات يوم؟

ماتي : هل تحضر لك الخادمة منها؟

القاضي : لا، دُلنا أين هي؟

(ماتي يصب لهما منها بالملعقة. فينا تذهب)

المحامي : ممتازة!

القاضي : أنا أتناولها دائما في بنتيلا بعد حمام البخار.

المحامي : ليالي الصيف في فنلندة رائعة.

القاضي : هــذا أمر يعنيني مباشــرة. فكل قضايا النفقة هي بمثابة أناشيد تسبح بليالي الصيف في فنلندة. وفي قاعة المحكمة يكتشــف الإنســان جمال غابة الشر بين الناس لا يســتطيعون الذهاب إلى النهر دون أن يصابــوا بإغماء ويســقطوا علــى الأرض. ذات مرة رأيــت بنتا أمام المحكمة تتهــم الدريس بأن رائحته نفاذة. ويجب عليهن ألا يذهبن لقطف التوت، وحين يذهبــن لحلب البقرات يجلبن على أنفســهن الكثير من المضايقات. وينبغي إحاطة كل عليق في الطريق بأسلاك شــائكة. البنات والأولاد يذهبون إلى حمام البخــار منفصلين تجنبا للفتنــة والإغراء لكنهم بعد ذلك يذهبون معا إلى المروج. ويستحيل منعهم، إبان الصيــف. ينزلون من الدراجات، ويتســلقون أجران الدريس، ويلتقون بعضهــم ببعض في كل مكان: في المطبخ، لأنه دافىء، وفي الخارج لأن الهواء منعش.



ويصنعــون أطفالا أحيانــا لأن الصيف قصير جدا، وأحيانا أخرى لأن الشتاء طويل جدا.

المحامي : الشـــيء الحســـن هو أن العجائز يشاركون في هذا أيضاً. أنا أفكر في الشـــهود اللاحقين، فاهم؟ يرون كل شـــيء: الزوجـــان اللذان يختفيان فـــي الخميلة، والنعال عند باب الأجـــران، والبنت وهي تغلي حين تعود من شـــجيرات الميرتلا، وهي شـــغلة من النادر أن تحـــدث طرارة إذا لـــم يتحمس لها المرء كل هذه الحماســـة. هم يرون، وهم أيضا يســـمعون. أباريق اللبن تتصادم، والأســـرة تقعقع. وهكذا هم موزعون بين العيون والآذان، وفيهم شيء من الصيف.

القاضي : (مخاطبـــا ماتي، يســـمع دق ناقوس) تســـتطيع أن تذهب لتـــرى؟ اللهم إلا إذا ذهبنـــا ونبهناهم إلى أن الناس ها هنـــا حريصون على اليوم ذي الســـاعات الثماني؟

(يخرج مع المحامي. ماتي يعود إلى جريدته)

إيفا : (تدخل وهي تدخن سيجارة لا تنتهي، بمشية مثيرة تعلمتها من الســـينما): لقد دققت الجرس، هل أنت مشغول.

ماتي : أنـــا؟ لا. عملـــي لا يســـتأنف إلا غـــدا صباحا في الساعة السادسة.

إيفا : ســـاءلت نفســـي ربما تود أن تأخذني بالقارب إلى



الجزيـــرة، من أجــل الحصول على بعــض الحلازن لمأدبة الخطبة غدا.

ماتي : ألا تعتقديــن أن هــذا الوقــت هــو بالأحرى وقت النوم؟

إيفا : أنا لست متعبة أبدا، وأنا لا أنام جيدا في الصيف، لا أدري لماذا. أتنام أنت إذا ذهبت الآن إلى مخدعك؟

ماتي : نعم.

إيفا : أنت سعيد الحظ. إذن أعد لي الأدوات هنا. إن أبي يريد أن نطهو حلازن.

(تدير ظهرها وتريد أن تخرج مستأنفة المشية التي تعلمتها من السينما).

ماتي : (متأثــرا) أعتقــد أني ســأذهب معك، وســأقوم بالتجديف.

إيفا : ألست متعبا جدا؟

ماتي : أحس بأني أفقت، وأنا على الاســتعداد. لكن لابد لك من تغيير ملابســك حتى تستطيعي الخوض في الوحل بسهولة.

إيفا : الأدوات في المخزن.

(تخرج. ماتي يلبس الكبوت. إيفا تعود وقد لبست «شورتا» قصيرا جدا).



إيفا : لكن لم تحضر الأدوات.

ماتي : سنمسك بها بأيدينا، فهذا أجمل، وسأريك هذا.

إيفا : لكن بالأدوات يكون الأمر أسهل.

ماتي : كنت هناك أنا والخادمة والطباخة منذ مدة قليلة، وقد استعملنا أيدينا، وكان ذلك جميلا، وتستطيعين أن تسأليهما. أنا بارع، وأنت؟ كثير من الناس لهم في كل يد خمسة إبهامات. صحيح أن الحلازن سريعة، والحجارة ملساء لكن الجو صاف، ولا يوجد سحاب كثير، فقد رأيت السماء.

إيفا : (مترددة) أفضل الذهاب بالأدوات. فبهذا نمسك كمية أكبر.

ماتي : هل نحن في حاجة إلى كل هذه الكمية؟

إيفا : أبي لا يحب إلا الأطباق الوفيرة.

ماتي : الأمر جد إذن. لقد كنت أظن أن أربعة أو خمسة تكفي، بعدها نستطيع أن نتسلى قليلا، فالليل جميل!

إيفا : لا تقل باستمرار إن كل شيء جميل. الأولى بك أن تذهب لإحضار الأدوات.

ماتي : لا تكوني جادة هكذا، ولا تتحمسي هكذا ضد الحلازن! سنملأ منها بعض الجيوب وهكذا يكفي. أنا أعرف موضعا مملوءا منها، وفي خمس دقائق



نكون قد حصلنا الكفاية.

إيفا : ماذا تقول؟ هل عندك نية لأخذ حلازن، نعم أولا؟

ماتي : (بعد وقفة) الوقت متأخر. وعليّ أن أخرج باكرا صباحا في الساعة السادسة لإحضار الملحق الدبلوماسي من المحطة بالسيارة الأستوديبيكر. لو تأخرنا في الجزيرة حتى الساعة الثالثة أو الرابعة صباحا، فسيكون الوقت الباقي قصيرا للنوم. والآن، إذا كنت مصممة تماما.

(إيفا تدير ظهرها دون أن تقول شيئا، وتخرج. ماتي يخلع كبوته ويعود إلى قراءة الجريدة. تدخل لاينا، عائدة من حمام البخار).

لاينا : فينا والناظرة تسألان عما إذا كنت لا تريد أن نذهب إلى النهر. إنهما لاتزالان هناك تتحادثان.

ماتي : أنا متعب. أولا سوق الاستخدام، ثم إني سقت الجرار في المستنقع، والسيور انفكت.

لاينا : وأنا أيضا لا أستطيع، بعد هذا النهار الذي قضيته أمام الأفران. أنا لست متحمسة لمأدبة الخطبة. لكني انتزعت نفسي حتى لا أذهب إلى الفراش، لأن الجو جميل، وإنها لخطيئة أن يذهب المرء للنوم. (تلقي من النافذة بنظرة إلى الطريق). أعتقد أنني سأخرج قليلا، والسائس سيعزف على الهارمونيكا وأنا أحب سماعها.

(إنها مرهقة جدا، ومع ذلك ترحل دون تردد)



إيفا : (تدخل في اللحظة التي يريد فيها ماتي أن يخرج من الباب الآخر): أريد منك أن توصلني إلى المحطة.

ماتي : خمس دقائق وأنا أشغل موتور الأستوديبيكر وسأنتظرك عند الباب.

إيفا : حسن. لم تسألني ماذا سأفعل في المحطة.

ماتي : أفترض أنك ستركبين قطار الساعة الحادية عشرة وعشر دقائق الذاهب إلى هلسنجفورس.

إيفا : يبدو على كل حال أن هذا لا يدهشك.

ماتي : يدهشني أنا؟ لماذا؟ دهشة السائق لم تغير أبدا شيئا، ولا تؤدي إلى شيء إلا نادرا.

إيفا : أنا ذاهبة إلى بروكسل عند صديقة لي لمدة بضعة أسابيع، ولا أريد أن أضايق والدي بهذا. وعليك أن تقرضني مبلغ ٢٠٠ مارك ثمنا لتذكرة السفر. وطبعا والدي سيردها إليك بمجرد أن أكتب إليه.

ماتي : (بدون حماسة) مؤكد.

إيفا : أرجو ألا تخاف على نقودك. أبي يستوي لديه مع من أعقد خطبتي، لكنه لن يريد أن يبقى مدينا لك.

ماتي : (بحذر) لا أدري هل سيشعر بأنه مدين لي إذا أعطيتك هذه النقود.

إيفا : (بعد وقفة) آسفة جدا لأني طلبتها منك.

ماتي : لن يستوي عند أبيك أن ترحل في أثناء الليل قبل



حفلـــة الخطبـــة. بينما الكعك في الفـــرن. يجب ألا يغضـــب المرء منـــه إذا كان في لحظة عدم وعي قد نصحك بالاهتمام بي. إنه لا يفكر إلا في سعادتك يا آنســـة إيفا. وقد لمح لي بهذا هو نفسه. حينا يكون غائبا عن الوعي، أو لنقل حينا يفرط في الشـــراب، لا يدري بعد أين ســـعادتك، إنه يتبـــع عاطفته. لكن حين يكون صاحيا، يشـــتري لك ملحقاً دبلوماســـيا، وســـينال جزاء نقوده، ستصبحين سفيرة في باريس أو ريفال، وتســـتطيعين حينئذ أن تفعلي ما يحلو لك، إذا شئت قضاء سهرة ممتعة، فإن كان هذا لا يهمك، فلن تفعلي شيئا.

إيفا : إذن أنـــت تنصحنـــي بالموافقـــة على الـــزواج من الملحق، الآن؟

ماتي : يا آنســـة إيفا، أنت لست في مركز مادي يسمح لك بإغضاب والدك.

إيفا : أرى أنك غيرت رأيك. أنت وردة رياح حقا.

ماتي : هذا حـــق. لكن ما يقـــال عـــن وردات الرياح غير حق وأحمـــق. وردات الرياح مصنوعة من حديد، ولا شـــيء أصلب منها. ما ينقصها هو الأساس الراسخ الذي يعطي هيئة. وأنا أيضا مع الأسف ليس عندي أساس.

(يحك الإبهام والسبابة).



إيفا : عليّ إذن أن أفسر نصيحتك الحكيمة بحذر وفطنة، إذا كان الأساس الضروري يعوزك لنصحي بإخلاص. وكلماتك الجميلة عن الاستعدادات الطيبة عند أبي نحـــوي لم تتولد كما يظهر إلا مـــن الرغبة في عدم المخاطرة بنقودك من أجل تذكرة سفري.

ماتي : أضيفـــي إلى هـــذا وظيفتـــي، إذ لا أجدها رديئة أبدا.

إيفا : أنـــت رجـــل مـــادي، فيما يظهـــر، يا ســـيد التوتن Altoten، أو كما يقال في بيئتك أنت تعرف من أين تؤكل الكتف. على كل حال. لم أرد أبدا شخصا يبدي كل هذا الحرص على نقوده أو على راحته! ومن هذا أرى أنه ليس الأغنيـــاء وحدهم هم الحريصون على المال.

ماتي : يؤلمنـــي أن أكون قد خيبت أملك. لكن الذنب ليس ذنبـــي، كان طلبك مباشـــرا، وكان الواجب عليك أن توحي به فقط وتدسيه بين السطور، حينئذ لن تكون هناك أي مســـألة مالية فيما بيننا. إن المال يسبب دائما وفي كل مكان منازعات ومنافرات.

إيفا : (تجلس) لن أتزوج الملحق الدبلوماسي.

ماتي : عندما أفكـــر في الأمر، لا أفهم لمـــاذا لا تريدين هذا الرجل. في نظري إنه هو أو غيره ســـواء، كلهم بعضهـــم مثل بعض، أنـــا أعرفهم. هـــم مهذبون، لا يرمونـــك بأحذيتهم، حتى حيـــن يكونون غائبين عن



الوعـــي، ولا يحرصون على المـــال، خصوصا إذا لم يكـــن مالهم هم، ويعرفون كيـــف يقدرونك تماما كما يقدرون الشراب، لأنهم تعلموا هذا.

إيفا : لا أريـــد الملحق الدبلوماســـي. أعتقد أنني أريدك أنت.

ماتي : ما معنى هذا؟

إيفا : يمكن أبي أن يعطينا منشر خشب.

ماتي : قولي بالأحرى: يعطيك أنت.

إيفا : يعطينا كلينا، إذا تزوجنا.

ماتي : في كارليا كنت أشـــتغل في ضيعة صاحبها كان في الماضي خادما. وكانت السيدة تبعث به إلى الصيد، حين يجيء القسيس زائرا. وفي أيام الاستقبال كان يقوم بفتح الزجاجات. ثم يبقى جالسا خلف الموقد يلعب الـــورق. وقد أنجبا أولادا صـــاروا كبارا، وهم ينادون أباهم باسمه: «فكتور، اذهب لإحضار حذائي الخشبي، ولا تتسكع في الطريق!» وهذا لا يلائمني، يا آنسة إيفا.

إيفا : لا، أنت تريد أن تكون السيد. وفي وسعي أن أتصور كيف تعامل الزوجة.

ماتي : هل فكرت في هذا من قبل؟

إيفا : لا، طبعا. أنت تتوهم أنني أقضي أيامي في التفكير

فيك! إني أسائل نفسي ماذا يجعلك تتصور هذا. على كل حال شبعت من سماعك تتكلم عن نفسك باستمرار، وعما تريد، وعن ذوقك، وعما سمعت، وأنا أدرك الغرض من حكاياتك البريئة ووقاحتك. إني أشعر بأنك شخص لا يمكن تحمله، الأنانيون لا يعجبونني أبدا، أعرف ذلك.

(تذهب. ماتي يعود إلى جريدته).

(٧)

جمعية خطيبات السيد بنتيلا

(فناء ضيعة بنتيلا. صباح الأحد.. على شرفة بيت الضيعة بنتيلا يتناقش مع إيفا وهو يحلق ذقنه. تسمع دقات الأجراس من بعيد).

بنتيلا : ستتزوجين الملحق، لا مفر من هذا. وإلا فلن أعطيك مليما واحدا. إنا مسؤول عن مستقبلك.

إيفا : في ذلك اليوم قلت لي إنني لا أستطيع الزواج به لأنه ليس رجلا، وإن عليّ أن أتزوج رجلا أحبه.

بنتيلا : أنا أقول أشياء كثيرة حين أفرط في الشراب، ولا أحب منك أن تأخذيني بكلامي وتنازعيني. لو أمسكت بك مرة أخرى مع السائق، سأريك الويل! لو أن واحدا آخر غيرنا رآك تخرجين مع السائق لكانت فضيحة كبرى! (ينظر إلى بعيد فجأة ويصيح): لماذا



الخيول في البرسيم؟

صوت : السائس هو الذي ساقها إلى هناك.

بنتيلا : أخرجها فورا. (مخاطبا إيفا): يكفي أن أخرج عصر أي يوم، لينقلب كل شيء في الضيعة رأسا على عقب. الخيول في البرسيم، لماذا؟ لأن السائس يتغازل مع البستانية. العجلة التي عمرها سنة ونصف قد نُزي عليها، لماذا؟ لأن الناظرة على علاقة وثيقة مع الصبي. إذن لا وقت عندها لمنع الثور من النزاء على العجلات. وللثور أن يفعل ما يشاء. يا أوغاد! وإذا لم تحب البستانية - وأنا ذاهب لأقول لها كلمتين، هذه المرأة- فلن أحصل على مائة كيلو جرام من الطماطم لبيعها هذا العام، وهذا كل ما في الأمر. ومع ذلك فإن هذه الطماطم منجم ذهب صغير! سأمنع كل هذه الغراميات في الضيعة، فإنها تكلفني كثيرا جدا، سامعة؟ افهمي أنت والسائق إنني لا أريد أن تخرب لي ضيعتي، نعم، سأضع لهذا حدا.

إيفا : أنا لا أخرب الضيعة.

بنتيلا : أنا أنبه عليك وأحذرك. لن أسمح بأي فضيحة أعد لك زفافا يكلف ستة آلاف مارك، وأعمل كل شيء لتزوجي من أحسن البيوتات، وهذا يكلفني غابة بأكملها! هل تعرفين ما هي الغابة؟ ومع ذلك فهذه هي تصرفاتك! تقعين في غرام زيد وعمرو، بل وأيضا مع سائقي!



(وصل ماتي إلى طرف الفناء. يستمع)

بنتيلا : أنفقت في سبيل تربيتك كما ينبغي، في بروكسل، وليس هذا لتلقي بنفسك في أحضان سائق سيارة. يجب إبقاء المستخدمين على مبعدة، وإلا صاروا وقحين، ورقصوا على بطنك. على مبعدة عشر خطوات، وعدم الألفة معهم- وإلا كانت الفوضى. وأنا في هذه المسألة في غاية التشدد. (يدخل البيت. أمام بوابة الضيعة تظهر أربع سيدات من كوركلا. يتفاوضن فيما بينهن، ويخلعن المناديل عن رؤوسهن، ويضعن تيجانا من الخوص المضفر، ويدفعن إحداهن إلى الأمام. وفي الفناء تأتي ساندرا، عاملة التلفون).

عاملة التلفون : صباح الخير، أود التكلم مع السيد بنتيلا.

ماتي : لا أعتقد أن هذا ممكن اليوم، فهو في وضع لا يسمح بهذا.

عاملة التلفون : لكنه سيستقبل مع ذلك خطيبته، فيما أعتقد.

ماتي : وأنت خطيبته؟

عاملة التلفون : أعتقد هذا!

صوت بنتيلا : ... وأمنعك من استعمال كلمات مثل: حبّ، فهذا لا معنى له إلا القذارات، وأنا لا أسمح بهذا في بنتيلا. الخطبة جاهزة، وقد أمرت بذبح عجل، ولا أستطيع التراجع. والعجل لن يتفضل عليّ بالعودة



إلى الإسطبل واستئناف العلف بهدوء لأنك غيرت رأيك. ثم إنني اتخذت قراري وأريد الهدوء في بنتيلا. وضعي في رأسك، أن غرفتك ستغلق.

(ماتي أمسك بمكنسة طويلة وأخذ في كنس الفناء)

عاملة التلفون : يبدو لي أنني أعرف صوت هذا السيد.

ماتي : لا عجب في هذا، فهو صوت خطيبك.

عاملة التلفون : هو، وليس إياه. في كوركلا كان صوته مختلفا.

ماتي : آه، كان ذلك في كوركلا! في اليوم الذي ذهب فيه للبحث عن شراب قانوني؟

عاملة التلفون : لا أعرف صوته بالدقة، لكن ربما كانت الظروف تغيرت. ثم كان هناك وجهه: وجه لطيف، وكان جالسا في سيارته وكان سنا الفجر يلوح على محيّاه.

ماتي : أنا أعرف الوجه، وأعرف الفجر أيضا. لكنك تحسنين صنعا بأن تعودي إلى بيتك. لا حاجة إليك ها هنا.

(في الفناء تأتي أمّا Emma المهربة. تعمل وكأنها لا تعرف عاملة التلفون).

أما المهربة : هل السيد بنتيلا هنا؟ أريد أن أتكلم معه في الحال.

ماتي : مستحيل، مع الأسف. لكن هذه خطيبته، تستطيعين أن تتكلمي معها.



عاملة التلفون : (تمثـل المهزلة) لكن أنت امـا تاكينينن Emma Takinaine التـي تقـوم بتهريب الشـراب، أليس كذلك؟

اما المهربة : أنـا، تهريـب الشـراب، لأنني أسـتعمل قليلا من السبرتو لتدليك سـيقان رئيس الشرطة؟ والسبرتو الذي أصنعه تسـتعمله زوجة ناظـر المحطة لصنع شـراب الكرز، وهكذا ترين أنه قانوني. ثم ما حكاية الخطيبة هذه؟ ها هي ذي عاملة تلفون كوركلا تدعي أنها خطيبة خطيبي السـيد بنتيلا، الذي يقيم هنا. هذا فظيع، أيتها الخرقة البالية!

عاملة التلفون : (وقد لمعت أسـاريرها) قولي لي يا مقطرة القمح الأسـود، ما هـذا؟ ما هذا الذي تريـن في أصبعي هذا؟

اما المهربة : زائـدة لحمية. وأنت ماذا ترين في إصبعي أنا؟ أنا المخطوبة، لا أنت. وقد تمت خطبتي بالخاتم وقطرة الشراب أيضا.

ماتي : كلتاكمـا من كـوركلا؟ في ذلك البلـد يبدو لي أن المخطوبات ينبتن كالفطر في شهر مارس.

(تأتي في الفناء ليسو راعية البقر، ومندا فتاة الصيدلية).

راعية البقر وفتاة الصيدلية : (معا) أهنا يقيم السيد بنتيلا؟

ماتي : أنتمـا من كـوركلا؟ إذن هو لا يقيم هنا. أنا أعرف هذا جيدا، لأنني سائقه. السيد بنتيلا شخص اسمه



مثل اسم الشخص الذي خُطبتن له من غير شك.

راعية البقر : لكني أنا ليسو جكرة. وهذا السيد هو خطيبي حقا، وأستطيع إثبات ذلك. (تشير إلى عاملة التلفون): وهذه أيضا تستطيع إثبات ذلك، فهي الأخرى خطيبته.

اما المهربة وعاملة التلفون : (معا) نعم، نحن نستطيع إثبات ذلك، نحن الأربع خطيباته.

(الأربع ينطلقن في ضحكة عالية)

ماتي : أنا مسرور جدا لأن لديكن إثباتات. وأقول لكن بصراحة: لو كانت هناك خطيبة واحدة فلن يهمني الأمر، لكني أدرك صوت الشعب حين أسمعه. وأنا أقترح بتشكيل جمعية من خطيبات السيد بنتيلا. وبعد هذا يقول سؤالا مهما هو: ماذا ترين أن تفعلن؟

عاملة التلفون : هل نقول له؟ هاك هو: عندنا دعوة قديمة من السيد بنتيلا بنفسه لحضور حفلة الخطبة نحن الأربع.

ماتي : آه، دعوة من هذا النوع تساوي تقريبا ثلج العام الماضي. لقد قدمتن كأربع إوزات برية من البركة بعد أن عاد الصيادون إلى بيوتهم.

اما المهربة : هم! هذا لا يبشر باستقبال حار.

ماتي : لا أقول إنه سيساء استقبالكن، لكن من بعض



النواحي أنتن أتيتن قبل الأوان. سأحاول تقديمكن في اللحظة المناسبة: وبهذا تنلن الترحيب الجدير بالخطيبات اللواتي هن أنتن.

فتاة الصيدلية : الأمر كله لا يعدو المزاح وبعض الدغدغات في المرقص.

ماتي : إذا اختيرت اللحظة المناسبة، فيمكن تحقيق هذه المسألة. إذ هم حين يغيبون عن الوعي ويكون الجو ملائما، فإنهم يفرحون بالغرائب. وأنا أتخيل الخطيبات الأربع يدخلن في هذه اللحظة. سيذهل القسيس، وإذا ذهل القسيس فرح القاضي، إنه إنسان آخر تماما. ونحن، جمعية الخطيبات، ندخل القاعة وننشد النشيد القومي لتفستلند، ونتخذ تنورة راية. (الكل يضحك بشدة). لكن لا بد من النظام، وإلا فلن يفهم السيد بنتيلا من الأمر شيئا.

اما المهربة : هل تظن أننا بهذا نحصل على قهوة، أو حتى على نوبة رقص؟

ماتي : هذا مطلب له ما يبرره، وعلى الجمعية أن تطالب به، إذ انبعثت آمال، وأنفقت نفقات. فأنا أفترض أنكن جئتن بالقطار.

اما المهربة : في الدرجة الثانية!

(الخادمة فينا Fina تأتي إلى البيت بكتلة زبدة)

راعية البقر : هذه زبدة صافية!



فتاة الصيدلية : نحن قادمون لتونا من المحطة. أنا لا أعرف اسمك، لكن ربما نستطيع الحصول على كوب لبن؟

ماتي : لبن؟ ليس قبل الغداء، فإنه يقطع الشهية.

راعية البقر : أما عن الشهية، فلا تخش شيئا.

ماتي : لنجاح زيارتكن الأفضل أن أسقي خطيبكن، لكن ليس من اللبن.

عاملة التلفون : هذا صحيح، فقد كان صوته منذ قليل جافا.

ماتي : ساندرا، عاملة التلفون، التي تعرف كل شيء وتخبر بكل شيء، فهمتني. هي تعلم أن الأفضل التفكير في سقيه شرابا من سقيكن لبنا.

راعية التلفون : لكنك لم تسمعي صوته يا ليسو.

ماتي : أعتقد أنكن عاقلات. اقنعن الآن مؤقتا بشم رائحة الطبيخ.

(السائس والطباخة يحضران إلى البيت عجل مذبوحا).

السيدات (وهن يصفقن): حسن! حمروه تحميرا جيدا! وضعوا فيه أوراق الزعتر!

اما المهربة : تظن أنني أستطيع أن أخلع الدبوس من ثوبي عند الظهر، حين لا يراني أحد؟ لأن ثوبي ضيق قليلا.

فتاة الصيدلية : يجوز أن يتطلع السيد بنتيلا!

عاملة التلفون : ليس أثناء الغداء.



ماتي : هل تتصورن أي غداء سيكون؟ ستجلسن إلى جوار قاضي المحكمة العليا في فيبورج. هذا ما سأقوله له (يغرز المكنسة في التراب ويعمل كأنه يخاطبه): «يا حضرة القاضي! هؤلا أربع نسوة رقيقات الحال غارقات في القلق، يخشين رفض دعاواهن. وقد قمن برحلة طويلة على طريق مملوء بالأتربة من أجل اللحاق بخطيبهن. فمنذ عشرة أيام، في ذات صباح وصل إلى القرية في سيارة أستوديبيكر سيد ميسور. وقد تبادل معهن الخواتم وعقد معهن الخطبة. ولا شك في أنه اليوم يود لو لم يحصل من هذا شيء. أدِّ واجبك. يا حضرة القاضي، وانطق بحكمك، خذ حذرك، فلو تركتهن اليوم دون حماية، فلربما يأتي يوم لا توجد فيه محكمة عليا في فيبورج».

عاملة التلفون : برافو!

ماتي : والمحامي أيضا يشرب على صحتكن. فماذا ستقولين له يا امّا تكينانينن؟

اما المهربة : سأقول له: «أنا سعيدة لهذه القرابة. ألا تستطيع أن تملأ استمارة الضرائب الخاصة بي وأن تكبح جماح المراقبين؟ وأنت، يا من تحسن الكلام، حاول أن تجعل زوجي لا يبقى طويلا في الجيش، إنه ليس على وفاق مع العقيد، وأنا لا أستطيع بمفردي أن أفلح حقل البطاطس. وحاول أن تجعل البقال، حين يحسب السكر والجاز، لا يغشني!».

ماتي : هذا يسـمى اسـتغلال الظروف. لكن إذا تزوجت بنتيـلا، فلن يقلـق بالك من ناحيـة الضرائب التي عليك. ومن تتزوجه في وسعها أن تدفع. وستشربين على صحة الدكتور. فماذا تقلن له؟

عاملة التلفون : أقول له: «سـيدي الدكتور! لا تـزال عندي نغزات في أحشائي. لا حاجة بك إلى تقطيب وجهك، فإني سأدفع ثمن هذه الاستشارة لما أتزوج السيد بنتيلا. خذ كل وقتك معي، فنحن لا نزال بعد مع الحسـاء، وماء القهوة لم يوضع بعد على النار، وأنت مسـؤول عن صحة الشعب».

(عامل يدحرج برميل شراب إلى البيت)

اما المهربة : إنهم يدخلون الشراب.

ماتي : وستجلسن أيضا مع القسيس. فماذا ستقلن له؟

راعية البقر : سـأقول له: «الآن، سيكون عندي وقت للذهاب إلى الكنيسة يوم الأحد إذا أردت ذلك».

ماتي : هذا كلام قصير على مائدة الطعام. أنا أضيف: «يا سيدي القسـيس اليوم ليسو، راعية البقر، تأكل في صحن من الخزف، وهذا أمر يجب أن تسـر له بالغ السـرور لأنه مكتوب أنه أمام الله الجميع متساوون، فلماذا لا نكون كذلك أيضا أمام السيد بنتيلا؟ وحين تصبح ربة الضيعة فكن واثقا أنها ستحسن معاملتك، وستحصل على بعض زجاجات من الشراب في عيد



ميلادك. وهكذا ستستطيع أن تواصل الكلام بفصاحة عن عليين[1]، وأنت على المنبر، وهن لن تحتاج بعد ذلك إلى حلب البقرات في أسفل سافلين». (أثناء ما كان ماتي يخطب خطبته العظيمة، كان بنتيلا قد تقدم على الشرفة. وقد أصغى حزينا).

بنتيلا : حين تنتهي من خطبتك، أخبرني. من هؤلاء؟

عاملة التلفون : (ضاحكة) خطيباتك يا سيد بنتيلا، لابد أنك تعرفهن.

بنتيلا : أنا؟ أنا لا أعرف واحدة منكن.

اما المهربة : بلى! وهذا الخاتم، ألا تعرفه؟

فتاة الصيدلية : حلقة حمالة ستارة الصيدلية، في كوركلا؟

بنتيلا : لماذا جئتن إلى هنا؟ ألاعيب؟

ماتي : يا سيد بنتيلا، ربما الوقت غير مناسب، في الصباح، لكننا أردنا فقط إيجاد وسيلة للترفيه في حفلة الخطبة في بنتيلا، وقد شكلنا جمعية خطيبات بنتيلا.

بنتيلا : ولماذا لا تشكلون نقابة؟ أنت حينما تتسكع، لابد أن يحدث شيء من هذا القبيل، أنا أعرفك، وأعرف أية جريدة تقرأ؟

---

(١) المعنى الحرفي في الأصل: «عن المروج السماوية... على المروج الأرضية وقد فضلنا ترجمتها كما ترى لمزيد من قوة التعبير.



اما المهربة : هــذا مجرد مــزاح، وأقصى ما نطمــع فيه فنجان قهوة!

بنتيلا : أنا أعــرف مزحاتكن! لقد أتيتن للابتزاز، من أجل أن ألقي بقطعة من العظم في حلوقكن.

اما المهربة : أبدا، أبدا.

بنتيلا : ســأريكن أنا. كنت لطيفا معكــن، ولهذا أردت أن تســتمتعن بيوم على حسابي أنا! أنصحكن بالخروج من الضيعة قبل أن أطردكن واســتدعي الشــرطة. قولي لــي أنت: أنت عاملة التلفــون في كوركلا، أنا أعرفك! ســأخاطب بالتلفون الآن المكتب المركزي لأســألهم هل يسمحون بمثل هذا المزاح في البريد. وأنتن، سأعرف من أنتن!

اما المهربة : فاهمات. لقد كان هــذا فقط من أجل التذكار، يا سيد بنتيلا، نتذكره في أيام شيخوختنا. سأجلس ها هنا على أرض ضيعتك، حتى أســتطيع أن أقول ذات يوم: «لقد جلست في بنتيلا ذات يوم، وكنت مدعوة». (تجلس على الأرض). ها هنا! ولن يستطيع أحد أن يكذبني وينعتني بأنني كذابة، فهأنذي جالســة. ولا حاجة بي أن أقول إن جلوســي لم يكن على كرسي، بل على نفس أرض تفســتلند التي تقول عنها الكتب المدرسية «التعب الذي تكلفه تدفع ثمنه!»- وهي لا تقول إنه ليس لنفس الشخص. لقد استروحت رائحة عجل محمر؟ ورأيت كتلة من الزبد، ورأيت شــرابا، أليس كذلك؟

(تغني):



هذي البحيرة والجبل

والغيم من فوق الجبل

يا عزها عند التفست

غاب جميل باسم

حتى مساقط[1] ما «أبو»

هل هذا صحيح؟ والآن أنهضني من فوق الأرض لا تدعني جالسة هذه الجلسة التاريخية.

بنتيلا : اخرجي من الضيعة»!

(السيدات الأربع يلقين بتيجانهن على الأرض ويخرجن من الضيعة. وماتي بمكنسة يكوّم القش)

(٨)

«حكاية فنلندية»

(طريق الإقليم، في المساء. السيدات الأربع يعدن إلى بيوتهن).

اما المهربة : لا يعرف الإنسان أبدا في أي مزاج سيجدهم. إذا شربوا مزحوا، ودغدغوك في موضع ما، ويوشكون أن يقتادوك في الحال إلى الخمائل الظليلة. لكن بعد خمس دقائق تنتابهم نوبة، ويكادون أن يستدعوا

(١) ما: «ماء» مع حذف الهمزة للوزن.



الشرطة. لابد أن في حذائي مسمارا.

عاملة التلفون : الكعب تحطم.

راعية البقر : الحذاء لم يصنع للسير به طوال خمس ساعات على الطريق العام.

اما المهربة : صحيح، لقد حطمته، وكان من الواجب أن يتحمل سنة أخرى لابد لي من حصاة.

(الأربع يجلسن، اما تسوي المسمار في حذائها)

اما المهربة : لقد قلت إنه لا يمكن حذر أطوار السادة: مرة هم كذا، ومرة أخرى هم كذا، وهكذا. زوجة رئيس الشرطة السابق كانت مرارا تستدعيني في أعماق الليل لأدلكها حين تكون قدماها منتفختين. في كل مرة كان مزاجها مختلفا عن الأخرى، وكان هذا يتوقف على أحوالها مع زوجها. كان يغازل الخادمة. وفي اليوم الذي أعطتني فيه حلوى، فهمت أنه تخلى عن البنت. ولكن لابد أنه عاد إليها بعد مدة غير طويلة، لأنها فجأة لم تستطع أن تتذكر أنني دلكتها عشر مرات في الشهر، وليس ستا، وقد راحت عبثا تفتش في رأسها، ولكن ذاكرتها انهارت فجأة.

فتاة الصيدلية : كثيرا ما تكون ذاكرتهم جيدة. مثلا بكا الأمريكي Pekka، ذلك الرجل الذي كون ثروة هناك...! بعد عشرين سنة عاد إلى أسرته، وكان أهله من الفقر بحيث كانوا يشحذون من أمي تقشيرات البطاطس.

ولــدى عودتــه، طبخــوا لــه لحــم عجــل محمرا لاســترضائه. فأكلــه، ثم ذكرهم بأنــه في ذات مرة أقرض الجدة عشــرين ماركا. وهز رأســه لما رآهم على هذه الحال من الفقر، وقد ســاءه أن يتخلى عن ماركاته العشرين!

عاملة التلفون : هم شــطار في هذا. لابد لهم من حيلة كي يصيروا أغنياء. في مساء يوم من أيام الشتاء في سنة ١٩٠٨ كان أحد المســتأجرين فــي قريتنا يســوق العربة وفيهــا المالك على البحيرة المتجمدة. وكانا يعلمان أنــه يوجد خرق في الثلج، لكن أيــن، لم يعرفا. كان لابد للمســتأجر أن يمشــي أمامه طوال اثني عشر كيلومتــرا. كان المالك خائفــا، وقد وعده بفرس إن وصلا إلى الجانب الآخر. وحوالي منتصف البحيرة، استأنف كلامه قائلا: «إذا خرجت سالما، ستحصل على عجل». ثم لما رأوا نورا في قرية قال له: «ابذل همتــك إذا أردت الحصــول على الســاعة!» وعلى مســافة خمســين مترا من الشــاطئ وعــده بكيس بطاطس. ولما وصلا أعطاه ماركا وقال له:

«لقد استغرقت وقتا طويلا!»

نحن مغفلات إذاء ألاعيبهم، وفي كل مرة يسيطرون علينا. يبدون كما لو كانوا مثلنا، وهذا هو ما يخدعنا، لو كانوا يشــبهون الدببــة أو الأفاعــي، لكنا أخذنا حذرنا!

فتاة الصيدلية : لا تمزحن أبدا معهم، ولا تقبلن شيئا منهم!



اما المهربة : لا نقبل منهم شيئا هذا جميل حين يكون عندهم كل شيء ونحن لا شيء! لا تشرب قطرة من النهر، حين تموت عطشا!

فتاة الصيدلية : بهذه المناسبة، أنا عطشى جدا.

راعية البقر : وأنا أيضا. كان في كوسالا بنت حملت بولد، لكن في محكمة هلسنجفورس أنكر الوالد كل شيء حتى لا يدفع نفقة. وأم البنت وكلت محاميا، بسط على منضدة المحكمة كل خطابات الغرام التي كتبها هذا الشاب من المعسكر. وكان عليه مع هذا أن ينال خمس سنوات سجنا على شهادة الزور، هذا كان واضحا. غير أن القاضي أنشأ يقرأ بصوت عال الخطاب الأول، وببطء. فاندفعت البنت لاسترداد الخطابات، حتى أن القاضي رفض أن يحكم لها بالنفقة. ويقال إنها كانت تبكي كالنافورة وهي خارجة من المحكمة ومعها خطاباتها الغرامية. وكانت أمها غاضبة، بينما هو، هذا الوغد، كان يضحك! وهكذا كان يحبها!

عاملة التلفون : لقد تصرفت تصرف المغفلة.

اما المهربة : هذا التصرف يمكن تبريره في بعض الأحوال، الأمر يتوقف. هناك شاب من ناحية فيبورج لم يشأ أن يقبل منهم شيئا. وحارب في سنة ١٩١٨ إلى جانب «الحمر». فسجنوه في معسكر في تامرّ سفورس. ولم يعطوه شيئا يقتات به. وكان شابا، فاضطر إلى أكل العشب. وذهبت أمه لزيارته ولإحضار شيء له: ٨٠ كيلومترا طول الطريق! وكانت مستأجرة لقطعة أرض صغيرة، ومالكة هذه الأرض أعطتها سمكة



ورطلا من الزبدة لابنها. ســارت على قدميها، وبين حيــن وحيــن كان أحد الفلاحيــن يحملها في عربة مســافة من الطريق. قالت للفلاح: «أنا ذاهبة لزيارة ابني أتّي Athi في تمرّسفورس Tammersfori، في معسكر «الحمر» ومالكة الأرض أعطتني من أجله سمكة ورطلا من الزبدة، إنها امرأة طيبة حقا». ولما ســمع الفلاح منها هذا الكلام، أنزلها من العربة لأن ابنه كان أحمر. ولما مرت أمام الغسالات على ساحل النهــر، أعادت حكاية قصتها: «أنا ذاهبة لزيارة ابني في تمرســفورس، في معســكر «الحمــر» وصاحبة الضيعة، وهي امرأة طيبة، أعطتني له سمكة ورطلا من الزبدة».

ولما وصلت إلى تمرســفوس كــرر حكايتها على قائد المعسكر. فأخذ في الضحك وسمح لها بالدخول، وإلا فالدخول ممنوع. وكان لا يزال أمام المعســكر عشب، لكن خلف الأسلاك الشائكة لم يكن ثم شيء، ولا نبت أخضر، ولا ورقة في الأشــجار: فقد أكلوا كل شــيء. هذا صحيح، أي والله! وكانت لم تر ابنها «أتي» Athi منذ عامين حدثت فيهما الحرب الأهلية والأسر.

وكان قد صار هزيلا نحيلا كالمسمار. «اسمع! أنت، يا أتي»! انظر: ســمكة وزبدة، إنها مالكة الأرض هي التي أعطتنــي كلتيهما من أجلــك.» فحياها «أتي»، وســأل عن أخبــار نوبات الروماتيــزم عندها، وعن أخبــار الجيران. أما الســمك والزبــدة فقد رفض رفضــا باتا أن يأخذهما. بــل إنه غضب وقال لأمه:



«لقد شحذت هذا من مالكتك؟ إذن احمليه كله، فأنا لا أقبل شيئا من هؤلاء الناس».

وكان عليها أن تعيد حزم هديتها، ورغم ذلك كان «أتي» جائعا. وودعته. وعادت أدراجها على قدميها، وأحيانا في عربة إذا وجدت عربة. وفي هذه المرة قالت للفلاح: «ابني أتي» في معسكر الاعتقال لم يرد أن يأخذ السمك ولا الزبدة، لأنني شحذتها من المالكة، إنه لا يقبل شيئا من هؤلاء الناس».

وكان الطريق طويلا، وكانت هي عجوزا. وبين الحين والحين كانت تجلس على حافة الطريق وتأكل قليلا من السمك والزبدة، لأنهما لم يعودا طازجين تماما وبدأت رائحتها تفوح قليلا. وعلى طول النهر كانت تقول للغسالات: «ابني» «أتي» في معسكر الاعتقال لم يرد أن يأخذ السمك ولا الزبدة، لأنني شحذتها من المالكة، إنه لا يقبل شيئا من هؤلاء الناس. «وكانت تكرر هذا الكلام لكل من تلقاه، وهذا أدهش الناس طوال الطريق، الذي طوله ٨٠ كيلو مترا.

راعية البقر : هناك ناس مثل ابنها «أتي» Athi.

اما المهربة : قليلون جدا.

(ينهضن ويواصلن السير في صمت)

(٩)

بنتيلا يعطي ابنته لرجل



(قاعة الطعام، وفيها موائد صغيرة «وبوفيه» هائل. القسيس، والقاضي والمحامي واقفون، يدخنون وهم يتناولون القهوة. بنتيلا جالس في ركن ويشرب في صمت. وفي ناحية، رقص على صوت فونوغراف).

القسيس : من النادر العثور على إيمان صادق. لا يجد المرء غير الشك وعدم الاكتراث حتى إن المرء قد أصابه القنوط من حال شعبنا. ولقد حاولت أن أدخل في رأسهم أنه بدون الله لا يثمر التوت ولكنهم يجدون هذه أمرا طبيعيا: أن تنتج الطبيعة ثمارها، وهم يلتهمون هذه الثمار كما لو كانت حقا مفروضا لهم. ولابد أن نعزو عدم الإيمان هذا إلى كونهم لا يذهبون إلى الكنيسة ويتركونني أعظ أمام مقاعد خالية، كما لو كانوا لا يملكون من الدراجات ما يكفيهم للحضور! كل راعية بقر عندها دراجة. لكن الخبث فطري فيهم. وبغير هذا لا يمكن تفسير ما وقع لي في الأسبوع الماضي حين كنت عند مريض أشفى على الموت. كنت أحدثه عما ينتظر الناس في العالم الآخر، فهل تعرفون بماذا أجاب؟ لقد أجاب قائلا: «هل تعتقد أن البطاطس ستتحمل المطر؟» إن هذا يجعلني أسائل نفسي عما إذا كنت لا أقضي كل نشاطي في عمل ضائع!

القاضي : أنا أقدر ما تقول. إن توزيع النور على مثل هذه الخروق ليس بالأمر السهل.

المحامي : وأيضا نحن المحامين ليست حياتنا سهلة. إنهم

صغار الفلاحين هم الذين مكنونا من الحصول على لقمة العيش دائما، إنهم قوم عقولهم كالمساحي يفضلون التسول على التنازل عن حقوقهم. وليس هذا لأن خصوماتهم قلت، وإنما بخلهم هو الذي يمنعهم من رفع الدعاوى. إنهم مستعدون للتنكيل بعضهم ببعض أسوأ تنكيل ممكن، وللمبارزة بالسكاكين، ولوطء بعضهم بعضا بخيولهم العرجاء، لكن حين يرون ما تكلفه العدالة، يتخلون في الحال عن كل شيء، ويتنازلون عن أجمل قضية، وكل هذا حبا في المال.

القاضي : هذا زمان سيطرة التجارة. كل شيء يصير تافها، والزمن القديم العظيم يزول. كيف لا نيأس من الشعب، ولا نتخلى عن الأمل في تزويده ببعض النور؟ هذا أمر صعب جدا.

المحامي : أما بنتيلا فما عليه إلا أن يزرع مزروعاته. أما أن يرفع قضية، فهذا أمر دقيق. قبل إنضاج القضية، هناك متسع من الوقت لإنبات شيبة الرأس. وكم من مرة يقول المرء: «الآن قضي الأمر، ولا محل بعد للاستمرار، ولا شهادات جديدة منتظرة، ستموت القضية وهي شابة، ومع ذلك تنهض من جديد وتسترد قوتها. حينما تكون القضية وليدة لابد من اتخاذ كافة الاحتياطات لأن نسبة الوفيات عالية



جدا في هذه السن[1]. فإذا غذيت تغذية جيدة في البداية، استطاعت أن تشق طريقها ببراعة وحدها. والقضية التي عمرها أربع أو خمس سنوات يكون من حظها أن تبلغ سنا متقدمة. لكن قبل أن تصل إلى هذا، هيهاتَ! أي حياة كلاب نحياها!

(الملحق يدخل مع زوجة القسيس)

زوجة القسيس : يا سيد بنتيلا، يجب عليك أن تحتفل بضيوفك، إن سيادة الوزير يرقص الآن مع الآنسة إيفا، لكنه يسأل عنك.

(بنتيلا لا يجيب)

الملحق : زوجة القسيس أجابت الوزير بجواب لطيف للغاية. لقد سألها هل تحب الجاز Jazz. فهل تعرفون بماذا أجابت؟ لقد كنت أنتظر الجواب بتطلع شديد. فكرت قليلا ثم قالت: «طالما كان الأمر لا يتعلق بالرقص على موسيقى الأرغن الكبير، فلا يهم أي آلات موسيقية تستخدم للرقص! «فضحك الوزير حتى كاد أن يموت من الضحك. فما رأيك يا بنتيلا؟

بنتيلا : ليس لي رأي، إذ ليس لي أن أنتقد ضيوفي.

(يشير إلى القاضي بالاقتراب): يا فردريك، هل هذا الوجه يعجبك؟

القاضي : أي وجه؟

(١) كلام المحامي كله عن «القضية» ويشبهها ها هنا بالإنسان



بنتيلا : وجه الملحق. تكلم، وبجد.

القاضي : انتبه يا يوهان، فإن الشراب قوي.

الملحق : (يدندن بالنغمة الصادرة من الموسيقى، ويوقع ميزانها برجله): هذا يغري المرء بالرقص، أليس كذلك؟

بنتيلا : (يشير إلى القاضي مرة أخرى، والقاضي يحاول ألا يراه) فردريك! قل لي الحقيقة! ما رأيك في هذا الوجه؟ إنه يكلفني غابة.

(سائر الضيوف يدندنون لحن الأغنية: «أنا أبحث في تيتين..»)

الملحق : (ببراءة) لا أستطيع أبدا حفظ الكلمات، ولما كنت في المدرسة لم يكن عندي ذاكرة، أما اللحن الإيقاعي فهو في دمي.

المحامي : (وقد أبصر انفعالات بنتيلا العنيفة) الجو هنا حار قليلا، لنذهب إذن إلى الصالون.

(يريد أن يقتاد الملحق)

الملحق : ومع ذلك حفظت منذ مدة قليلة جملة من أغنية، وهذه الجملة هي: «ماعندنا موز» We have no bananas. لم يضع إذن كل أمل..

بنتيلا : فردريك، انظر قليلا إلى هذا الرأس واحكم، يا فردريك؟

القاضي : هل تعرف حكاية اليهودي الذي نسي معطفه في



المقهى؟ قال المتشائم: «أراهن أنه سيعثر عليه!» والمتفائل قال: «أراهن أنه لن يعثر عليه!».

(الضيوف يضحكون)

الملحق : وهل عثر عليه؟

(الضيوف يضحكون)

القاضي : أعتقد أنك لم تفهم النكتة تماما.

بنتيلا : فردريك!

الملحق : اشرح لي. يخيل إليّ أنك عكست الأجوبة. المتفائل هو الذي يقول: «سيعثر عليه!».

القاضي : لا، بل المتشائم. حاول أن تفهم، فالنكتة ها هنا: ذلك أن المعطف كان مستهلكا إلى حد أن الأفضل أن يفقده!

بنتيلا : (ينهض، مكتئبا) الآن جاء دوري. لماذا أتحمل مثل هذا الرجل؟ لقد وجهت إليك يا فردريك سؤالا جديا؛ أتراني أدخل في أسرتي رأسا كهذا؟ أنت ترفض الإجابة، وهذا حسن، فأنا من الكبر بحيث أستطيع أن أقرر بمفردي. الرجل الذي ليس عنده روح النكتة ليس رجلا. (بجد): اترك بيتي، نعم، أنت، ولا تعد، كما لو كنت أتكلم عن شخص آخر.

القاضي : بنتيلا، لقد جاوزت الحد.

الملحق : أرجوكم يا سادة أن تتفضلوا بنسيان هذا الحادث.

أنتــم لا تدركون إلى أي مدى وضع أعضاء الســلك الدبلوماســي مزعــزع. تكفي أبســط وصمة خلقية لفقدان الموافقة Agrement. في باريس، في حي مونمارتر، حماة سكرتير المفوضية الرومانية انهالت على عاشــقها بضربات من مظلتها. فكانت فضيحة في الحال.

بنتيلا : جراد بثياب رسمية! جراد ملتهم للغابات!

الملحق : (بسرعة) إما أن يكون لها عاشق، فهذه هي القاعدة الشائعة، أما أنها ضربته، فهذا يمكن تصوره، أما أن يكون ضربها إياه بالمظلة، فهذا سوقي Vulgaire. وهنا النقطة الدقيقة.

المحامي : يا بنتيلا، إنه على حق. إنه حساس جدا فيما يتعلق بمسألة الشرف، إنه في السلك الدبلوماسي.

القاضي : الشراب قوي جدا عليك يا يوهان.

بنتيلا : يا فردريك، أنت لا تدرك خطورة الموقف.

القسيس : الســيد بنتيلا عصبي شــيئا ما، أنّا، تســتطيعين الانتقال إلى الصالون.

بنتيلا : يا ســيدتي العزيزة، لا تقلقي، فأنا مســيطر على أعصابي تماما. والشراب عادي. ولكن الشيء الذي لا أستطيع تحمله هو رأس هذا الرجل، فهو لا يدخل في حلقي أبدا، وأنت تدركين السبب.

الملحق : الأميرة بيبســكو امتدحت كثيرا روح النكتة عندي



فقد قالت لليدي أوكسفورد Lady Oxford: «إن روحه نفاذة إلى درجة أنه إذا قيلت نكتة أو مزحة، فإنه يضحك عليها مقدماً». وهذا يثبت أنني أفهم بسرعة.

بنتيلا : انظر إلى خفة ظله، يا فردريك!

الملحق : طالما لم ينطق باسم، فلا يزال هناك مجال لإصلاح الأمر. ولكن فقط حين يصل الأمر إلى حد ذكر الأسماء مصحوبة بالإهانات فهنا يقع ما لا يمكن إصلاحه.

بنتيلا : (متضايقا، وبتهكم) يا فردريك، ما العمل؟ لقد نسيت اسمه، ولن أستطيع أبدا التخلص منه. الحمد لله، الآن أتذكر اسمه. لقد قرأته على سند دين. اشتريته من أجل إنقاذه. اسمه إينو سيلاكا. لعله يرحل الآن!

الملحق : يا سادة، لقد نطق باسم. ابتداء من هذه اللحظة. ينبغي وزن أقل كلمة بميزان الذهب.

بنتيلا : أسقط في يدنا. (يصيح فجأة بعنف): اخرج من هنا فورا ولا نرى وجهك بعد ذلك في بنتيلا، لن أعطي ابنتي إلى جراد بملابس رسمية..

الملحق : (متلفتا نحوه) بنتيلا، لقد صرت مُهينا. إنك تتجاوز الحد الدقيق للفضيحة إذ تطردني من بيتك.

بنتيلا : هذا كثير جدا! لا أستطيع أكثر من هذا. أردت أن



أجعلك تفهم، برفق إن شكلك يرهق أعصابي. وإن الأولى بك أن تختفي، لكنك ترغمني على التصريح وأن أقول لك: «امش أيها القذر!».

الملحق : بنتيلا، سأتأثر من هذا الكلام. إن لي كرامة، يا حضرات السادة.

(يخرج)

بنتيلا : ليس بهذا البطء! أريد أن أراك تعدو، أريد أن أعلمك ألا ترد عليّ بأجوبة وقحة.

(يجري وراءه. الكل يتبعونه، فيما عدا زوجة القسيس والقاضي).

زوجة القسيس : تحولت الحكاية إلى فضيحة.

(تدخل إيفا)

إيفا : ماذا جرى؟ لماذا هذه الضجة في الغناء؟

زوجة القسيس : (وهي تجري نحوها) أوه، يا بنتي، لقد حدث شيء مزعج لا بد لك من التسلح بقدر كبير من الشجاعة.

إيفا : لكن ما الذي حدث؟

القاضي : (يتناول كأس الشراب اشربي هذا، يا إيفا. إن أباك أفرغ في جوفه زجاجة منه، وفجأة أصابته نوبة لما رأى وجه إينو، فطرده.

إيفا : (وهي تشرب) «للشراب طعم الفلين، خسارة. ماذا



قال له إذن؟

زوجة القسيس : ماذا، ألست متأثرة يا إيفا؟

إيفا : بلى، أنا متأثرة جدا.

(يعود القسيس)

القسيس : هذا مخيف!

زوجة القسيس : ماذا جرى؟ ماذا حدث أيضا؟

القسيس : منظر مخيف في الفناء. لقد طارده راميا إياه بالحجارة.

إيفا : وأصابه؟

القسيس : لا أعرف. لقد تدخل المحامي بينهما. كل هذا يحدث، والوزير موجود هنا في الصالون.

إيفا : يا عم فردريك، أنا الآن شبه متأكدة من أنه سيذهب. لحسن الحظ دعونا الوزير، وإلا لنقصت الفضيحة إلى النصف.

زوجة القسيس : إيفا!

(يدخل بنتيلا، يتبعه ماتي، ووراءه لاينا وفينا).

بنتيلا : لقد ألقيت نظرة عميقة على حضارة هذا العالم. كنت قد دخلت الصالون ونفسي مفعمة بأحسن النوايا. وأعلنت لهم أنه ارتكبت غلطة، وإنني كنت على وشك أن أعطي ابنتي الوحيدة إلى جراد، لكن



هأنــذا أبادر فأعطيها إلى رجل شــريف وقلت لهم: «لقد قررت منذ وقــت طويل أن زوج ابنتي من رجل شــريف، هو ماتي ألتونن، وهو ســائق جيد وصديق لي. هيا اشــربوا جميعا على صحة هذين الزوجين الشابين الســعيدين».فماذا تظنونهم فعلوا؟ الوزير، وكنت أعتقد أنه رجل مستنير، نظر إليّ كفطر غراب ســام، وطلب إحضار سيارته. والآخرون طبعا حذوا حذوه كالنسانيس. هذا مؤلم! لقد صرت كأني شهيد مسيحي أمام الأسود، ولم أخف مشاعري. لقد رحل الوزير بســرعة. لكن لحسن الحظ استطعت اللحاق به، قبل أن تســير الســيارة، وقلت له إنني أعده هو الآخــر رجلا قــذرا. وأعتقد أنني بهــذا عبرت عن رأيكم جميعا.

ماتي : يا ســيد بنتيلا، أعتقد أنه يجــب علينا أن نذهب إلى المطبخ، ونبحث في المســألة حول زجاجة من الشراب.

بنتيلا : لمــاذا في المطبخ؟ خطبتكما لــم يحتفل بها بعد، والخطبة الأخــرى كانت غلطة. ضربــة في الهواء. ضم المناضد الصغيرة واصنع منها منضدة كشراب لإقامة الاحتفــال. لنبدأ، فينا، اجلســي إلى جانبي (يجلس في وســط الصالة، وأمامــه يكون الآخرون منضدة كشــراب مؤلفة من المناضد الصغيرة، إيفا وماتي يذهبان معا لإحضار كراسي).



إيفا : لا تنظر إليّ هكذا. شكلك يشبه والدي حينما تقدم إليــه في الإفطار بيضة فاســدة الرائحة. منذ قليل كنت تنظر إليّ نظرة أخرى، تذكر هذا.

ماتي : كان ذلك لأسباب شكلية.

إيفا : الليلــة الماضيــة، لما أردت أن تصطــاد معي في الجزيرة، لم تفكر أبدا في الحلازن.

ماتي : كان الوقت ليلا، ولم أكن أيضا أفكر في الزواج.

بنتيلا : يا حضرة القسيس، اجلس إلى جانب فتاة المطبخ! (يوجه الكلام إلى زوجة القسيس): يا سيدتي، اجلسي إلى جانب الطباخة! يا فردريك مرة في العمر اجلس إلى مائدة كما ينبغي.

(الكل يجلسون مكرهين. صمت)

زوجة القسيس : (مخاطبــة الطباخة) هل علّبــت فطر الغراب لهذا العام؟

لاينا : أنا لا أعلبه، بل أتركه يجف.

زوجة القسيس : كيف؟

لاينا : أقطعه قطعا، وأسلكه في خيط بالإبرة وأعلقه في الشمس.

بنتيلا : أود أن أقول بضع كلمات عن خطيب ابنتي. يا ماتي! لقد درستك سرا، وكوّنت لنفسي فكرة عن أخلاقك. الحــق أنه منذ جئت إلى بنتيلا لم تتكســر ماكينات،



لكن لنتــرك هذا، إن ما أقدره فيــك هو الرجل. لم أنس حادث هذا الصباح.. لاحظت نظرتك، بينما أنا كنت واقفا في الشــرفة مثل نيرون وطردت ضيوفي الأعــزاء وأنا فــي عماي الأحمق. لقــد حدثتك من قبــل عن نوباتــي. وربما لاحظت أننــي بقيت طول المأدبة جالســا، صامتا منطويا على نفســي- وإذا لم تكــن هناك، فلابد أنك عرفــت ذلك. ذلك أنني تصورت النســوة الأربع وهن عائدات على أقدامهن إلى كوركلا، متعثرات متحاملات على أنفسهن، دون أن يتناولن ولا حتى جرعة من الشراب لم أقدم إليهن غير كلمات بذيئة. ولن يدهشني بعد هذا أن يشككن فــي بنتيــلا. والآن أريد أن أوجه إليك ســؤالا: هل تستطيع أن تنسى هذا، يا ماتي؟

ماتي : نســيته، انتهى. لكن قل لابنتك بما لك من ســلطة إنها لا يمكنها أن تتزوج سائقا.

القسيس : تماما.

إيفا : بابــا! ماتــي وأنا تحادثنا بالأمــس بينما كنت غير موجود. إنه لا يعتقد أنك ســتعطينا مصنعا لنشــر الأخشاب، ويظن أنني لن أتحمل العيش معه كمجرد زوجة سائق.

بنتيلا : ما رأيك في هذا يا فردريك؟

القاضي : لا تســألني يا يوهان، ولا تنظــر إلــيّ كقنص جرح حتى الموت. اسأل لاينا.



بنتيلا : لاينا، أتوجه إليك أنت بالأسئلة. أتعتقدين أنني قادر على الشح حين يتعلق الأمر بابنتي؟ وهل تعتقدين أنني سأقدم على إعطائه مصنعا لنشر الخشب، وطاحونة وفوق هذا غابة؟

الطباخة : (وقد توقفت عن محادثة هامسة مع زوجة القسيس تدور حول فطر الغراب، كما يتبين من إشارتهم) سأعمل لك قهوة، يا سيد بنتيلا.

بنتيلا : يا ماتي. هل تستطيع أن... بالطريقة المناسبة؟

ماتي : هكذا يقال.

بنتيلا : هذا لا شيء. فهل تستطيع ذلك بطريقة غير مناسبة؟ هذه هي المسألة الرئيسية. لكني لا أنتظر منك أي جواب، فأنا أعرف أنك لا تمدح نفسك، فهذا يزعجك. لكن هل... مع فينا؟ غير أني أستطيع أن أسألها عن هذا. أليس كذلك؟ أنا لا أفهم هذا.

ماتي : أرجو أن تترك هذا الموضوع، يا سيد بنتيلا.

إيفا : (وكانت قد شربت أكثر مما ينبغي، تقف وتلقي خطبة) يا ماتي العزيز! أرجوك أن تقبلني زوجة لك، حتى يكون لي رجل مثل الآخرين، وإذا أردت فلنذهب توا لصيد الحلازن، حتى بدون شبكة. لا أعتقد أنني خارقة للعادة، كما تظن، وأشعر في نفسي بالقدرة على العيش معك، حتى لو كان ذلك في ضيق.

بنتيلا : برافو!



إيفا : لكن إذا لم تشأ الذهاب لصيد الحلازن، وبدا لك هذا أمرا غير جاد، فإني مستعدة أن أملأ بسرعة حقيبة يد وأذهب معك إلى أمك. ولن يقول أبي شيئا.

بنتيلا : بالعكس، أنا موافق ومرحب بهذا.

ماتي : (ينهض فورا ويشرب كأسين متواليتين) يا آنسة إيفا، أنا على استعداد لأن أرتكب معك كل الحماقات التي تبغينها، أما أن أقتادك إلى أمّي، فهذا لا أستطيعه، لأن ذلك سيحدث لهذه العجوز الطيبة صدمة. هل تعرفين أنه لا يوجد في بيتنا غير أريكة واحدة؟ يا حضرة القسيس، صف إذن بيتنا للآنسة إيفا: مطبخ في غاية الفقر ومجرد موضع للنوم!

القسيس : (بجد) فقير جدا في الواقع.

إيفا : وما الداعي إلى وصفه؟ سأراه بنفسي.

ماتي : وستسألين أمي أين الحمام؟

إيفا : سأذهب إلى حمام البلدية.

ماتي : بنقود السيد بنتيلا؟ إن في ذهنك مالك مصنع نشر الخشب. لا تحسبي له حسابا، فغدا صباحا حين يفيق السيد بنتيلا ويعود إلى رشده، سيصير من جديد رجلا عاقلا.

بنتيلا : اسكت. لا تتكلم عن هذا البنتيلا، عدونا جميعا. لقد غرق هذه الليلة في زجاجة من الشراب هذا



الرجل الشــرير أنا الآن علــى حقيقتي، لقد صرت كائنا إنســانيا. اشربوا أنتم أيضا، صيروا إنسانيين، ولا تيأسوا!

ماتي : أقول لك هذا مستحيل. سترميني أمي «بشبشبها» على أم رأسي لو تجاســرت على أن آتيها بمثل هذه الزوجة. هذه هي الحقيقة، إذا شئت أن تعرفيها.

إيفا : يا ماتي، ما كان ينبغي لك أن تقول هذا.

بنتيلا : هذا صحيــح يا ماتي، لقد تجاوزت الحدود قليلا. لإيفا عيوبها. ومن الممكن أن تسمن قليلا مثل أمها، لكن لن يقع هذا قبل بلوغها ســن الثلاثين. أما الآن فهي مقبولة جدا.

ماتي : لا يهم أن تســمن أو لا تســمن، إنمــا الأمر يتعلق بافتقارها إلى الروح العملية. أنا أدعى أنها لا تصلح أن تكون زوجة لسائق.

القسيس : وهذا رأيي تماما.

ماتي : لا تضحكــي يا آنســة إيفا. لن تكــون لديك رغبة في الضحك إذا وضعتك أمــي بوضع الامتحان. بل ستكونين حينئذ في مركز حرج جدا.

إيفا : لنحاول يا ماتي إذن! أنت ســائق، وأنا زوجتك، قل لي ما يجب عمله.

بنتيلا : هذا مجرد كلام هات الشطائر يا فينا، ولنأكل أكلة بســيطة، وأنت يا ماتي عليك أن تمنحها حتى تعصر



عصرا.

ماتي : ابقي جالسة يا فينا، فليست عندنا خدمة، إذا جاء زوار فجأة، قدمنا إليهم المعتاد. اذهبي وأحضري الرنجة يا إيفا!

إيفا : (بفرح) حاضر!

(تخرج)

بنتيلا : (يصيح لها) لا تنسي الزبدة! (مخاطبا ماتي): يعجبني تصميمك على الاستقلال وعدم قبول شيء مني. ليس كل الناس يفعلون هذا.

زوجة القسيس : (مخاطبة الطباخة) أما أنا فلا أضع الفطر في الملح، بل أطبخها مع الليمون والزبدة. ولا بد أن تكون صغيرة مثل الزراير كذلك أنا أعقب الفطر اللبني.

الطباخة : الفطر اللبني ليس فطرا جيدا، لكن طعمه حسن. الفطر الجيد حقا هو الفطر الطبقي (الشامبنيون) والفطر الحجري Steinpilyz.

إيفا : (تعود ومعها صحن من الرنجة) ليس في مطبخنا زبدة، أليس كذلك؟

ماتي : آه، ها هو ذا! أنا أعرفه. (يأخذ من يدها الصحن). رأيت أخاه بالأمس، وآخر من فصيلته في أمس الأول، وهكذا. وأعرف الكثيرين من أبناء أسرته منذ أن صرت آكل في صحن. كم مرة في الأسبوع ستأكلين



رنجة؟

إيفا : ثلاث مرات يا ماتي، إن اقتضى الأمر!

لاينا : لكن الأمر سيقتضي منك أن تأكلي مرات أكثر، شئت أو أبيت!

ماتي : عليك أن تتعلمي أشياء كثيرة جدا . أمي، وكانت طباخة في ضيعة، كانت تقدمها خمس مرات في الأسبوع، ولاينا ثماني مرات! (يمسك بالرنجة من ذيلها). تحياتي أيتها الرنجة، ياقوت الفقير! أنت يا من تشبعيننا في كل أوقات النهار، بخلك الذي يلوي مصاريننا! أتيت من البحر وستعودين إلى التراب. أنت القوة التي تجندل غابات الصنوبر، وتملأ الحقول بالبذور، وتدير الآلات التي تسمى الخدم والفعلة.. الذين ليسوا حركة أزلية أبدية. أيتها الرنجة، يا كلبة، لو لم توجدي لطالبنا الضيعة بلحم العجل، لكن ماذا سيصبح مصير فنلنده حينئذ؟

(يضع الرنجة عن الصحن، ويقطعها، ويقدم قطعة منها لكل واحد من الحاضرين).

بنتيلا : طعمها لذيذ جدا، فأنا نادرا ما آكل منها. وهذا عدم مساواة ينبغي ألا يكون موجودا. لو توقف الأمر عليّ، لوضعت كل ريع الضيعة في صندوق وللخدم والفعلة أن يأخذوا مما فيه من مال عند الحاجة. هذا حق، إذ بدون عملكم سيكون الصندوق خاويا. ألست على حق؟



ماتي : لا أنصحك بفعل هذا . فسرعان ما تفلس، ويستولي البنك على كل شيء.

بنتيلا : أنت تقول هذا، أما أنا فلا أقوله. أنا شبه شيوعي، ولـــو كنت خادمـــا، لحولت حياة بنتيـــلا إلى جحيم. استمر في امتحانك، هذا يشوقني.

ماتي : حين أفكر فيمـــا ينبغي أن تكون عليه الزوجة التي آتي بها إلى أمي، أفكر فورا في جواربي.

(يخلع حذاءه ويعطي جوربا لإيفا): هل تستطيعين مثلا رفو هذا؟

القاضي : أنـــت تطلـــب الكثير. فيما يتعلـــق بالرنجة، لم أقل شيئا، لكن حب جولييت لروميو ما كان ليصمد أمام مثل هذا الطلب. رفو الجـــوارب! الحب القادر على مثل هذا الإنـــكار للذات لا بد أن يصبح مزعجا بعد قليل. والوجدانات المفرطة في العنف ستقضي بك عاجلا أو آجلا إلى المثول أمام المحاكم.

ماتي : فـــي الطبقات الدنيا يتم رفـــو الجوارب ليس فقط على سبيل الحب، بل وأيضا على سبيل الاقتصاد.

القسيس : لا أعتقد أن الآنســـات الطيبات اللواتي ربينك في بروكسل قد فكرن أبدا في هذه الإمكانية.

(إيفا تعود ومعها خيط وإبرة، وتشرع في الخياطة).

ماتي : هذه فرصة لتعوض مـــا فاتها من تعليم. (مخاطبا إيفـــا): لن آخـــذ عليك النقص فـــي تعليمك مادمت



تبدين عن عزم طيب. لم يكن لك حظ مع أهلك، وهم لم يعلموك شـيئا مفيدا. والرنجة منذ قليل كشفت عن نواحي نقص هائلـة في معلوماتك. وأنا اخترت الجـوارب عن قصـد، لنرى ماذا يمكن أن يسـتفاد منك.

فينا : أستطيع أن أرى الآنسة إيفا.

بنتيلا : تعلمي يا إيفا، فعقلك جيد، وفي وسعك أن تفلحي في هذا.

(إيفا تقدم الجورب إلى ماتي بتردد. يرفع الجورب أمامه ويتأمله وهو يبتسم ابتسامة مرة: إذ يتبين له أن الجورب قد فسد نهائيا).

فينا : بـدون بيضة الرفو لن أسـتطيع أن أفعل خيرا من هذا.

بنتيلا : لماذا لم تستعملي بيضة؟

ماتي : جهل! (مخاطبا القاضي الذي يضحك) لا تضحك الجورب مات.

(مخاطبا إيفا): هذه ستكون كارثة في بيت سائق: فعلى قدر لحافك مـد رجليك، ولحافه قصير إلى درجة لا تتصورينها. غيـر أني أعطيك فرصة أخرى، فحاولي أن تتجحي هذه المرة.

إيفا : أعترف بأنني لم أنجح في مسألة الجورب.

ماتي : أنا سـائق في ضيعة وأنت تسـاعدين في الغسيل،



وفي الشـــتاء توقدين الموقد. وأنا أعود في المساء، فماذا تصنعين معي؟

إيفا : في هذا سيســـير الأمر أحســـن، يا ماتي. عد إلى البيت!

(ماتي يخطو بضع خطوات إلى الوراء، ويتظاهر بالدخول من الباب).

إيفا : ماتي!

(تهرع إليه وتقبله)

ماتي : أول غلطـــة: المداعبـــات والمغـــازلات حين أعود متعبا.

(يتظاهر بالذهاب إلى حنفية ويغسل يديه. ثم يبسط يده لتناول فوطة).

إيفا : (تأخـــذ في الثرثرة) أي ماتي المســـكين، هل أنت متعـــب؟ فظيع كل هذا الإجهـــاد لقد فكرت في هذا طول النهار.. بودي أن أسرّي عنك.

(فينا تضع فوطة في يدها، فتقدمها إلى ماتي وعليها سيما اليأس).

إيفا : اعذرني، لم أفهم ما أردت.

(ماتي يدمدم دون رفق، ويجلس على كرسي بالقرب من المنضدة. يقدم إليها حذاءه الطويل. تحاول هي أن تنتزعه من رجله)

بنتيلا : (وقد نهض وتابع الحكاية بقلق) شدّي!

القسيس : أنا أعد هذا درسا مفيدا جدا. فها أنتم ترون أن كل



هذا مناف للطبيعة.

ماتي : ولا يجري الأمر هكذا دائما، لكنني اليوم مثلا كنت أســوق الجرار، وهأنذا نصف ميت، وهذا يمكن أن يحدث. ماذا فعلت اليوم؟

إيفا : الغسيل، يا ماتي.

ماتي : كم قطعة أعطوك لغسلها؟

إيفا : أربع، ولكنها ملاءات سرير.

ماتي : فينا، قولي لها.

فينا : لقد غســلت منها على الأقل ســبع عشــرة، وسعة برميلين من الملابس المختلفة.

ماتي : هل حصلت على الماء مــن الأنبوبة، أو اضطررت إلى اســتعمال الجردل كما يحــدث في بنتيلا حيث الأنبوبة مكسورة؟

بنتيلا : هات من كلامك اللاذع يا ماتي، فأنا رجل شرير.

إيفا : من الجردل.

ماتي : أفســدت أظافرك (يرفع يدها) من حك الغسيل أو من إشــعال النار. ويحسن بك أن تضعي عليها بعض الشــحم، مع الزمــن صارت يدا أمي هكذا (يشــير بإشــارة)، وحمراوين تماما، أظن أنك متعبة، لكن لا بد لك من غســل بزتي الرســمية، فأنا محتاج اليها نظيفة غدا.



إيفا : حاضر، يا ماتي.

ماتي : غـدا صباحا إذن سـتكون جافة، ولـن تحتاج بعد ذلك إلا إلى المكوى، وإذن لا داعي لاستيقاظك قبل الساعة الخامسة والنصف صباحا.

(ماتي يبحث بيده عن شيء على المنضدة)

إيفا : (قلقة) ماذا؟

فينا : جريدة!

(إيفا تقفز وتتظاهر بأنها تقدم جريدة إلى ماتي. لا يأخذها، بل يستمر في تلمس شيء على المنضدة ووجهه عابس).

فينا : على المنضدة.

(إيفا تضع الجريدة على المنضدة، ولكنها لم تخلع الحذاء الطويل الآخر، وهو يضرب الأرض برجليه في ضيق. إيفا تجلس على الأرض، وبعد أن تخلع حذاءه تقف وتلتقط نفسها وترتب شعرها).

إيفا : انظر إلى مبدعتي، لقد خطتها بنفسي، إنها تعطي بعـض التلويـن، أليس كذلـك؟ يمكـن اتخاذ بعض الألوان، فليس هذا غالبا، يكفي فقط أن يكون هناك ذوق. هل تعجبك يا ماتي؟

(ماتي، وقد أزعج، وهو يقرأ الجريدة، يدعها تسقط من يده بحركة متعبة، وينظر إلى إيفا بألم. تصمت خائفة).

فينا : لا تكلميه حين يقرأ الجريدة.



ماتي : (ناهضا) هل رأيت؟

بنتيلا : إيفا، أنت خيبت أملي.

ماتي : (بنوع من الإشـفاق) فشل في كل شيء. الرنجة: لا تستطيع أن تأكل منها غير ثلاث مرات في الأسبوع؛ بيضة الرفو: تتنساها؛ وفي المساء حين أعود، ليس لديها حتى اللباقة كي تسكن! حسن، والآن إذا طلبوني في الليل لاستقبال العجوز في المحطة؟ ماذا يحدث؟

إيفا : سترى! (تتظاهر بالذهاب إلى النافذة وتصيح إلى الخارج، بسرعة جدا) ماذا، في أعماق الليل؟ حينما عاد زوجي منذ قليل وهو في حاجة إلى النوم؟ هذا فظيع! أما على السيد إلا أن يفيق في الخندق: لن أدع زوجي يخرج، وسأخبئ بنطلونه!

بنتيلا : هذا حسن، أعترف!

إيفا : إما توقفون دق الجرس هكذا حين يكون الناس نائمين؟ أما يكفي العمل المرهق طول النهار؟ حين يعود زوجي، يسقط في الفراش كما لو كان ميتا. أنا مستقيل. أليس هذا أحسن؟

ماتي : (ضاحكا) ممتاز، يا إيفا! سيطردونني، هذا أمر لا شك فيه، لكن لو فعلت هذا أمام أمي، كسبناها.

(من باب المزاح يربت على ظهر إيفا)

إيفا : (في ذهول تام أولا، ثم بغضب شديد) كف!

ماتي : ماذا؟

إيفا : كيف تجرؤ على أن تضربني في هذا الموضع؟

القاضي : (ينهض ويربت على كتف إيفا) أخشى أن تكوني في نهاية الأمر قد رسبت في الامتحان، يا إيفا!

بنتيلا : ماذا جرى لك؟

ماتي : هل شعرت بإهانة؟ ما كان يخلق بي أن أفعل هذا، أليس كذلك؟

إيفا : (تضحك من جديد) بابا، أسائل نفسي حقا هل هذه المسألة ستسير.

القسيس : أخيرا، وصلنا إلى النتيجة.

بنتيلا : كيف تسائلين نفسك؟

إيفا : بدأت أعتقد أن تربيتي ناقصة. أنا عائدة إلى غرفتي.

بنتيلا : لابد لي من تدارك الأمر. اجلسي حالا في مكانك يا إيفا!

إيفا : بابا، الأحسن أن أذهب. اصرف النظر عن هذه الخطبة، أنا خائفة. ليلة سعيدة!

(تخرج)

بنتيلا : إيفا!



(القسيس والقاضي يتهيآن أيضا للذهاب. لكن زوجة القسيس لاتزال تواصل مع الطباخة حديثهما عن الفطر)

زوجة القسيس : (بحماسة) كدت أن تقنعيني، لكنني تعودت أن أضعه في الملح، فأنا أكثر اطمئنانا إلى هذه الطريقة. لكنني أزيل قشرتها أولا.

لاينا : لا داعي. يكفي إزالة التراب.

القسيس : تعالى يا أنّا، فالوقت متأخر.

بنتيلا : إيفا! يا ماتي، لقد فرغت من أمرها. أجد لها زوجا، رجلا طيبا، وأرتب كل شيء من أجل هنائها، وكانت ستنهض كل صباح وهي تغني كأنها اليمامة. وتتلطف وتتساءل! أنا أطردها! (يهرع نحو الباب) أحرمك من الميراث! اجمعي ثيابك البالية واخرجي من البيت! تعتقدين أنني لم أره، لقد كنت على استعداد لقبول الملحق فقط لأنني أمرتك بذلك. أنت ليست لك شخصية، أنت ألعوبة! لم تعودي بعد بنتي!

القسيس : يا سيد بنتيلا، أنت لم تعد تسيطر على نفسك!

بنتيلا : اتركني في هدوء، واذهب لإلقاء مواعظك في كنيستك، حيث لا أحد يصغي إليك.

القسيس : يا سيد بنتيلا، لي الشرف أن أحييك.

بنتيلا : إلى حيث ألقت، أذهب، أترك والدا يمزقه الهم! كيف أمكن أن تكون لي بنت كهذه. مخاطبا القاضي: (وأنت أيضا لم تفتح فمك الواسع في الوقت المناسب



لتتنزع منها ما هو طبيعي. اخرج!

القاضي : بنتيلا، كفى، اتركني وشأني، أنا أغسل يديّ في البراءة.

(يذهب باسما)

بنتيلا : منذ ثلاثين سنة وأنت تغسلها، لابد أنه لم يبق منها شيء، من كثرة الغسل! فردريك، قبل أن تصبح قاضيا، كانت يداك يدي فلاحين، ولم تكن تغسلهما في البراءة.

القسيس : (محاولا أن ينتزع زوجته من حديثها مع لاينا) أنّا Anna، هيا، الوقت متأخر.

زوجة القسيس : لا، أنا لا أضعه (الفطر) في الماء البارد، وأنت؟ ولا أطهوه مع الجذور. كم من الوقت تتركينه يطهى؟

لاينا : حتى يغلي.

القسيس : أنا منتظر، يا أنّا.

زوجة القسيس : أنا جائية. أما أنا فإني أتركها تطبخ لمدة عشر دقائق.

(القسيس يخرج هازا كتفيه)

بنتيلا : (يعود إلى المائدة) ليس هؤلاء رجالا، كلهم. أنا لا أستطيع أن أعتبرهم رجالا.

ماتي : ومع ذلك فهم هكذا بالضبط. عرفت طبيبا كان

يقول حين يشـاهد فلاحا يربت علـى خيوله: «هذا رجل آخر يعاملها بإنسـانية!» لم يكن يقدر أن يقول: بحيوانية- أليس كذلك؟

بنتيلا : هذه حكمة بالغة، بودي لو شربت مع هذا الطبيب. اشـرب كأسـا أخرى. أعجبت كثيـرا بامتحانك، يا ماتي.

ماتي : سامحني لأني ربت على ظهر بنتك، يا سيد بنتيلا، لم يكـن هذا جزءا مـن الامتحان، بـل كان لمجرد تحميسـها قليلا. لكن هذا قد كشـف الهـوة التي تفصل فيما بيننا، وأنت من ناحيتك قد لاحظت ذلك من غير شك.

بنتيلا : يا ماتي، لم يعد عندي بنت، لامحل إذن للاعتذار.

ماتي : لا تكن صلبا هكذا! (مخاطبا زوجة القسيس ولاينا): أنتما على الأقل اتفقتما فيما يتعلق بهذا الفطر؟

زوجة القسيس : وتضعين الملح فيه منذ البداية؟

لاينا : نعم، منذ البداية.

(تخرجان)

بنتيلا : اسـمع، إنهم لا يزالون يرقصـون في الميدان (من البركة تأتي أغنية سوركلا القرمزي)

في بلاد السويد عاشت أميرة

آية في الجمال بل والشحوب!



صاحب الغاب، هذا رباطي
حل من جوربي فصار طليقا
صاحب الغاب اركع وشده!
لا تحدي الإبصار نحوي، أميره!
خدمتي فيك من أجل خبزي
فخمة أنت، والرفش بارد
بارد، بارد، وأيمك بارد.
حلو الحب، والموت مرّ
صاحب الغاب فر في الليل نفسه
راكبا فرسه ليبلغ بحره
صاح: «خذني، بالله، ملاح، خذني!
فوق ظهر السفين بالله خذني
إن قصدي، ملاح، أقصى البحار
قال ديك لثعلبه:
«تحبيني، ذهب[1]؟
كان ليل مرقرق
بعده الصبح قد أتي

(١) أي: ياذهب، يالون الذهب.



وإذا الـــريـــش فـــي الـشـجـر

بنتيلا : هذا اللون من الأغاني يؤثر في نفسي تأثيرا عميقا .

(فـــي هذه الأثناء كان ماتي قد أمســك بخصر فينا، وخرج معها وهما يرقصان)



(١٠)

لحن الأماسي

(في الفناء، أثنا الليل، بنتيلا وماتي يقضيان حاجتهما)

بنتيلا : لا أستطيع العيش في المدينة، لابد لي من الهواء الطلق، وأود أن أقضي حاجتي بحرية تحت السماء المرصعة بالنجوم، وإلا فما الفائدة في هذا؟ يقال إن فعل هذا في الفضاء أمر بدائي، أما أنا فأرى أن البدائي هو قضاء الحاجة في الصيني.

ماتي : فاهم، هذا بالنسبة إليك نوع من الرياضة.

(صمت)

بنتيلا : أنا أحب الاستمتاع بالحياة. وأحب أن يكون رجالي فرحين. وحين أرى أحدهم يسير مطأطئ الرأس عانياً أشعر بتقزز.

ماتي : فاهمك. غير أني لا أعرف لماذا رجال ضيعتك يلوح عليهم الشقاء والبؤس؟ ولون بشراتهم يشبه لون الجبن، وعظامهم بارزة، حتى ليقدر المرء أعمارهم بعشرين سنة أكثر من حقيقتها. وولعهم بالتجوال في الفناء حين يكون هناك زوار لابد أن المقصود به إغضابك.

بنتيلا : كما لو كان الناس جائعين في بنتيلا.

ماتي : ثم ماذا؟ لابد أنهم متعودون على هذا في هذه



البـــلاد منذ زمن طويل. لكنهم لا يريدون أن يتعلموا، ولا يبذلون في سبيل ذلك أي مجهود في سنة ١٩١٨ قتل منهم ثمانون ألفا، وتبع ذلك ســـلام عظيم: فقد كان من شـــأن ذلك أن قلل مـــن عدد الأفواه الجائعة بهذا المقدار.

بنتيلا : يجب ألا يضطر المرء إلى فعل هذا.

(١١)

السيد بنتيلا وخادمه ماتي يصعدان جبل هتلما Hatelma

(المكتبة في بنتيلا. بنتيلا، وقد لف رأسه بفوطة رطبة، يفحص الحسابات وهو يخرج أنفاسه. الطباخة لاينا تقف إلى جواره ومعها حوض وفوطة ثانية).

بنتيلا : لو ســـمح الملحق لنفســـه مرة أخـــرى بالتكلم في التلفـــون من هنا مع هلســـنكي لمدة نصف ســـاعة، فسأفســـخ الخطبة. أن يكلفنـــي غابة، هذا محتمل، ولكن الســـرقات الصغيرة تثير ثائرتي. وتأمل دفتر حساب البيض: بقع على كل الأرقام! هل ينبغي عليّ أن أقيم في بيت الدجاج؟

فينا : (تدخل) القسيس وسنديك التعاونية للألبان يريدان التحدث معك.

بنتيلا : لا أريد أن أراهما، رأســـي يتحطم. عندي استعداد



للإصابة باحتقان. أدخلهما.

(يدخل القسيس والمحامي. فينا تخرج بسرعة)

القسيس : صباح الخير يا سيد بنتيلا، أرجو أن تكون قد استرحت جيدا. التقيت صدفة بالسنديك في الشارع، فقررنا أن نزورك لنرى كيف حالك.

المحامي : تلك الليلة الليلاء يمكن أن تسمى ليلة سوء التفاهم.

بنتيلا : لقد تحدثت تلفونيا مع إينو، إذا كان هذا هو ما تفكرون فيه. وقد اعتذر، وانتهت المسألة.

القسيس : يا عزيزي بنتيلا، لنتفاهم جيدا: طالما كان سوء التفاهم هذا يمس حياتك العائلية وعلاقاتك مع أعضاء الحكومة، فإن الأمر لا يهم أحدا غيرك. لكن هناك آخرين مع الأسف.

بنتيلا : يابكا Pekka، لا تلف حول الموضوع. إذا كانت هناك خسائر في أي ناحية، فأنا مستعد لدفع التعويض.

القسيس : مع الأسف، هناك خسائر لا تكفي النقود للتعويض عنها، يا عزيزي بنتيلا، الخلاصة، نحن جئنا لنكلمك بكل مودة في مسألة سوركلا.

بنتيلا : أية مسألة لسوركلا؟

القسيس : سمعناك من مدة تقول إنك تريد تسريح هذا

الرجـل. وكنت تقول إنه شـيوعي قـحّ، ويؤثر على الجماعة تأثيرا ضارا.

بنتيلا : قلت إني طردته.

القسيس : بالأمس كان يوم الاستخدام، يا سيد بنتيلا، وسوركلا لم يطـرد، وإلا لما رأيت ابنتـه الكبرى بالأمس في الكنيسة.

بنتيلا : كيـف لم أطـرده؟ يالاينا، ألم يتلق سـوركلا أمرا بالتسريح؟

لاينا : لا.

بنتيلا : وكيف حدث هذا؟

لاينا : لقد أتيت به من السوق في السيارة، وأعطيته ورقة من فئة العشرة ماركات بدلا من تسريحه.

بنتيلا : يـا للوقاحـة! يقبل مني عشـرة مـاركات مع أني صرخت فيه أن يذهب قبل يوم الاسـتخدام القادم! فينا! (تدخل فينا) نادي لي على سوركلا حالا! (فينا تخرج) في رأسي دوار شديد.

المحامي : اشرب قهوة.

بنتيلا : أنـت على حق يا بكّا، لا بد أنني غبت عن وعيي. أنا أصاب بمثل هذه النوبات حين أفرط في الشراب. هذا أمر يجعلني أنتزع شعري من رأسي. هذا الرجل استغل الموقف، وهذا يستحق أن يدخل من أجله السجن.



القسيس : يا سيد بنتيلا، أنت تراني مقتنعا بهذا. ونحن جميعا نعلم أنك رجل شريف. لا بد أنك كنت تحت تأثير الشراب.

بنتيلا : هذا فظيع! (يائسا) ماذا عساني أقول لهم الآن، للميليشيا الوطنية؟ المسألة تتعلق بشرفي. لو عرفوا هذا فيا ويلتي! لن يشتروا مني ألباني. الغلطة غلطة ماتي، السائق. كان جالسا إلى جواري، هأنذا أراه الآن. وهو يعلم جيدا أنني لا أستطيع أن أتحمل سوركلا، وقد تركني أعطي له عشرة ماركات.

القسيس : يا سيد بنتيلا، لا تعد هذه المسألة كارثة. فمثل هذا يحدث.

بنتيلا : لا تقل هذا. وأنت لا تصدقه أنت نفسك. لو استمر هذا، فلا بد لي من وصي. أنا لا أستطيع أن أشرب كل ألباني وحدي، سأخرب. بكّا لا تجلس هكذا مكتوف اليدين: واجبك هو أن تتدخل، فأنت السنديك، وسأعطي هبة إلى الميليشيا. إنه الشراب. يا لاينا، لا أستطيع أن أرى الشراب بعد.

المحامي : ادفع له أجره، واطرده. ليرحل! إنه يسمم الجو.

القسيس : سنستأذن منك دون أن ننتظر، يا سيد بنتيلا. لا خسارة غير قابلة للتعويض عنها، إذا صح العزم. العزم هو كل شيء، يا سيد بنتيلا.

بنتيلا : (يهز يده) أشكرك.



القسيس : ليس لك أن تشـــكر لنا، فنحـــن لا نفعل إلا واجبنا: فلنعمله بدون إبطاء.

المحامي : ويمكنك أيضا أن تســتعلم عن سوابق سائقك، إنه هو الآخر لا يبعث الطمأنينة في نفسي.

(القسيس والمحامي يخرجان)

بنتيلا : يا لاينا، لن أشرب قطرة من الشراب بعد الآن. لقد فكــرت في الأمر هذا الصباح حين اســتيقظت. إنه لعنة. قلت لنفسي: سأذهب إلى زريبة البقر، وهناك سأتخذ قراري. أنا أحب البقر. وما أقرره في زريبة البقـــر هو قرار لا رجعة فيه. (بلهجة نبيلة) احضري كل الزجاجـــات من خزانة طوابـــع البريد، احضريها كلها، وكل الشـــراب الباقي في البيت سأقضي عليه في الحال، وأكســـر الزجاجات الواحدة تلو الأخرى. ولا تحدثيني عن النقود التي تســـاويها، لاينا، فكري في الضيعة.

لاينا : حسن جيدا يا ســـيد بنتيلا! لكن هل أنت واثق من نفسك؟

بنتيلا : حكاية سوركلا درس لي. وأحضري فورا ألتونن إنه شيطان السوء.

لاينا : أوه! ســـوركلا حـــزم أمتعته، وها هـــو ذا قد أعاد فكّها!

(لاينا تخرج. يدخل سوركلا ومعه أولاده)



بنتيلا : لم أطلب منك أن تحضر أولادك، وإنما أريد أن أتكلم معك أنت.

سوركلا : أعرف، يا سيد بنتيلا، ولهذا أحضرتهم. يمكنهم أن يسمعوا، فهذا لن يضرهم.

(صمت. ماتي يدخل)

ماتي : صباح الخير يا سيد بنتيلا. كيف حال صداعك؟

بنتيلا : ها أنت ذا، أيها الوغد. ماذا دبرت أيضا من مؤامرات من وراء ظهري؟ بالأمس فقط حذرتك أنني سأطردك بدون شهادة!

ماتي : نعم، يا سيد بنتيلا.

بنتيلا : كف! أغلق فمك! شبعت من وقاحتك وإجاباتك. أصدقائي نوروني بشأنك. ماذا قال لك سوركلا؟

ماتي : لا أعرف ماذا تقصد، يا سيد بنتيلا.

بنتيلا : ماذا؟ أتريد الآن أن تنكر أنك متآمر مع سوركلا؟ أنت شيوعي، أنت أيضا. أنت الذي منعتني من طرده في الوقت المناسب.

ماتي : العفو، يا سيد بنتيلا، لم أفعل إلا تنفيذ أوامرك.

بنتيلا : كان عليك أن تدرك أن أوامري هذه كانت حمقاء.

ماتي : اسمح لي، إن تقدير قيمة أوامرك ليس بالأمر السهل. إذا لم أنفذ إلا الأوامر المعقولة، لطردتني



بحجة الإهمال وعدم الاهتمام.

بنتيلا : لا تخرجني عن طوري، أيها السافل، أنت تعرف جيدا أنني لا أريد مشاغبين في ضيعتي. مشاغبين يهيجون العمال ويحرضونهم على عدم الذهاب إلى البركة إذا لم يحصلوا على بيضة في الإفطار.

أنت بلشفي! والآن إذا لم أدفع إلى سوركلا مرتب ثلاثة أشهر، فلن أتخلص منه. إنه الشراب هو الذي منعني من طرده في الوقت المناسب، أما أنت فقد دبرت مؤامرتك.

(لاينا وفينا تحضران باستمرار زجاجات)

بنتيلا : هذه المرة، القرار نهائي يا لاينا. في هذه المرة لن أكتفي بالوعد، بل سأحطم كل الشراب الموجود في البيت. في المرات السابقة لم أذهب أبدا إلى غاية القرار، بل كنت أحتفظ دائما بزجاجة تحت يدي لشربها في لحظات الضعف. وكل الضرر جاء من هذا. وقد قرأت في كتاب ما أن الخطوة الأولى نحو الاعتدال، هي عدم شراء شراب. وهذا أمر لا يعرفه الناس حق المعرفة. لكن إذا كان الشراب موجودا، فيجب القضاء عليه (مخاطبا ماتي) طلبت حضورك من أجل أن تشاهد هذا، فهذا سيؤثر فيك أكثر من أي شيء آخر.

ماتي : نعم، يا سيد بنتيلا. هل أذهب إلى الفناء وأحطمها بدلا منك؟



بنتيلا : لا، يا سافل، سأقوم أنا بنفسي بتحطيمها. يسرك، طبعـــا، أن أقضي على زجاجة ماء الحياة هذه (يرفع زجاجة ويفحصها) بإعطائها إياك!

لاينا : لا تتطلــع فيها طويلا يا ســيد بنتيـــلا، ارمها من النافذة.

بنتيلا : لك الحق. (ببرود. يخاطب ماتي) لن تجعلني أشرب بعــد الآن، يا وغد! أنت لا تكون راضيا إلا حين ترى الناس يتمرغون على الأرض كالخنازير. أما أن تحب عملك بإخلاص، فهذا أبعد ما يكون عن فكرك. ولن تحــرك إصبعك الأصغر لو لــم تخش الموت جوعا، يا طفيلي! أنت تتبعني كالظــل، وتمضي الليالي في حكاية حكايـــات قذرة على مســـمعي، وتثيرني ضد ضيوفي! أنت لا تســـعى إلا إلى أن ترفع كل شيء في الطين الذي أتيت منه. هل تعرف أن سلوكك يستحق السجن؟ ذات يوم اعترفت لي بالسبب الذي من أجله طـــردوك من كل مكان. وقد فاجأتك تحرض نســـاء كوركلا على الشغب يا مشاغب!

(بشرود ذهني يبدأ في ملء كأس أحضرها إليه ماتي بحماسة).

أنـــت تكرهنـــي، لكـــن إذا كنت تظن أنـــك تخدعني بعبارتك «نعم، يا سيد بنتيلا»!

لاينا : يا سيد بنتيلا!

بنتيلا : دعينـــي، لا تهتمـــي، مجرد قطرة أشـــربها لأعرف



هل التاجر لم يغشــني، وللاحتفال بقراري الراسخ! (مخاطبا ماتي) أما أنت، فقد نفذتُ إلى دخيلتك من أول نظرة. كنت أراقبك، وانتظرت أن تفضح نفســك بنفســك، ومن أجل هذا شــربت معك. أما أنت فلم تستشعر شــيئا. (يستمر في الشــرب) حسِبت أنك تســتطيع أن تجعلني أعيش عيشــة منحلة لتستغل الموقف، بجعلك إياي أشرب معك طول النهار. لكنك مخطئ، أصدقائي نوروني عن حقيقتك: كم أنا مدين لهم بهذا الجميل! وهأنذا أشــرب هذه الكأس على صحتهــم إن فرائصي ترتعد حيــن أفكر في حياتي الماضية والأيام الثلاثة في فندق البستان، والجري وراء الشــراب المرخص به، وســيدات كوركلا. أية حيــاة جنونية! حين أفكر في راعية البقر عند مطلع الشــمس! أرادت أن تســتغل النوبة التــي أصابتني، وكون جســمها كان مليئا، كان اسمها ليسو Lisou، فيما أظن. اشــتركت أنت في كل هــذا، أيها الوغد، وكان وقتــا ممتعا، أعترف بهــذا، لكنني لن أعطيك ابنتي، يا ســافل- لاحظ أنني لم أقل لك: يا منحط، فليس هذا من العدل.

لاينا : يا سيد بنتيلا، هأنت ذا تستأنف الشرب!

بنتيلا : أنــا، أشــرب؟ أتســمين هــذا شــربا؟ زجاجة أو زجاجتيــن؟ (يأخذ الزجاجة الثانيــة). حطمي هذه الزجاجــة (يعطيهــا الزجاجة الفارغــة)، حطميها، قلت لــك إنني لا أريد بعد أن أراها. ولا تنظري إليّ



نظرة يسـوع إلى بطرس! أنا أكـره مخاصمتي على كلمة قلتها، فهذا مبتذل (يشير إلى ماتي) هذا الفتى يجرني إلى الأسـافل، أما أنت فتريدين أن تعفن ها هنـا وأنا أمـص أصابعي من الملل. أيـة حياة هذه أعيشـها هنا! أصيح في الشـغالين من الصباح إلى المساء، وأحسب علف البقر. اخرجوا، يا أقزام!

(لاينا وفينا تخرجان وهما تهزان رأسيهما).

بنتيلا : (وهو يتابعهما بنظراته) مسـاكين! لا خيال عندهم (مخاطبا أولاد سـوركلا). اسـرقوا، انهبـوا، كونوا شـيوعيين، لكن لا تكونوا أقزاما تلك هي النصيحة التي يسديها إليكم بنتيلا.

(مخاطبا سوركلا) اعذرني إذا تدخلت في تربية أولادك. (مخاطبا ماتي) افتح هذه الزجاجة.

ماتي : أرجو أن يكون الشـراب كمـا ينبغي، وليس مفلفلا كثيرا كما في ذلك اليوم الآخر. يجب أن تأخذ حذرك مع أسكلا، يا بنتيلا.

بنتيلا : أعـرف، وأنا متفطن جدا وحذر. سـأبدأ بشـرب جرعـة صغيرة جـدا، وإذا لم يكن حسـنا، أبصق. وبدون هذا الاحتياط المعتاد عندي، لابتلعت أسـوأ المشـروبات، بحق الله يا ماتـي ألا أخذت زجاجة، فإني أريد الاحتفال بالقرارات التي اتخذتها لأنها لا تتزعزع. كارثة حقا. على صحتك، يا سوركلا!



ماتي : إذن يمكنهم أن يبقوا، يا سيد بنتيلا؟

بنتيلا : هل يجب الــكلام في هذا الموضــوع، الآن ونحن فيمــا بيننا؟ ماتي، أنت تخيــب أملي. ماذا يفيده أن يبقى هنا؟ إنه يشــعر بالضيق في بنتيلا، ولا يطيب لــه المقام فيها، وأنا أفهم هذا جيدا. لو كنت مكانه، لفكرت تماما مثله. في نظري سيكون بنتيلا رأسماليا وضيعــا. وهل تعرف ماذا كنت أصنع به؟ أرســل به إلى منجم ملح كــي أعلمه ما معنى العمل، نعم أعلم مصاص الدماء هذا. هل أنا على حق يا سوركلا؟ لا داعي للمجاملة.

بنت سوركلا الكبرى : لكننــا نحــن لا نطلــب أكثر مــن البقاء، يا ســيد بنتيلا.

بنتيلا : لا، لا، ســوركلا سيرحل، وعشــرة خيول لن تكفي لمنعه. (يذهب إلى مكتبه ويفتحه، ويأخذ من الخزانة نقودا يعطيها لســوركلا). ناقصا عشرة. (وفي نفس الوقت، مخاطبا الأولاد): افرحوا لأن لكم أبا يتحمل كل شــيء في سبيل معتقداته. وأنت يا كبيرتهم، هلا Hella، كوني عونا له. والآن حلّ وقت الرحيل.

(يبسط يده إلى سوركلا، وهذا لا يصافحه)

سوركلا : تعالى يا هلّا، سنرحل. سمعتم كل ما يمكن سماعه في بنتيلا، تعالوا.

(يخرج مع الأولاد)



بنتيلا : (بتأثر وألم) يدي ليســت صالحــة له. أنا انتظرت أن يقول كلمة في ساعة الرحيل.. لكنه لم يقل شيئا. إنــه لا يحفــل بالضيعة. إنه مســتأصل. ليس عنده شــعور بالبيت. لهذا تركته يرحل حينما ألح. لحظة مر مرورها. (يشرب). أنت وأنا لسنا هكذا، يا ماتي. أنت صديق ودليل لطريقي الشــاق. أشعر بالعطش من مجرد رؤيتك. كم أعطيك في الشهر؟

ماتي : ثلاثمائة، يا سيد بنتيلا.

بنتيلا : سيصبح مرتبك ٣٥٠، وأنا راض عنك تماما. (وكأنه يحلم): ماتي، أريد أن أصعد معك ذات يوم على جبل هتلما Hatelma، المنظر من أعلاه رائع. ســأريك فــي أي بلد جميل تعيش، وســتعض أناملك لأنك لم تكــن قد رأيتــه من قبل. هل نصعد جبــل هتلما، يا ماتي؟ يمكــن أن نقوم بهــذا- ألا تعتقد ذلك؟- في الخيال. يكفي بضعة كراسي.

ماتي : أنا مســتعد لأن أفعل أي شيء يمر بخاطرك طالما كان ذلك أثناء النهار.

بنتيلا : لست واثقا أن لديك الخيال المطلوب.

(ماتي يسكت)

بنتيلا : (بصوت رنّان) ابن لي جبلا، يا ماتي! لا تدخر وسعا، ولا تتراجع أمام أي شــيء، وخــذ أكبر كتل الصخور، وإلا فلن يكون ثم جبل هتلما، ولن نحظى بالمنظر.



ماتي : سأصنع ما تريد، يا سـيد بنتيلا. واعلم أيضا أنه لا محمل للتحدث عن الثماني سـاعات في اليوم إذا كنت في حاجة إلى جبل في وسط الوادي.

(ماتي يحطم بضربات قدميه ساعة ذات قيمة ودولابا من الخشب المتكتل المليء بالأسلحة ويبني بأنقاضها وببعض الكراسي جبل هتلما على منضدة البليياردو. وهو غاضب).

بنتيلا : خذ أيضا الكرسـي الموجود هناك! اتبع تعليماتي، تبين بسهولة هتلماك، أنا أعرف ما هو ضروري وما ليس ضروريا، وأنا المسـؤول. يمكنك أن تبني جبلا لا يفيـد، أعني لا يمكّن من رؤية أية مناظر، وهذا لا يسـرني. ما يهمك أنت هو أن يكون عندك عمل: أما أنا فمـا يهمني هو توجيهه نحو غرض يجلب الريح. والآن أنا في حاجة إلى طريق يصّاعد في الجبل، لا رفع إلى القمة بسهولة المائة كيلو غرام وزني. إذا لم يوجد طريق فالويل لك أنت وجبلك، أنت ترى أنك لا تفكـر بما فيه الكفاية. أنا أعرف قيادة الناس. وأود أن أرى كيف تقود نفسك وحدك.

ماتي : انتهى، تسـتطيع أن تصعد. إنـه جبل وفيه طريق. ليـس جبلا غير تام مثل تلك الجبال التي خلقها الله بسرعة، في ستة أيام قصيرة. بعد هذا كان عليه أن يخلـق مجموعة من الخدم، وإلا ما كانت أفادتك، يا سيد بنتيلا.

بنتيلا : (يبدأ الصعود) سأكسر رأسي!



ماتي : (يمسـك به) هذا قد يحصل لك أيضا على الأرض المستوية، إذا لم أسندك.

بنتيلا : من أجل هذا آخـذك معي، يا ماتي. وإلا فلن ترى أبدا البلـد الجميل الذي ولدت فيه! وبدونه كنت لن تكون غير قطعة من الوحل، فاعترف له بالجميل.

ماتي : حتى اللحد، لكن هل كاف؟ مكتوب في «هلسـنكي سنومت» Helsinki Sanomat.

:إنه يجب هذا حتى بعد اللحد.

بنتيلا : أولا الحقـول والمـروج، ثم الغابـة. ويعجب المرء كيف تبقى في مثل هذا الشقاء، وصنوبرها ينمو بين الأحجار ويعيش من لا شيء.

ماتي : كأنه أيد عاملة نموذجية!

بنتيلا : لنصعـد، يا ماتي، فقد ارتفـع. المباني، والعمائر المصنوعة بيد الإنسان تبقى في الخلف، وندخل في الطبيعة الخالصـة: الحقيقة والتجرد. اطرح ظهريا مناقضاتك الصغيرة، وأسلم نفسك إلى قوة الانفعال، يا ماتي.

ماتي : أنا أبذل قصارى جهدى، يا سيد بنتيلا.

بنتيلا : آه! أي ديار تفستلند المباركة! لنشرب كأسا أخرى، وسنرى جمالها كله.

ماتي : لحظة، أنزل من الجبل وأحضر الشراب الأحمر!



(يتدحرج حتى الأرض ثم يصعد)

بنتيلا : أسائل نفسي هل يمكنك رؤية كل جمال البلاد. هل أنت من تفستلند؟

ماتي : نعم.

بنتيلا : إذن أنا أسألك: أين توجد سماء مثل سماء تفستلند؟ يقال إن السماء في أماكن أخرى أكثر زرقة، لكن الغيوم ها هنا تتحرك على نحو أخف، والرياح الفنلندية أرق هبوبا. لا أريد أزرق آخر، حتى لو خيرت. وحينما يطير البجع البري من البرك ولأجنحته أزيز، فهل هذا ليس بشيء؟ لا تسمع ما يقال عن البلاد الأخرى، يا ماتي، وإلا أصابتك خيبة أمل. ابق في تفستلند: هذه نصيحة غالية أسديها إليك.

ماتي : نعم، يا سيد بنتيلا.

بنتيلا : تكفي البحيرات وحدها. دعنا من الغابات إن شئت، هناك غاباتي أنا، سأقتلع غابة الرأس. ولا تحافظن إلا على البحيرات، يا ماتي، ثلاث أو أربع بحيرات فقط. ودع الأسماك التي تحفل بها، ولا تحتفظ في نفسك بغير صورة البحيرات في الصباح، فهذا يكفي. هنالك لن ترغب أبدا في الرحيل. في الخارج ستستهلك نفسك في الحنين إلى الاوطان: إن عندنا في فنلندة ٨٠ر٠٠٠ بحيرة.



ماتي : حسن، أنا آخذ المنظر فقط.

بنتيلا : أترى الشـــيء الصغيـــر هناك، والمركـــب الجرار، وجؤجـــؤه الذي يشـــبه الكلـــب الثـــوري (البولدوج) وجذوع الأشـــجار في الفجر؟ انظر إليها تسير على الماء الفاتر، مربوطة ومنزوعة اللحاء، ثروة صغيرة. إني أستروح الخشب الطازج على مبعدة عشرة كيلو مترات، وأنت؟ آه، روائح تفســتلند ماذا أقول عنها؟ التوت، مثلا! بعد نزول المطر! وأوراق الشربين، حين تخـــرج من حمام البخار ويضربونـــك بغصن غليظ! وفـــي الصباح والمرء راقد في فراشـــه، كم رائحتها نفاذة! أين ستجد مثل هذا؟ أين تجد منظرا كهذا؟

ماتي : لا يوجد نظيره في أي مكان، يا سيد بنتيلا.

بنتيلا : أنـــا أحبه خصوصا حين يختفـــي نهائيا في البعد، كمـــا يحدث في الحب، في بعض الأحيان، حين يغلق الإنسان عينيه ويختفي كل شيء. لكن هذا النوع من الحرب أعتقد أنه لا يعرف إلا في تفستلند.

ماتي : المـــكان الذي ولدت فيـــه كان مملـــوءا بالكهوف، وأمامها الحجارة المســـتديرة كلها كأنها كرات لعبة الصولجانات المستديرة quilles، Kegelkugeln وهي ملساء.

بنتيلا : وكنت تدخل فيها، أليس كذلك، بدلا من رعي البقر! انظر، أنا أرى بقرات تسبح على البحيرة!



ماتي : لا يقل عددها عن خمسين.

بنتيلا : ســتون! ها هو ذا قطار يتقدم. اسمع، يمكن المرء أن يسمع قعقعة أوعية اللبن.

ماتي : نعم، إذا أصغى المرء جيدا.

بنتيلا : آه! لا بــد لـــي أيضا أن أريك تفســتهوس، المدينة العتيقــة، إن لدينــا مدنــا أيضا. هنــاك أرى فندق البستان، وفيه شراب أوصيك به. وادع القصر، لقد حولوه إلى ســجن النساء، إذ ليس للنساء أن يشتغلن بالسياســة. لكن انظر إلى الطواحين، كم هي جميلة على بعد، وتشيع الحياة في المنظر. وعن يسار، ماذا ترى؟

ماتي : نعم، ماذا أرى؟

بنتيلا : آه، حقول! حقول تمتد إلى حيث يمتد البصر، وأنت ترى حقول بنتيلا، والمستنقع الذي فيه التربة سمينة إلــى درجة أننا لــو تركنا البقر يرعى في البرســيم فيمكــن حلبه ثلاث مرات في اليــوم، والقمح يرتفع حتــى يصل إلى ارتفاع ذقنك مرتيــن في العام. غن معي!

امــــــواج رنُــــيـــا الـــعـــزيــز
تــقـــبــل الـــــرمــــل أبـــيـــض

(فينا ولاينا تدخلان)



فينا : يا إلهي!

لاينا : لقد حطموا كل المكتبة.

ماتي : نحن على جبل هتلما ونحن نستمتع برؤية المناظر.

بنتيلا : هيّا، غنّوا! ألا تحبون وطنكم؟

الجميع، ما عدا ماتي : أمواج رنيا العزيز

: تقبل الرمل أبيض

بنتيلا : أية يا تفستلند، أيتها الأرض المباركة! سماؤك، وبحيراتك، وشعبك وغاباتك!

(مخاطبا ماتي) : قل إن قلبك يفيض حين ترى هكذا!

ماتي : قلبي يفيض حين أرى غاباتك، يا سيد بنتيلا!

(١٢)

ماتي يدير ظهره إلى بنتيلا

(فناء بنتيلا. في الصباح الباكر. ماتي يخرج من المنزل ومعه حقيبة. الطباخة تتبعه ومعها حزمة من الزاد)-

لاينا : خذ زادك يا ماتي. أنا لا أفهم لماذا ترحل. انتظر على الأقل حتى يصحو السيد بنتيلا.

ماتي : أفضل تجنب يقظته. في الليلة الماضية غاب عن

وعيه إلى حد أنه قبيل الصباح وعدني بنصف غابته، وأمام شهود. فلو شعر بهذا، لاستدعى الشرطة.

لاينا : لكن لو رحلت بدون شهادة، فقد قضي عليك.

ماتي : شهادة؟ من أجل ماذا؟ أما أن يسجل فيها أنني قرمزي، أو أنني رجل. وهذا وذاك لا يجعلاني أجد عملا.

لاينا : بدونك ستختل أموره، فقد تعود عليك.

ماتي : سيدبر أمره وحده. كفاني. منذ حكاية سوركلا، لم أعد أتحمل مؤانساته. شكرا لك على هذه الحزمة، ووداعا يا لاينا.

لاينا : (وهي تتنشق) رحلة طيبة!

(تهرع بسرعة عائدة)

ماتي : (بعد أن خطا بضع خطوات):

أزفت ساعة الوداع فهيّا

وأهنأ العمر، سيدي بنتيلا

لست بين الأنام أسوأ من شمت-

فبعد الشراب تصبح إنسا

وصحيح أن الصداقة تنحلّ-

لصحو تفيق فيه لنفسك.



وإذا تسمح الدموع من العين-
لرفض المياه مزجا بزيت
أي جدوى، ويا لضيعة دمع!
آن للخدم أن يديروا ظهورا
وسيلفون سيدا جيد الطبع-
إذا الكل صار سيد نفسه.

(يرحل بسرعة)



نشيد بنتيلا

(١)

إبان ثلاثة أيام
قد غاب عن وعيه السيد بنتيلا
بالفندق بتفست
لم يظفر من نادل ذا الفندق
لم يظفر منه بتحية
يا نادل، ما هذا الأدب؟!
أو ليس العالم ذا بهجة؟
فأجاب النادل: لا أدري،
قدماي تئن من الوقف

(٢)

في ذات مساء قد قرأت
بنت للسيد- أسطوره
أعجبت البنت بقصتها
فالراوي يزعمها ملكا.
لكن في إحدي المرات
نظرت للسائق قائلة:



هــيــا ولـــنــمـــزح يـــا ســائـــق!
قـــد قـــالـــوا إنـــك إنــســـان.

(٣)

قـــد ذهـــب الـــســيـــد بـنـتـيـلا
فـــي ذات صـــبـــاح، لـلـنـزهـة
فـــــــرأى راعـــــيـــــة لـلـبـقـر
والجـــســـم تـــألـــق كـالـفـضـة.
قـــولـــي يـــا بـــنــت إلـــى أيـــن؟
يـــبـــدو لـــي لحـلـيـب الـبـقـر
والـديـكـة تـصـدح فـي الـصـبـح
لا يـكـفـي صـحـوك مـن أجـلـي
بـــل نـــامـــي أيـــضـــا مـــن أجـلـي

(٤)

مـــن أجـــل المـــزحـــة قـــد دخـلا
حـمـامـا فـــي ضـيـعـة بـنـتـيـلا:
الخـــــــادم يـــدخـــل حــمــامــا
بـــيـــنـــمـــا ابـــنـــة ســـيـــده تـسـبـح
قـــد قـــال الـــســيــد بـنـتـيـلا:

بـنـتــي زوجـــــت لـــــذا المـلـحـق
والمـــلـــحـــق لـــم يـنـطـق كـلـمـة
لمــــــا أن أبـــصـــر خـطـيـبـه
مـــعـــهـــا الخـــــــــــــدام،
فـــالـــديـــن الـــبـــاهــظ يـثـقـلـه.

(٥)

ذهــبــت لـلـمـطـبـخ فــي الـلـيـل
صـــاحــــت: يـــا ســـائـــق! تـعـجـبـني
قـــوتـــك كـــرجـــل، فـلـنـذهـب
لـنـصـيـد حـــــلازن «لـــلأكـــل»
فـــأجـــاب الـــســـائـــق : آنـــســـتـــي!
لابـــــد ســيـــحــدث لـكـلـيـنـا
أمـــــــــر، لـــكـــن آنـــســـتـــي
الآن أطــــالــــع «جــــرنــــالــــي»

(٦)

حـــضـــرت لـلـخـطـبـة جـمـعـيـه
تـــتـــألـــف ممـــــن أُعـــــرِســـــن

للسيد بنتيلا يوما
ما كاد الرجل يراهن
حتى صيح، قد جن جنونه
أرأيت النعجة قد ظفرت
بمعاطف صوف، مذ جزّت؟
معكن أنام طواعية
لكن مائدتي هيهات!

(٧)

للقرية عدن يغنين
أغنية بالهجو تدفق
لكن الدرب لقسوته
قد مزق أحذية النسوه
والأحد المشرق قد ضاعا
من يودع ثقة بغنّى
فكفاه سرورا أن يخسر
نعليه فحسب- فذا ذنبه



(٨)

وأمـــــام الـــسـفـــرة فـــي الحـفـلـة
بـنـتـيـلا صـــاح بـــلا رحـــمـــة:
«لا أعـطـي بـنـتـي لـلـسـمـكـة».
وأراد لـيـعـطـيـهـا الخـــــادم
فـــأجـــاب الخــــــادم: لا أقـــدر!
لا تـصـلـح بـنـتـك لـــي زوجـــة





تحليل نقدي

لمسرحية «السيد بنتيلا وخادمه ماتي»

بقلم: أ.د. عطية العقاد

كتب بريشت هذه المسرحية الفكاهية أثناء هجرته إلى فنلندا التي وصل إليها في ١٩٤٠/٤/١٧ وقد استلهم مادتها من إحدى قصص الكاتبة الفنلندية «هلا فووليوكي». عندما كان في ضيافتها عند أهلها لما لجأ هاربا إلى فنلندا.

وقد أجمع النقاد على أنه تأثر فيها بدور الممثل «شارلي شابلن»، في دور المليونير في فيلم «أضواء المدينة»، ويعود السبب في هذا إلى أنه كان يكن لشارلي شابلن كثيرا من الاحترام والتقدير والإعجاب. وتجمع هذه المسرحية الشعبية بين الواقعية والروح الشعرية.

تعد مسرحية السيد بنتيلا وخادمه ماتي من أفضل الكوميديات التي كتبها بريشت بما تمتاز به من أسلوب راقٍ خال من العبارات التي تخدش الحياء، بالإضافة إلى أنها تخلو من الخشونة اللفظية والجسدية، كما أنها تعالج مشكلة الصراع الطبقي بصورة مغايرة عما هو مألوف، فالبطل هنا لا يصارع للوصول إلى محبوبته الغنية، ولا يريد التسلق إلى الطبقة العليا، بل هو الذي يرفض عرض الارتباط بهذه الفتاة التي تنتمي إلى الأسرة الغنية مع أنه يعمل خادما لدى هذه الأسرة كما سنرى من خلال عرضنا للمعالجة التي كتبها بريشت، إنها تطرح سؤالا حيويا: هل يمكن أن تذوب الحواجز الاجتماعية بين الطبقات؟ وهل يمكن أن تتخلى كل طبقة عن عاداتها وتقاليدها؟

المسرحية تجيب عن هذا السؤال في إطار كوميدي، ويعرض لنا بريشت



هــذه المعضلة الاجتماعية من خلال أحداث تلعب فيها شــخصية «بنتيلا» دورًا رئيسًــا. وبنتيلا هذا يملك الأراضي والغابات، وصاحب ضيعة بنتيلا في إقليم بفنلندا.

ومن ناحية البناء فهي تختلف أيضا عن الحبكة التقليدية للمسرحية التي تحتوي على بداية ووسط ونهاية، إنها تعرض علينا لوحات ومشاهد منفصلة تصاحب فيها ســلوكيات شــخصية الإقطاعي بنتيلا، فهــو صانع الأحداث بتقلباته ما بين حالات غيابه عن الوعي ويقظته. فهي مســرحية تتألف من مجموعة من اللوحات تســودها روح الغنائية الشــاعرية كبناء مسرحية الأم شجاعة، وقد اتخذ فيها النمط التقني نفسه غير أن الفرق بين المسرحيتين يتمثل في أنهــا تعرض الأحداث بروح مرحة، وتركز على الجانب المضحك في شــخصية بنتيلا. فالمسرحية ببساطة شــديدة تخضع للبناء الشعبي، فهي تحمل قدرا كبيرا من البســاطة والاستعانة بالغناء والرمز والمثل وكل العناصر الشعبية التي عرفها بريشت.

وقد حاول بريشــت في هذه المســرحية حل المعضلة التي تحدث عنها في محاضرته التي ألقاها على طلبة استوكهلم عام ١٩٣٨م، والتي كان ينشد فيهــا تحقيق المتعة الفنية جنبا إلي جنب بجوار القيمة التعليمية أو القيمة المعرفية.، بشــرط أن يحقق العمل الفني عالمه الخاص دون أن يخل ذلك بضرورات الواقع أو تتعالى عليه أو تقتنع بأن تكون نسخة منه.

فالمســرحية نبعت من الوجدان الجمعي الشعبي، واستمدت من حكمته وأمثاله وحكاياته ومغامراته وعثراته ومن سخرية لطيبته وشطحاته الساذجة، باختصار نستطيع أن نصنف هذه المسرحية بالكوميديا الشعبية.

المسرحية تعرض الحالات التي تمر بها شخصية بنتيلا فهو حين تأخذه نوبة غياب عن الوعي يتحول إلى إنسان رقيق المشاعر عطوف على الفقراء والعمال الذين يعملون لديه، ويسقط كل الحواجز الطبقية بينه وبينهم حتى



إنه يجالسـهم ويشـاركهم الطعام والشـراب، بل لا يمانع من أن يزوج ابنته الوحيدة المدللة «إيفا»، والتي سـيترك لها ثروة هائلة، والتي نالت قسـطا وفيرا من التعليم الراقي إلى خادمه ماتي.

لكـن عندما يسـتيقظ من غيابه عن الوعي يتحول إلى إنسـان قاسـي المشاعر تسوده روح الوحشية والغلظة في التعامل مع الفئة نفسها التي كان يتعامل معها أثناء غيابه عن الوعي، وتسـوده روح الاستغلال والجشع ويريد تحقيق أعلى المكاسـب بأقل التكلفة، وفي سبيل ذلك يستغل طاقة العمال إلـى أقصى درجة، كما أنـه يرفض كل المطالب الاجتماعيـة التي يطلبها العمال، ويعاونه على هذا الجبروت نفاق القسيس والمحامي اللذين ساعداه على ضياع حقوق العمال.

وخلال هذا التناقض التام بيـن حالتي الغياب عن الوعي والصحو لدى بنتيلا تدور المسرحية بأحداثها وتعقيداتها ومفاجآتها. وتأتي الكوميديا من هـذا التناقض بين تصرفات بنتيلا وهو في حالة الغياب عن الوعي وحالات الإفاقة.

تنبـع المفارقات الكوميدية فقط من سـلوكيات بنتيلا وحده دون غيره. والحقيقة أن المسـرحية ليسـت من نوع الكوميديا الصاخبـة التي تجعل المشـاهد يقهقه أو يسـتلقي على قفاه من الضحـك، وإنما هي تبعث على الابتسـام من حين لآخر. مع إحسـاس بالمرارة، كما أنها تدعو إلى التفكير والتأمل في الأحوال الطبقية..

للسـيد بنتيلا ابنة، كما أسلفنا ذكرها،وقد تقدم إلى خطبتها شاب «اينو سـيلكا» لا تحمل له أي قدر من الاحترام لتفاهة شخصيته، إنه يعمل ملحقًا في السـلك الدبلوماسـي، ويتخذ بريشت من هذا الشـاب مادة للسخرية والاسـتهزاء من رجال السلك الدبلوماسي وتفاهتهم وجهلهم وادعاءاتهم بل وغبائهم، فهم يحاولون ستر عيوبهم بملابسهم البالغة الأناقة.



وإيفا لا تقيم أي احترام لهذا الملحق الدبلوماسي لأنها تراه بلا نخوة، كما تنعدم فيه صفات الرجولة: متبلد يتغاضى عن أي إهانات طالما تحقق له مصلحة ما. ومن هنا تفضل عليه ماتي لأنها ترى فيه نموذجا للرجولة والشهامة. وكذلك يرى فيه السيد بنتيلا الصفات نفسها في حالة غيابه عن وعيه.

هنا صنع بريشت مقابلة واضحة بين هذا الخطيب الشاب الذي ينتمي إلى عائلة برجوازية، ولكنه يخلو من كل معنى للرجولة ولا يعير أي اهتمام لكرامته، في الوقت نفسه نجد ماتي يمتاز بالرجولة والشهامة ويحرص حرصًا شديدًا على كرامته مما لفت نظرها وجعلها ترغب في الزواج منه.

والمسرحية تتكون من عدد كبير من الشخصيات شأنها شأن أعماله الملحمية فهي تحتوي على خمس وعشرين شخصية، وتقع في اثنتي عشرة لوحة بالإضافة إلى نشيد الاستهلال وثمانية أناشيد في الختام.

بدأ بريشت مسرحيته بنشيد فكاهي طريف – أشبه بالبرولوج الإغريقي أو المعروف في الكوميديا اليونانية القديمة باسم «البراباسيس» تلقيه الممثلة التي ستقوم بدور راعية البقر، وضمن فقرات هذا الاستهلال نجدها تصف فيه بنتيلا بنوع من الحيوان الذي ينتسب إلى عصر ما قبل التاريخ، تصفه بأنه حيوان عرف بشراهة الافتراس.

اللوحة الأولى: مكان الأحداث بهو في فندق الحديقة بمدينة تفستهوس. نلتقي في هذه اللوحة بشخصية بنتيلا غارقًا في الشراب ومعه القاضي، ونرى القاضي يسقط غائبا عن الوعي من على كرسيه. وبنتيلا يسأل فتى الفندق عن الزمن الذي مضى عليه وهو في هذا المكان فيخبره الفتى بأنه مضى عليه يومان. وبنتيلا لا يتعرف على سائقه ماتي الذي سئم من انتظار سيده يومين فيقبل عليه:



«ماتي : أنا سائقك، يا سيد بنتيلا.

بنتيلا : (بارتياب) من أنت؟ أعد!

ماتي : أنا سائقك.

بنتيلا : يستطيع كل إنسان أن يقول هذا. أنا لا أعرفك.

ماتي : ربما لم تتطلع أبدا في وجهي، وأنا لم ألتحق بخدمتك إلا منذ خمسة أسابيع.

بنتيلا : من أين أتيت هكذا؟

ماتي : من الخارج. أنا أنتظر في العربة منذ يومين.

بنتيلا : في العربة؟

ماتي عربتك، الاستوديو بيكر.

ويعترف بنتيلا لماتي بأنه مريض تنتابه حالات يتعرض فيها لنوبات حالات إفاقة، ويعترف بأنه عندما تنتابه نوبات الإفاقة هذه ينحط إلى مستوى الحيوان ويخرج عن إنسانيته، وعندما يسأله ماتي ألا يوجد علاج لهذه الحالة يرفع كأسه قائلا هذا هو العلاج الوحيد، وكأنه يهرب من وحشيته وغلظته بالخمر.

اللوحة الثانية : إيفا تنتظر أباها وتجلس بصحبة الملحق الدبلوماسي اينو سيلك. بينما الدبلوماسي الشاب يثرثر بأحاديث مملة فإذا ببنتيلا يدخل بسيارته مسرعا محطما بوابة الدخول، ويجلس معه في السيارة القاضي المخمور وماتي . وعندما علم بعدم رغبة ابنته في الارتباط بالملحق الدبلوماسي، أخذ يؤيدها في وجهة نظرها، وصرح لها بأنه لا يحبذ

لهــا أن ترتبط به واصفًا إياه بفاقــد الرجولة، وفي هذه اللوحة يصف لنا بريشت سلوكيات هذه الطبقة وقواعد اختيارها لشريك الحياة.

«**إيفا** : لقد قلت فقط انني غير واثقة من أن الملحق يكفي للترفيه عني.

بنتيلا : وهــذا مــا أقوله. خــذي ماتي فمعه تتســلى كل الفتيات».

اللوحة الثالثة : فــي إحدى القرى ذهب بنتيلا باحثًا عن الشــراب ويحتال فى ذلك ليحصل عليه بطريقة شــرعية لذا ذهب إلى طبيــب بيطري يدعــي أن بقراته مصابة بالحمى القلاعية وتحتاج إلى الشــراب وحصل على مــراده. ومــن المواقف الكوميدية فــي هذه اللوحة هذيــان بنتيلا عندما اصطــدم بالعمود: بنتيلا وهو يخاطب العمود:

بنتيلا : افسحوا الطريق إلى تفستلاند! مكانك في الصف، أيها العمود القذر، ولا تعترض طريق بنتيلا. مَنْ أَنْتَ! هــل عندك غابة وقطعان ماشــية؟. وهكذا يخاطب العمود كأنه كائن بشري وهو في حالة سكر.

ومن المواقف المضحكة أيضا أنه كلما قابل امرأة من العاملات الفقيرات يطلب يدها للزواج بعد أن تقص عليها ســيرة حياتها والمعاناة التي تحياها فيتأثــر ويطلب منها أن تحضر إليه في يــوم الأحد القادم لإعلان الخطوبة رســميا، تكررت هذه الحكاية مع الفتاة الصيدلانية، ثم راعية البقر، وعاملة التلفــون وضرب لهــن موعدا واحدا هو يوم الأحد القــادم. ويقاطع الحوار



غناءإما المهربة وفتاة الصيدلية.

اللوحة الرابعة : سوق العمالة

تنتقل بنا الأحداث إلى سوق العمالة بنتيلا بمصاحبة ماتي. بنتيلا يعاني حالة السكر كعادته جاء يستأجر عمالا لقطع الخشب من غابته لاستخراج الفحم النباتي. وبصورة كاريكاتورية يختار بها العمال، لكنه أخذ يراوغهم في كتابة العقود التي تضمن لهم الحقوق، على أنه يريد أن يتقرب أكثر من عماله وأسرهم ، لكنه لم يكتب لهم عقودًا وضيّع عليهم فرصة البحث عن عمل آخر حتى انفضّ السوق وأخذهم في سيارته إلى منزله. بينما حاول ماتي بكل وسيلة أن يجعله يكتب لهم عقودًا ولكنه فشل في مسعاه.

اللوحة الخامسة : تنتقل بنا الأحداث إلى فناء في ضيعة بنتيلا. وقد جلب معه إلى ضيعته بعض العمال الذين انتقاهم من سوق العمالة. لكنه بمجرد أن أفاق من سكره طردهم. وقد لخص هذه المعاناة أحد العمال في المقولة التالية:

العامل : هكذا هم. يبدأون بأن يأتوا بك في سيارة، وبعد ذلك يتركونك تقطع تسعة كيلو مترات مشيا على الأقدام لتعود. وبدون عمل. هذا ما يحدث حين يغتر الإنسان بلطفهم».

هكذا تقطر المرارة من فم العامل وسط التهريج الذي يحدث. بينما تتفق أيفا مع ماتي على التصرفات التي يمكن أن يستخدموها لتثير حافظة العريس فينصرف عنها، حتى أنهما وصلا إلى اتفاق أن يدخلا الحمام سويا ويحدثا تصرفات توحي أنهما يمارسان معا فعلا مشينًا فيثور الملحق لكرامته وينصرف عنها وتتم الحيلة ويراهما الملحق وبنتيلا خارجين من



الحمـــام ، فإذا بنتيلا يثور ويهدد ماتي بالطـــرد بينما العريس لا يبالي، بل إنـــه يبرر دخولهمـــا الحمام ويهدي إيفا باقة من الـــورود . وأمام هذا البرود المتناهي يعلق ماتي على فشل الحيلة:

«ماتي : إن عليه من الديون أكثر مما كنّا نظن!».

اللوحة السادسة : بعنوان «محادثة بخصوص الحلازان». جريا على عادة بريشت في كتابة اللوحات فإنه يعطي لكل لوحة عنوانـــاً . في هذه اللوحة تعترف إيفا لماتي صراحة أنهـــا لا تريد الملحق الدبلوماســـي زوجا لها، وإنما تريـــده هو، فيرفـــض ماتي هذا العـــرض من واقع خبرته الســـابقة، حيث كان يعمل عند صاحب ضيعة كان صاحبهـــا يعمل ســـائقا . وكانـــت امرأته وأولاده يستخدمونه كأنه أحد الخدم وأنه غير مستعد لهذا المصير.

اللوحة السابعة : جمعية خطيبات السيد بنتيلا.

يعود الســـيد بنتيلا للظهور في هذه اللوحة وقد جاء يوم الأحد الموعود الـــذي وعد فيه خطيباته بالحضور لإعلان الخطبة الرســـمية عليهن. لكن من سوء حظهن أنه لم يكن غائبا عن الوعي فيطردهن جميعا ويخرجن من الضيعـــة منكســـرات حزينات. في الوقت الذي يحـــذر ابنته ويهددها بقطع أي أموال إذا تراجعت عن خطبة الدبلوماســـي، وقد انقلب تماما على ماتي الذي يبدي له احتقارا لكونه سائقًا .

اللوحة الثامنة : حكايات فنلندية

في طريق عودة السيدات الأربع إلى بيوتهن أخذن يرددن حكايات الأغنياء و غدرهـــم بالفقراء حين تنقضي مصالحهم مثلما أفاق بنتيلا من غيابه عن



وعيه. نرى أن هذه اللوحة غير ضرورية، ولكن إصرار بريشـــت على التأكيد بـــأن أصحاب المال ليس لهم وعود يثق بها هو مـــا جعله يضم هذه اللوحة ضمن لوحات المسرحية.

اللوحة التاسعة : بنتيلا يعطي ابنته لرجل

تعرض هذه اللوحة لجمع كبير من الشـــخصيات، منهم القســـيس الذي يشـــكو أحوال المصلين الذين لا يأتون إلى الكنيســـة، والقاضي الذي يشكو أحوال القضاء وكذلك المحامي الذي يشـــكو مـــن العملاء وأحوالهم. بينما يجلـــس بنتيلا يشـــرب في صمت، وتدخـــل زوجة القســـيس ومعها الملحق الدبلوماســـي لتخبر بنتيلا بأن وزير الخارجية يرقص مع ابنته ويسأل عنه. ونتيجة ثرثرة الملحق الدبلوماســـي مـــع بنتيلا يضيق صبر بنتيلا به ويطلب من القاضي أن يقول رأيه في هذا الملحق، ولكن القاضي يراوغ في الإجابة فيضطر بنتيلا أن يعلن رأيه في خطيب ابنته ، إنه لم يتحمل مثل هذا الرجل ولأن بنتيلا في ســـكر فإنه يطرد خطيب ابنته شـــر طردة ويشيع الوزير عند انصرافه من الحفل بأبشع أنواع اللعنات. في الوقت نفسه يعلن خطوبة ابنته على ماتي.

كما نجد إيفا ابنته وقد أفرطت في الشـــراب هي الأخرى تقف وســـط المدعوين تطلب من ماتي أن يقبلها زوجة له.

وبعد أن توافق «إيفا» على الزواج من السائق «ماتي ». كان لماتي رأي آخر فيقول: إنها لا تصلح له زوجة، ويخضعها لامتحان عسير تخفق فيه إخفاقا شـــديدا: في مطالب الحياة الزوجية لسائق وابنة ثري كبير. ثم تفيق إفاقة هائلة من ســـكرها حينما يضطر الأمـــر «ماتي » – كجزء من الامتحان– أن يضربها على ظهرها، إذ تشعر بإهانة بالغة، وتخرج عن طورها تماما، ويزول قناع التكيف مع أوضاع المســـاكين، ويرتفع مـــن جديد الحاجز الاجتماعي الهائل الذي يفصل بينها وبين «السائق ماتي ».



«بنتيلا : هــذا صحيح يا ماتي ، لقد تجاوزت الحدود قليلا . لإيفا عيوبها . ومن الممكن أن تسمن قليلا مثل أمها، لكن لن يقع هذا قبل بلوغها ســن الثلاثين. أما الآن فهي مقبولة جدا .

ماتي : لا يهم أن تســمن أو لا تســمن، إنمــا الأمر يتعلق بافتقارها إلى الروح العملية. أنا أدعي أنها لا تصلح أن تكون زوجة لسائق.

القسيس : وهذا رأيي تماما .

ماتي : لا تضحكــي يا آنســة إيفا . لن تكــون لديك رغبة في الضحك إذا وضعتك أمــي بوضع الامتحان، بل ستكونين حينئذ في مركز حرج جدا . ومن الغريب أن ينحاز بنتيلا إلى ماتي، ويعنف ابنته لأنها رسبت في الامتحان الذي عقده ماتي لها

اللوحة العاشرة : لحن الأماسي

هــي عبارة عن لوحة قصيرة يتبادل فيها بنتيلا وماتي حوارات ووجهات نظــر كل منهما عن الحرية، وإن كان ماتي لا يفوت الفرصة إذ يلمح لبنتيلا بأنّ رجال ضيعته يعانون من الشقاء والبؤس.

اللوحة الحادية عشــرة: الســيد بنتيلا وخادمــه ماتي يصعدان جبل هتلما

في هذه اللوحة جمع بنتيلا بين حالتي اليقظة والسكر، ففي بداية اللوحة نجد بنتيلا غاضبا أولا على خطيب ابنته الملحق الدبلوماســي لأنه يتحدث فى تلفون بنتيلا وتســتغرق محادثته أكثر من نصف ساعة مع الطرف الآخر حيث يحرض القســيس ومعه المحامي السيد بنتيلا على طرد أحد العمال



بزعم أنه شيوعي وفي ثورة غضب بنتيلا على ماتي لأنه لم يراجعه في شأن هــذا العامل بل كان ماتي يدافــع عنه مما دعا بنتيلا أن يتهم ماتي بالتآمر عليــه لصالح هذا العمل وأثناء ثورة غضبه أخذ بنتيلا يحتســي الشــراب وعندمــا وصل إلى حالة الغيــاب عن الوعي طلب من ماتي أن يمنح العامل نقودا وأصبح في حالة رضا تام عن ماتي، بل زاد من مرتبه.

وأخــذت هذه المرة نوبة غيابه عن وعيه بأن يأمر ماتي أن يبني له جبل هتلما، فيجاريه ماتي ويحطم بضربات قدميه ســاعة ذات قيمة ودولابا من الخشــب المليء بالأســلحة ويبني بأنقاضها وببعض الكراســي جبل هتلما المزعــوم على منضدة البلياردو وفي موقف ســاخر جدا ومضحك يصعد بنتيــلا فوق هذه الأكــوام متصورا أنها جبل هتلمــا ويصف مروج وبحيرات مقاطعته ويطالب ماتي بالغناء معه وتنتهي اللوحة نهاية فاترة

اللوحة الثانية عشــرة والأخيرة: بعنوان ماتي يدير ظهره إلى بنتيلا، في الصباح الباكر يقرر ماتي أن يرحل قبل أن يســتيقظ بنتيلا ويحاســبه على ما حدث بالأمس ثم يشــرع في الغناء، كما توجد فى ختام المســرحية مجموعة أناشيد تلخص أهم أحداث جرت في المسرحية

كذا يكشــف بريشــت عن المتناقضات الاجتماعية والطبقية بتهكم لاذع في مناظر جمعت بين الفكاهة المرة والدرس القاسي.

كما نلاحظ في المســرحيتين أن الخاتمة لدى بريشــت مفتوحة، أي أن الحدث يبقى ممتداً في ذهن المشاهد ومخيلته. وهذا ما حدث في مسرحية الأم شجاعة وكذلك في السيد بنتيلا وخادمه ماتي.



هذه السلسلة:

للكويتيين تجربة مبكرة في المســرح، فقد أدرك رواد العمل الثقافي المستنيــرون أهمية دوره الحيوي وما يمكــن أن يقدمه من تطور وتنمية لمجتمعهــم، وعلى الرغم من اقتران انطلاقة المسرح الأولى بالمؤسسة التعليمية (المدرسة) مع بدايــة ثلاثينيات القرن الماضي، فإنه لم يكن مسرحا تعليميا تربويا فقط، بل كان مسرحا يشارك بنصوص جادة، قدم بعض قضايا المجتمع والحيــاة العامة إلى جانب تناوله أمجاد العروبة وتاريخها الإسلامي، وامتدت عروضه خارج أسوار المدرسة خلال العطلات الصيفية وخارج الوطن بصحبة الدارسين في القاهرة في بيت الكويت.

وظلت الدولة على اهتمامهــا بهذا الفن وتشجيعه ورعايته بالتمويل والإشــراف بعــد انتقــال مسؤوليتــه إلــى دائــرة الشــؤون الاجتماعية، وتخصيصهــا إدارة للمســرح والفنــون ورعاية شؤون الفــرق المسرحية، حتى انتقلت إلى وزارة الإرشاد والأنباء (وزارة الإعلام في ما بعد)، وتطور معهــد الدراســات المسرحية إلى معهد عال لدراســة الفنون المسرحية أكاديميا.

وفي سبيل تنميــة الوعي الفني المسرحي وإثرائه فكريا وأدبيا، ارتأت الــوزارة إصدار ونشر سلسلة من المسرحيــات العالمية المترجمة، لكبار الكتاب المتميزين على الساحة المسرحية العالمية، وأن تكون ترجمتها للعربية عن اللغة الأصلية للنص المسرحي، وتخضع للتحكيم العلمي، وكان يشــرف عليهــا الشاعر الراحــل أحمد العدوانــي، والدكتور محمد موافي أستــاذ الأدب الإنجليزي، والمسرحي الكبير زكي طليمات، وصدر العــدد الأول مــن سلســة «من المســرح العالمي» في أكتوبــر عام ١٩٦٩



يحمل عنوان مسرحية «سمك عسير الهضم» للكاتب الغواتيمالي مانويل غاليتش، وترجمة الدكتور محمود علي مكي، وتوالى صدورها إلى أن بلغت ٣١٣ عددا حتى عام ١٩٩٨، بعد أن انتقلت مسؤولية إصدار السلسلة إلى المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وقد تناولت نحو ٤٢٠ مسرحية عالمية (مع ملاحظة أن بعض الأعداد قد اشتمل على أكثر من مسرحية)، ولكل مسرحية مترجم ومراجع ودراسة تحليلية فنية ونقدية شملت خصائص النص وكاتبه.

عندما قرر المجلس الوطني في نوفمبر ١٩٩٨ دمج هذه النصوص المسرحية العالمية المترجمة ضمن نصوص لأعمال أدبية أخرى مختلفة بين القصة والرواية وأدب الرحلات والسير الإبداعية، وصدرت تحت عنوان «إبداعات عالمية»، وبعد مضي تسعة أعوام على ذلك، أبدى كثير من المهتمين بشؤون الحركة المسرحية في البلاد وخارجها الشوق إلى إعادة طباعة بعض هذه النصوص المسرحية الإبداعية المختارة.

لقد اعتبرت سلسلة «من المسرح العالمي» أضخم مشروع قومي عربي من منظور الترجمة والتركيز على مجال فني متخصص واحد، وإنه ليسعد المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب إعادة هذا الكنز المفقود إلى أيدي عشاق المسرح وهواته في الكويت ومختلف أرجاء الوطن العربي، في هذا الإصدار الثاني الذي بدأ بإعادة طبع رائعة شكسبير «العين بالعين».

الأمانة العامة

وكلاء التوزيع

الدولة	وكيل التوزيع الحالي	العنوان	تليفون	فاكس
الكويت	المجموعة الإعلامية العالمية	الشويخ – الحرة – قسيمة **34** – الكويت – الشويخ – ص.ب **64185** – الرمز البريدي **70452**	24826820/1/2 24613872 /3	24826823
الإمارات	شركة الإمارات للطباعة والنشر والتوزيع	Emirates Printing, Publishing & Distribution Company Dubi Media City/ Dubai UAE P.O Box: 60499	00971 242629273	00971 42660337
السعودية	الشركة السعودية للتوزيع	المملكة العربية السعودية – الرياض – حي المؤتمرات – طريق مكة المكرمة – ص.ب **62116**، الرمز البريدي **11585**	00966 (01) 2128000	00966 (01) 2121766
سورية	المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات	سورية – دمشق – البرانكة	00963 112127797	00963 112128664
مصر	مؤسسة دار أخبار اليوم	جمهورية مصر العربية – القاهرة – **6** شارع الصحافة – ص.ب **372**	00202 25782700- 25782632	00202 25782632
المغرب	الشركة العربية الأفريقية للتوزيع والنشر	المغرب – الرباط – ص.ب **13683** – زنفه سجلماسه – بلفدير – ص.ب **13008**	00212 522249200	00212 522249214
تونس	الشركة التونسية للصحافة	تونس – ص.ب **719** – **3** نهج المغرب – تونس **1000**	00216 71322499	00216 71323004
لبنان	مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع	لبنان – بيروت – خندق الغميق – شارع سعد – بناية فواز	00961 1666314/5 01 653259	00961 1653260
اليمن	القائد للنشر والتوزيع	الجمهورية اليمنية – صنعاء	00967 2/3201901	00967 1240883
الأردن	وكالة التوزيع الأردنية	عمان – تلال العلي – بجانب مؤسسة الضمان الاجتماعي	00962 65300170 - 65358855	00962 65337733
البحرين	مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف	البحرين – المنامة – ص.ب **10324**	00973 17 480801	00973 17 480819
سلطنة عُمان	مؤسسة العطاء للتوزيع	ص.ب **473** – مسقط – الرمز البريدي **130** – العذيبة – سلطنة عُمان	00968 24492936	24493200 00968
قطر	دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع	قطر – الدوحة – ص.ب **3488**	00974 4557809/10/11	00974 44557819
فلسطين	شركة رام الله للنشر والتوزيع	رام الله – عين مصباح – ص.ب **1314**	00970 22980800	00970 22964133
السودان	دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع	السودان – الخرطوم – الرياض – ش المشتل – العقار رقم **52** – مربع **11**	002491 83242702	002491 83242703
الجزائر	شركة بوقادوم للنقل وتوزيع الصحافة	**Cite des preres FARAD.lot N09. Constantine. Algeria**	00213 (0) 31909590	00213 (0) 31909328
العراق	شركة الازدهار للتوزيع	**Al Izdihar (alizdihar__co@yahoo.com)**	-	-
نيويورك	**Media Marketing**	**Long Island City، NY 11101 – 3258**	00718 4725488	00718 4725493
لندن	**Universal Press**	Universal Press & Marketing Limitd	(0) 0044 2087499828 0044208 7423344	44208 7493904

سعر النسخة

الكويت ودول مجلس التعاون الخليجي	نصف دينار
الدول العربية الأخرى	ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	دولاران أمريكيان

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام

للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص. ب: ٢٨٦٢٣ - الصفاة - الرمز البريدي ١٣١٤٧

دولة الكويت


المجلس
الوطني
للثقافة
والفنون
والآداب
من
المسرح العالمي



من المسرح العالمي

في هذا العدد

من الأعمال المختارة

برتولت بريشت - ٣

يحتوي هذا العدد الثالث من أعمال برتلوت بريشت على مسرحيتين:

الأم شجاعة (١٩٣٨-١٩٣٩) وهي قمة إنتاجه، قام بإخراجها في العام ١٩٤٩ ولعبت زوجته دور الأم شجاعة، الأم عند بريشت شخصية عميقة متعددة الجوانب أبرزها في أكثر من مسرحية من مسرحياته، الغاية التي ما بعدها غاية بالنسبة إليها هي: سعادة أولادها. وقد تضطر تحت ضغط ظروف معينة إلى أن تدوس على المبادئ الإنسانية، ومن هنا كانت شخصية حافلة بالنقائض، إنها الأم الرحيمة بأولادها وضبع ميدان القتال في آن واحد وحسب الظروف. شجاعتها من نوع غريب جدا، خليط من المثالية والبرجماتية، وبطولتها لا تتجلى فيما عظم من أعمال بل في استجابتها التلقائية لتلك الغريزة الغامضة التي نطلق عليها « الأمومة».

السيد بنتيلا وخادمه ماتي (١٩٤٠): مسرحية فكاهية تجمع بين الواقعية والروح الشعرية بطلها شخصية مزدوجة فهو في صحوه صاحب أملاك حريص على تنمية ثروته عن طريق استغلال القوى البشرية بأقل أجر ويتعاون مع القسيس والمحامي لقضاء مآربه، وفي غيابه عن الوعي يصبح إنسانا يتعاطف مع العمال في بساطة ومودة إلى حد مصادقة سائقه الماكر الذكي ماتي.

تدور أحداث المسرحية حول هذا التناقض التام بين حالتي الغياب عن الوعي والصحو، الذي تنتقل عدواهما إلى ابنته إيفا. يتقدم لخطبتها شاب تافه من الباحثين عن الثروة وتحاول التخلص منه بحيلة يعاونها فيها ماتي، ولكن الخطيب يتغاضى عن الإهانة حرصا على الصفقة المربحة، فيطرده بنتلا ويعلن أنه سيزوج ابنته من رجل شريف: ماتي. فهل يتزوج ماتي إيفا؟

وأمام السفرة في الحفلة | بنتيلا صاح بلا رحمة
«لا أعطي بنتي للسمكة» | وأراد ليعطيها الخادم
فأجاب الخادم: لا أقدر! | لا تصلح بنتك لي زوجة

ISBN ٩٧٨- ٩٩٩٠٦-٠-٥٠٨-٢
رقم الإيداع: (٢٠١٦/٠٨٥٣)